



## سَرْدُ الْأَمْثَالِ

---

الحقوق كافة  
محفوظة  
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الإلكتروني: [unecriv@net.sy](mailto:unecriv@net.sy) E-mail :

[aru@net.sy](mailto:aru@net.sy)

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت

<http://www.awu-dam.org>



الدكتور: لوّي حمزة عباس

# سَرْدُ الأمثال

دراسة في البنية السردية لكتب  
الأمثال العربية  
مع عناية بكتاب المفضل بن محمد  
الضبي  
(أمثال العرب)

من منشورات اتحاد الكتاب العرب  
دمشق - ٢٠٠٣

---

## في التجارب علمٌ مستأنفٌ

مجمع الأمثال ٧٩/٢

إلى: حيدر سعيد  
بهاء صداقة نادرة





الدراسة السردية لكتب الأمثال  
(في الرؤية والمنهج)  
تمهيد



## المقدمة

ذكروا أن ملكاً من ملوك حمير خرج مُتصيّداً ومعه نديم له كان يُقربُه ويكرمه، فأشرف على صخرة مُلساء ووقف عليها، فقال له النديم: لو أن إنساناً ذبح على هذه الصخرة إلى أين كان يبلغُ دمه؟ فقال الملك: اذبحوه عليها ليرى دمه أين يبلغ، فذبح عليها، فقال الملك: رُبَّ كلمة تقول لصحابها دَعني.

بمثل هذه الحكاية تنفتح (صيغة المثل) وتمتد بوصفها عين القلادة، وبين القصيد، ونُكّته المسألة، متجاوزةً الحضور المباشر للمثل وما يضرب فيه، جاعلةً له أعماقاً وظلالاً، ومحركةً بما تجسده من مواقف وما تلتقطه من أحداث موقعاً في الشعور يرتفع بصيغة المثل، مؤداه اللفظي، من التجريد إلى التمثيل والتشخيص اللذين يرفدان الصيغ بتجارب من أولى مهماتها المعروفة تعيين مناسبة (المثل) والوقوف على قائله. وإذا كان المثل قد سُمي باسمه تبعاً لسماته الجوهرية وهي سمات المقارنة التصويرية التي تجعل منه، بناءً على أحد معانيه الاشتقاقية، عرضاً في صورة حسية، فإن قصة المثل، واقعه، وتجربة صيغته هي ما يؤمن العرض ويفتح أفقه باتجاه الخيال الذي تفيض بصوره كُنُبُ الأمثال مخترقةً، في حركة فنية فاعلة، حدود الزمان والمكان، مانحةً العربية جانباً مؤثراً من جوانب ثرائها، ومعبرةً في جزء حي من أدبها عن أحاسيس أناسها.

وعلى الرغم مما حظيت به (الأمثال) من دراسات مختلفة المناهج والاتجاهات، فقد بقيت قصصها خارج الدرس والمعاينة، لم تجد مَنْ يُعنى بها بعيداً عن معيار الصدق والكذب الذي هيمن على اهتمامات الدارسين ونحا بالدراسات مناحي تاريخية أو مقارنة موضوعاتية في أفضل الأحوال، وهذا وجهٌ من وجوه المشكلة، أما وجهها الآخر فيتمثل بتركيز دراسات السرد العربية

الحديث على أنواع نثرية معيّنة ظلت ولأكثر من عقدين من الزمان مركز الفحص والمعالجة، مسهمةً بدرجة أو بأخرى بربط مشكلات دراسة السرد العربي بما تتعامل معه من نصوص، وليظل سؤال النوع الأدبي موقوفاً على الليالي، والمقامات، والسير، وهي، بلا شك، من أجلى مظاهر الأدب العربي القديم وأقربها لميادين الدرس النقدي الحديث لما تنطوي عليه من خصائص واضحة وما تتميز به من سمات جعلت من بعضها أنموذجاً مؤثراً من نماذج الأدب الإنساني الذي ما يزال يتجدد مع كل قراءة ويكتشف، بيد أن ذلك لم يمنع الباحث من مواجهة الحقيقة الصعبة التي تشير إلى بقاء جوانب مهمة من أدبنا العربي وأنواعه بعيداً عن نور البحث، سيما أنواعه النثرية المبكرة التي يبدو الطريق لدراساتها، دراسة فنية، محفوفاً بالمخاطر والصعاب، وربما كانت من أولى الصعوبات التي حاقت بالدراسات السابقة آخذة نصيباً وافراً من اهتمامها ومن جهود باحثيها، ملاحظة علاقة هذه النصوص بعصور إنتاجها، من منظور تاريخي، وفيما إذا كانت نتاجاً لإنسان أزمانها، أو أنها سعت بجهود علماء اللغة والأدب اللاحقين، لأهداف مختلفة وغايات، للتعبير عن تلك العصور بعدما غامت صورها الأصلية وأمحت أغلب ملامحها وهي تنتقل، أو ما تبقى منها من الجاهلية إلى الإسلام، وهو أمر يجنبنا الخوض في التوجه المباشر للنصوص، ومحاولة رصد فاعليتها التي منحناها موقعاً في تراتبية الأنواع الأدبية، وذلك ما لن ندرك أهميته في دراسة الأمثال أو سواها من الأنواع، رئيسية أو ثانوية، بغير النظر الفاحص لخارطة السرد العربي القديم، التي تزداد عناصرها، كلما اقتربنا منها، ثراءً.

توجّهت الدراسة في طموحها لملاحظة التشكيل السردى لكتب الأمثال، لتحديد العناصر المكونة لنصوصها، بعد أن قسمت مواد كتب الأمثال بحسب ما تكشفه أشكالها على امتداد مراحل التأليف فيها إلى تكوين ثلاثي الأركان: نص، صيغة، قصة، وقد عالجت تفاصيل ذلك في (التمهيد) وهي تبين رؤيتها لحقل عملها وتضيء منهجها، ثم انتقلت إلى موقع أدق في معاينة العناصر المكونة لقصص الأمثال في ارتباطها بـ(صيغ الأمثال) وفي تجليها داخل (النصوص)، في سبيل الوقوف على جانب من جوانب الشخصية الأدبية لهذه النصوص، والنظر، على نحو خاص، لمقوماتها الحكائية عبر إدراك عملية الاختيار والترتيب التي تخضع لها عناصرها الرئيسية: الإطار، والأحداث، والشخصية، والفضاء، وقد اختص بكل منها فصل من فصول الدراسة الأربعة، هذه

العناصر التي اقترحت من خلال تأمل مكونات النصوص، بما تكشفه من ميّزات وما تقيمه بينها من علاقات، للوقوف على فاعليّة أشكالها فإنما الشيء كشكله، بجملة أكثر بن صيفي، أو إن الشكل، شكل التعبير، بجملة دراسات النقد الحديثة، هو الذي يحدد فاعلية النوع الأدبي حسب قوانينه الخاصة ويحرّكه في سياق ثقافي — اجتماعي، إذ إن (الأمثال) بوصفها صور معرفةٍ تحمل، بين أهم ما تحمل، بجملة البحث، أطراف التجربة الإنسانية وهي تتعكس أبنيةً وانساقاً على مرآة العقل.

إن الدراسة تطمح — وهي تنتظر من جديد لحكاية ملك حمير وقد جف دمٌ نديمه على الصخرة الملساء، وغاب هو في تضاعيف الزمان، لتظل كلمته حيّة لا تتوشها يد الحدثان — أن تُضيء، على قدر جهدها، وجهاً مهماً من وجوه (الأمثال) القديمة التي بقيت لأكثر من عشرة قرون مدارَ اهتمام علماء العربيّة، وباباً من أبواب إبداعها لم يستغنِ عنه سفرٌ من أسفار أدبها.

البصرة

١ تشرين أول ٢٠٠١م

١٤ رجب ١٤٢٢هـ

\*\*\*



## ١. أدبيّة النص السردى القديم:

شهدت دراسات السرد العربيّة خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين اتساعاً ملحوظاً، تعددت خلاله سبل معاينة النص السردى، وتباينت منطلقاتها والأهداف المؤمّلة منها، مثلما تباينت إجراءات البحث فيها وهي تسعى للكشف عن بنيات النص الداخلية وملاحظة عناصره، في محاولة لاختبار فاعليّة إسهامها في إنتاج النص والوقوف على شخصيته المميّزة التي بقيت لعقود طويلة ماضية أسيرة معاينة خارجية عملت، في أعلى مراحلها على وعي النص الأدبي بوصفه نتاج ضفيرة من المشكلات: تاريخية ونفسية واجتماعية.. وربما عدّ في بعض منها نتاج مشكلة منفردة هي منظومة مؤثرات يُشكلها ميدان معرفي واحد من ميادين الحياة، وقد خضعت اللغة، لغة النص الأدبي، خلال تلك الدراسات لإرادة البحث وسلطة منهجه فبدت في الكثير منها مطواعة، لئنة، تلبس مع كل دراسة خصائص منهجها وتتسمُ بسماته بما يكشف، بنظرة شاملة، عن خطورة هذا العنصر وهو يجلي النص الأدبي ويوجّه، بدرجة ما، قراءته لتتخذ في كل مرّة وجهة يؤكّد فيها حضورُ وظيفة واحدة للغة أكثر من سواها<sup>(١)</sup>.

وقد سعت الدراسات السردية في طموحاتها للإسهام بإنتاج نظرة معرفية (أبستمولوجية) تتأس على ما تقيمه مع سواها من أسباب التلازم والحوار، إلى إقامة نمط خاص من العلاقة مع (التراث) مستجيبةً لحاجة أساسية في ميدان البحث ومعبرة عن ضرورة وعي أنموذج الأمة الحضاري عبر مختلف تجلياته خلال لحظاته الزمنية المتباينة، منقسم من جهة علاقتها بنصوص السرد العربى القديم قسمين أساسيين:

توجّه الأول لمعاينة تلك النصوص واستجلاء خصائصها، للوقوف على

---

(١) - ينظر: رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: سعيد الغانمي: ١٠٠.

قدرات الموروث الحكائي العربي وكنوزه الكامنة، وانحرف الثاني تجاه تأصيل النص السردي العربي الحديث، الروائي منه على نحو خاص، في رغبة للبحث عن موقع عربي لرواية عربية.

وإذا كان القسمان يتفقان، إلى حد ما، في فهم العملية السردية، فإن اتفاقهما لا يمتد إلى موقفيهما من التراث، حقل عمله المشترك، مثلما لا يمتد إلى تعاطي إجراءات السرد التي يقتضيها، بالضرورة، موقفاهما وهما يجسدان إشكالية الدراسة عبر الفجوة الحاصلة بين توجيهيهما لمعالجة نص السرد العربي القديم منفرداً أو في ضوء ما تجترحه نصوص السرد العربي الحديث من معطيات صلة معه، لتتغير تبعاً لذلك سبل الكشف عن السرد القديم من كونه مركز معاناة وفحص إلى كونه رديف إسناد، مسنداً إليه على الدوام، تتجلى ملامحه على مرآة النص الراهن، وتضاء قيم وجوده بما يمد الأخير من القوة والخصوصية.

إن دعوى حداثة النموذج الإبداعي الذي تتكئ عليه (السرديات)، أو إن أدبية السرد، بجملة أخرى، بنت العصر الحديث<sup>(١)</sup>، حددت من نوعية التعامل مع نصوص السرد القديم، وأعلنت خشيتها من مراودته، مثلما استدعت المجاهرة بعدم قدرة أسلاف السرد السابقين على فرض أنماطهم الأولية لفرط سذاجتها، واختلاطها بالكتابة التاريخية والتوثيقية فهما مسبقاً لنوعية النص المدروس، وتطلبت صفاءً في سماته يُخلص معه من شبهتي التاريخية والتوثيقية، وبذلك غدت المعالجة السردية للنص القديم ذات صعوبة مضاعفة وانقسمت مشكلة مواجهته سردياً إلى مشكلتين: نصية ومنهجية.

إن افتراض وجود نصوص، قديمة أو حديثة، تنطوي على (أدبية) خالصة يجرّد اللغة، مادة العمل الأساس، من حيوية وظائفها التي تلنقي جميعاً على سطح النص، مثلما يجرّد السرد من سمات أساسية هي سعته وشموله وتعاليه بجملة بارت، على التاريخ، ويحدد حركته باتجاهي النوع والعصر، ليغدو تاريخ السرد بمثل هذا التصور رسداً لوقائع منتظمة تنتجها نصوص معينة، بينما لا يبدو هذا التاريخ في حقيقته غير "توسيع وتعقيد وقلب لقوانين أساسية قليلة من قوانين البنية الأدبية"<sup>(٢)</sup>، وهو مالا (ينوجد) على نحو منفرد أو صاف يطل من

(١) - ينظر: د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٧٥.

(٢) - والاس مارتن، نظريات السرد الحديثة، ترجمة د. حياة جاسم محمد: ٦١.



عليائه على النصوص والأزمان، إنه بجملة أخرى، صورة العصر ومزاجه وقد أنتجتَهما شعريّة خاصة لا تتفلت خارج مدار زمنها ولا تترفع عن سياقاتها، بل تشكّل صيرورتها بما تقترحه من صلة مع عصور إنتاجها، من هنا يكون الحديث عن (أدبيّة) النص السردّي معقولاً إذا ما أنتظم ضمن محددات العصر والسياق، إن النص يُدرك عندئذ لا بوصفه جزيرة منقطعة، بل بما يؤمّنه من كشف لإمكانات لغة معينة وهي تضاء مع كل تأليف جديدة بنور العقل وقدرته، لتسهم الدراسة السردّية في سعيها لمعالجة النص القديم في الانفتاح -على وفق مقتضيات النص المدروس وأهمية موقعه -على مهمة إنتاجه التي تشترك فيها روافد متعددة، إنها تنتج عندئذ معرفتها الفكرية الخاصة أو تهدف في الأقل إلى التوصل إلى مثل تلك المعرفة <sup>(١)</sup> من خلال إنتاج رؤيتها للنص: في رصد فاعليته، وتبيّن موقعه، وإدراك أهمية ما يثيره من أسئلة وما ينطوي عليه من احتمالات الفهم والتفسير، لتتجلى رؤية الدراسة السردّية بوصفها "خلاصة الفهم الشامل للفاعلية الإبداعية في نواحي النسج والبنية والدلالة والوظيفة" <sup>(٢)</sup>.

لا تتوقف هذه الرؤية، كما هو معلوم، على حقّ إنتاج النص المدروس أو صفته: قديماً كان أو حديثاً، إنها تملك من خصوصية التوجّه المعرفي ما يدعوها للنظر في مختلف ظواهر النص، والإحاطة، عبر إدراك موقعه، بظروفه الموضوعية، فإن جانباً من (أدبيّة) النص السردّي لا يستند إلى ما يميّز عناصره من سمات، أو ما تتجزه هذه العناصر فيما بينها من محاورّة والتحام حسب، بل بما يكون بين بنية هذا النص، عبر موقعها وطريقة تشكيلها، وما سواها من صلة إذ "تتجاوز الأدبيّة هيكل البنية كأنظام إلى فاعليتها الخاصة" <sup>(٣)</sup> هذه الفاعلية التي لا تتم بحكم الطبيعة اللسانية -الدلالية لعناصرها بغير شبكة علاقاتها التي تجعل من النص نفسه موقعاً مقترحاً للنظر إلى فاعلية عصره فتسحبه من حضوره اللغوي المجرد لتدخله في الثقافي الاجتماعي، مستجيبةً لإيعاز السياق ومساهمةً إلى حد بعيد بإنتاجه وإضاءة تغيراته، ليتمكن عندئذ التمييز، بحسب تصور د. يمني العيد، بين الانتظام كمفهوم، وبين حركة الانتظام كفاعلية خاصة للنص، الأول بانشغاله داخل الحدود الهيكلية للبنية،

(١)- ينظر: رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، ترجمة د. محمد عصفور: ١٠.

(٢)- عبد الله إبراهيم، المتخيل السردّي: ٥.

(٣)- د. يمني العيد، فن الرواية العربيّة بين خصوصية الرواية وتمييز الخطاب: ٩.

والثاني في انتقال حركة النص (أو فاعليته) إلى مستواه الدلالي <sup>(١)</sup> لينحرف التحليل في انشغاله بالنص التراثي، والسردى منه على نحو خاص، "من النظر إلى موضوعاته لا بوصفها مجرد مركبات بل بنى" <sup>(٢)</sup> تسهم بتعزيز فهمنا لخصوصية عملها ضمن نمط العلاقات القائمة، مثلما تسهم بإضاءة حقولها وكشف إمكانية نماذجها التي ظلت خارج الدرس والمعاينة.

## ٢-دراسة الأمثال بوصفها نوعاً ثانوياً:

ربما كان فهم (أدبية) النص السردى القديم عاملاً مؤثراً، إلى جانب عوامل أخرى، في اختصاص دراسات السرد العربى بأنواع معينة مثلت، حسب توجهها، مركزاً مهماً في استكشاف السرد واستقراء فاعليته ضمن معطيات الثقافة العربية -الإسلامية، ليسهم بتركزه على استنباط البنية السردية للموروث الحكائي العربى ضمن اشتراطات نوعية بإقصاء إرث سردي أسهم بدرجات متفاوتة في الإعداد لتشكّل الأنواع القصصية التي توجّهت الدراسات لمعالجتها واستقصاء سماتها البنائية، وإن بطريقة غير مباشرة عولجت خلالها موضوعات التأليف ودرجة حضور المتخيل اللتان أصبحتا فيما بعد من مراكز البحث الأساسية.

إن التصريح بوجود أنواع قصصية (رئيسية) <sup>(٣)</sup> أو أعمال حكاية (مكتملة) <sup>(٤)</sup> من قبل دراسي السرد المعاصرين يقتضي، منطقياً، توفر الثقافة العربية في مرحلة مبكرة من مراحل تكونها على أنواع ثانوية، غير مكتملة، بمنظور البنى اللاحقة وحيوية مكوناتها، تتشكل فيها الخصائص السردية تشكلاً بسيطاً لا ينفصل في حضوره وآلية تنظيم عناصره عن معطيات عصره وسياقاته الثقافية التي تضافر مظهران أساسيان من مظاهر الثقافة العربية على إنتاجها، هما:

---

(١)- نفسه.

(٢)- د. محمد عابد الجابري، التراث والحداثة: ٤٧.

(٣)- ينظر: د. عبد الله إبراهيم، السردية العربية: ٧.

(٤)- ينظر: سعيد قطين، الكلام والخبر: ٧.

## أولاً: المظهر التاريخي:

ينبع بالأساس عن حساسية الموقع التاريخي لهذه النصوص بين (الجاهلية) و(الإسلام) بمختلف معطياتها وبما تحمله من تعارضات دينية، أو أخلاقية، أو اجتماعية، مما يفسح المجال للنظر في (صدق) محمولاتها، وما تنطوي عليه من (حقيقة) في التعبير عن حضور انمحت أغلب سماته، ووجه معظم ما تبقى من آثاره لينتاسب بشكل ما مع معطيات العصر الجديد وقد تعرضت في كل ذلك لإكراهات، وانزياحات، وإقصاءات كثيرة أسهمت بالانتقال بها من صورتها الشفاهية الأولى، إلى صورة ثانية تستجيب فيها لمقتضيات التدوين<sup>(١)</sup> مثلما تستجيب على نحو آخر لاستراتيجيات العصر التي عملت على احتضانها لأهداف جديدة وغايات، لنكون إزاء (التلقي التاريخي) لنصوص الأمثال خاصة بمواجهة موقفين نقديين متناقضين شكلتهما عقود من دراسة نصوص التراث ومحاولة تكوين رؤية علمية منهجية مما يطرحه من مشكلات:

### -الموقف الأول:

يعمد إلى طرد(الأمثال) من النثر الفني العربي ويلحق دراساتها بنمط الدراسات (الفيلولوجية) للغة، ففي الوقت الذي يعدها "مقياساً لدرس اللغة، ومقياساً لدرس الجملة القصيرة كيف تتكون، ومقياساً بنوع خاص لعبث الشعوب بالألفاظ والمعاني" <sup>(٢)</sup> يحدّ من دراستها فناً لصعوبة (تحقيق) نصوصها الجاهلية.

### -الموقف الثاني:

يهتم بـ (الأمثال) بوصفها نمطاً من أنماط النثر المتميزة في الجاهلية <sup>(٣)</sup>. ويعدّها مصدراً من مصادر دراسة الأدب الجاهلي لا سيما النثري منه، فهي إذا قورنت بالشعر الجاهلي كانت أقل عرضة للتحوير والتغيير، فضلاً عن أنها لا تقدم، لمجهولية قائلها، مادة مغرية

(١)- ينظر: د. عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية: ١٠٠ .

(٢)- طه حسين، في الأدب الجاهلي: ٣٣١. وينظر د. عبد المجيد عابدين، الأمثال في النثر العربي

القديم: ٢٥ .

(٣)- ينظر د. عز الدين إسماعيل، المكونات الأولى للثقافة العربية: ٨٧ .

للانتحال<sup>(١)</sup>، وهي على الرغم من كونها كنزاً هزلياً بحسب تعبير بلاشير، تُقشي أسراراً كثيرة عن العقلية العربية التي غطى عليها أحياناً دوي أبواق الشعراء<sup>(٢)</sup>.

وقد أثر الموقفان كلاهما على دراسة الأمثال، فلم يؤت الجانب الفني حظه من العناية مقابل دراسات تاريخية ولغوية ونفسية واجتماعية عملت على رصد موضوعية المثل وبحثت كلاً من جانبها مهمة تأصيله والوقوف على دوره في علاقته الجدلية مع مجتمعه وهو يأخذ دور المرأة السكونية التي تعكس الواقع، مثلما يأخذ دور الموجّه الفاعل في صيرورة هذا الواقع<sup>(٣)</sup>، وفي الجانبين تتوجّه الدراسة للنظر إلى العلاقة في تمثالتها الخارجية ومظاهرها التي لا يُعدّ النصّ معها، بمختلف مركباته وعناصره، إلا شاشة لانعكاس الوقائع.

### ثانياً: المظهر التعبيري:

يرتبط تجلي هذا المظهر بانطلاق حركة التأليف الأدبي، إذ أسهم تأليف الكتب المبكرة للأمثال، منذ أواسط القرن الثاني الهجري، بإنتاج أول نماذج التأليف الأدبي العربيّة، بعد أن سبقتها طوال القرن الأول الهجري مدونات لم تُعدّ "تأليفاً أدبياً بمعنى البحث"<sup>(٤)</sup> لكنها هيأت مادة أوليّة مناسبة لهذه الكتب من خلال تدوين المرويات الجاهلية<sup>(٥)</sup>، وفتحت المجال لاختبار فاعليتها ضمن حركات السياق الثقافي الجديد، وهي تمنح (الثانوي) و(الهامشي) من الموضوعات والأنواع فرصة الظهور في مؤلفات خاصة وإن توجهت بالأساس لخدمة اللغة العربية حتى عُدّت "دراسة الأمثال بداية تصنيف المعجمات

(١)- ينظر د. صفاء خلوصي، دراسة في الأمثال العربية القديمة، مج (الأستاذ) بغداد، مج ٤ ع ١ - ٢/ ١٩٦٧: ٧٨.

وينظر د. إبراهيم السامرائي، في الأمثال العربية، مج (التراث الشعبي) بغداد س ٦ ع ٣ - ٣/ ١٩٧٥: ١١.

وينظر د. محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي: ٨

(٢)- ينظر بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم كيلاني: ٣/ ٤٤١.

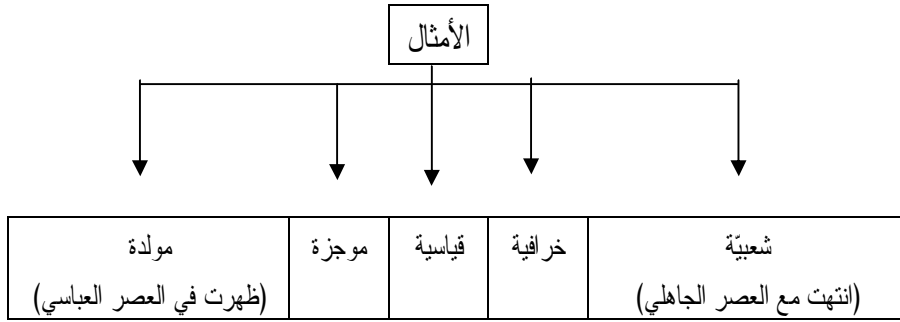
(٣)- ينظر د. محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي: ٧.

(٤)- د. أحمد جاسم النجدي، منهج البحث الأدبي عند العرب: ١٣.

(٥)- ينظر د. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية: ص ١٨٧ - ٢٢١.

العربية.. في تدوين الألفاظ وإيضاحها حسبما اتفق" (١).

لقد شكّل تأليف كتب الأمثال في مرحلتها الأولى فرصة مهمة لنسق الثقافة العربية -الإسلامية لاحتضان نمط مغاير من المؤلفات لم تتوجه لاستقصاء وفحص مدوناتها بقدر توجهها، على أيدي علماء اللغة ، لالتقاط صيغ الأمثال والانشغال بالتمثيل لها، مهينة المجال، تحت أهداف لغوية محضة، لرعاية بذار (أدبية) عبر اعتنائها بنماذج أمثالها التي اتخذت خلال عصور إنتاجها، حسب تقسيم د. صفاء خلوصي، ثلاثة اتجاهات كما في المخطط الآتي (٢):



(امتدت من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي)

يدعونا التقسيم للنظر في موضوع (شعبية) الأمثال واختصاصها باتجاه محدد من اتجاهات الأمثال العربية، فإذا كان المعنى يتغيّر بتغيّر الأزمان والتجارب لتبدو ثمّة معانٍ قديمة وأخرى حديثة أو مولدة، فإن (الشعبية) تظل سمة مهمة تغطي جانباً أساسياً من أمثال المراحل جميعها، تلك التي تختلف في مصادرها وعلّة نشوئها عن الأمثال الذهنية النابعة عن الحكم والأقوال المأثورة، أو الأمثال النابعة عن الشعر، أو أمثال القرآن الكريم، وربما أخذت (الشعبية) في تقسيم د. خلوصي معنى (غير المدوّن) في إشارة إلى انتهائها مع العصر الجاهلي، لتكشف خصائص الاتجاه الثاني (خرافية، قياسية، موجزة) ما انتقل

(١)- د. صفاء خلوصي، دراسة الأمثال العربية القديمة: ٨١.

(٢)- نفسه.

منها عبر مدونات الأمثال الأولى إلى العصرين الأموي والعباسي، ممثلاً مناسبة مهمةً لتحويلها من أمثال شعبية مجردة تتناقلها الألسن إلى مدونات، تهتم بشكل ما بمساحتها النصية التي تجمع بين وحداتها الشعر إلى جانب النثر، وتؤكد عنايتها بالتمثيل الحكائي واهتمامها بقصص أمثالها وهي تسهم، بدرجات متفاوتة باحتضان النموذج (الخرافي)، وخلق مجال مناسب يُعتنى فيه بـ "الحديث المستملح من الكذب" <sup>(١)</sup>، عبر النقل والتدوين أو اعتماد الحدس والتخمين واختراع القصص والحكايات الخرافية <sup>(٢)</sup>، التي وجدت للإيهام بواقعة المثل والارتفاع بها من كونها صيغاً مجردة إلى تشكيلات حكاية تهتم بالصورة الحسية لتجاربها.

إن عملية استعادة الخرافة أو إنتاجها داخل نصوص الأمثال وهي تمثل نزوعاً عاماً "تتطوي على تصورات ورؤى ووقائع، أسطورية ودينية وتاريخية قديمة" <sup>(٣)</sup> ساعدت في الحفاظ على جانب من الموروث الحكائي والانتقال به عبر الأنواع الثانوية والأشكال الهامشية خلال القرنين الأول والثاني الهجريين إلى مراحل لاحقة شهدت نزوحاً حكاياً تطور خلاله الأنموذج السردى تطوراً ملموساً وتوفرت له بفضل عوامل متعددة فرصة اتساع عوالمه التخيلية وتعدد مستويات نصوصه ضمن حدودها التاريخية ومركزاتها وأنظمة اشتغالها السردى، يمكن إجمال السمات الخرافية في قصص الأمثال بالنقاط الآتية:

أ-الحكاية عن الحيوان.

ب-الحكاية عن الأقوام البائدة.

ج-الجزور الأسطورية لعدد من الشخصيات.

د-التناقض بين الصفات المعنوية والجسدية لعدد من الشخصيات المعلومة في انتقالها من نص إلى آخر أو في امتداد صيغ أمثالها داخل النص الواحد.

<sup>(١)</sup>-لسان العرب والمعجم الوسيط: مادة (خرف).

<sup>(٢)</sup>-ينظر د. صفاء خلوصي، دراسة في الأمثال القديمة: ٣٦.

ود. عبد المجيد عابدين، الأمثال في النثر العربي القديم: ٣٧.

ورودلف زلهام، الأمثال العربية القديمة: ٥٠.

<sup>(٣)</sup>-د. عبد الله إبراهيم، السردية العربية: ٧٢.

هـ-اعتماد نسبة مهمة من النصوص على شخصيات مغفلة، بلا اسم أو صفة ودونما تحديد زمني أو مكاني، غير ما تقترحه قصة المثل من حضور خاص تكون الشخصية فيه (بنت الواقعة) أو المظهر الإنساني لصيغة المثل.

تُلاحظ أهمية حضور الخرافة ضمن نصوص الأمثال لا بوصفها نوعاً قصصياً بل بما تساعد في إقامته من أنواع قصصية تتحرف بمروياتها عن قول (الحقيقة) لتتشغل بالخيالي والمتوهم من الحكايات والأخبار، من دون أن توفر لنفسها، ضمن هذه النصوص، غطاءً اعتبارياً تخضع فيه "للإسناد الذي يفترض انتساب القول لصاحبه" <sup>(١)</sup> إنها تعمل بارتكازها على أرض جاهلية على تسويغ ظهورها وانتقالها من المدونات الأولى إلى الكتب بما تقيمه مع صيغ الأمثال من ارتباط تغدو فيه ركناً مهماً من أركان قصة المثل، وربما حفلت صيغ الأمثال بالناية في المدونات والكتب المبكرة بسبب من ارتباطها (بقصة) تحمل من سمات الخرافة وأصدائها ما يجعل منها مادة مناسبة للأسمار. وقد تلمس مؤلفو كتب الأمثال المتأخرة حضور الخرافة في كتب الأمثال السابقة متخذين موقفاً حازماً منها وهم يتوجهون توجهاً منهجياً تراعى فيه علمية التأليف والتقسيم والانتقاء، إذ يشير الميداني (ت ٥١٨هـ) في حديثه عن مصادر كتابته (مجمع الأمثال) إلى أنه نقل "ما في كتاب حمزة بن الحسن إلى هذا الكتاب، إلا ما ذكره من خرزات الرقى وخرافات الأعراب" <sup>(٢)</sup> من دون أن يحدد فهماً دقيقاً للخرافة المتروكة.

وربما وُجد قبل إشارة الميداني، ما يُعين مالا يتوافق مع العقل وما لا يقبله المنطق من الأخبار على أنه من الكذب، كما في كتاب (الكامل) للمبرد (ت ٢٨٥هـ) الذي خصص باباً من أبوابه تحت عنوان (من تكاذيب الأعراب)، تطالعنا فيه بعض الحكايات التي لا تتطوي أصلاً على (صيغ أمثال) وإن وردت في كتب الأمثال، خصوصاً ما يتعلق منها بالشخصيات ذوات المصادر الأسطورية كشخصية لقمان، فهو يذكر طرفاً من خبره المروي على لسان جاريته في حكاية من حكايات كتاب المفضل الضبي (أمثال العرب) <sup>(٣)</sup> مع

(١)- د. عبد الله إبراهيم، السردية العربية: ٧٢.

(٢)- الميداني، مجمع الأمثال: ٤/ ١.

(٣)- ينظر: المفضل الضبي، أمثال العرب: ١٦١.

إشارة صريحة إلى بطلان مثل هذه الأخبار "من ذلك ما يحكون في خبر لقمان بن عاد، فإنهم يصفون أنَّ جارية له سُئِلت عما بقي من بَصَرِه لدخوله في السن؟ فقالت: والله لقد ضَعُفَ بصره، ولقد بقيت منه بقيَّة، إنه ليفصلُ بين أثر الأنثى والذكر من الذر إذا دبَّ على الصفا، في أشياء تشاكل هذا من الكذب" (١).

يتوجَّه البحث في الفقرة اللاحقة، بناءً على ما أثير من قضايا وما نوقش من تفصيلات، للانشغال بالكيفية التي تقترحها /تقتضيها رؤياه لمعاينة موضوعها: الطرائق والآليات والإجراءات، فضلاً عما تقترحه من مصطلح تتاط به مهمة أساسية، بحسب دقته وفاعلية استخدامه، في تهيئة مجال مناسب لإضاءة حقل الدراسة والوقوف على سماته الخاصة بعيداً عن هيمنة التصوُّر المسبق.

### ٣- من (المثل) إلى (النص):

ارتبطت دراسات المثل العربي، إلى حد بعيد، بما عُرف عن المثل من تصوُّر في كتب النقد والبلاغة وعلوم القرآن والحديث، وما ثبت له من معنى لغوي واصطلاحي، صبَّ على نحو مباشر في (صيغته)، مؤداه اللفظي، الذي عُدَّت (المشابهة) من أهم معانيه، وبها يُقصد، مع معانٍ أخرى مثل (النظير، والصفة، المثال والحدو والشاخص) إلى كشف مستواه العلمي أو التداولي، مثلاً تضاء المساحة البلاغية التي يقوم عليها جسراً بين واقعين: قديمة غائبة وأخرى راهنة، تلمَّح الصيغة إلى ما يكون بينهما من اتصال عماده (المشابهة) بهدف التبصير والعظة، فهو كما يقول المبرد "قول سائر شبه به حال الثاني بالأول" (٢)، أو كما يقول الراغب الأصبهاني "عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني، أي معنى كان، وهو أعم الألفاظ الموضوعية للمشابهة" (٣)، فلمثل هذا المعنى، ولما يتفرَّع عنه دور في توجيه الدراسات على اختلاف أوجهها، وصرف أنظارها إلى (صيغة المثل) التي أخذت مركز البحث والاهتمام ودُفِع كل ما عداها إلى مرتبة ثانية (ثانوية)، حتى عُدَّت (قصة المثل)، في حال التعامل معها، أمراً تابعاً إنما يؤتى به لبيان مناسبة المثل وتفسير صيغته. وقد

(١)- المبرد، الكامل: ٢٠٧م ٢.

(٢)- الميداني، مجمع الأمثال: ٦/ ١.

(٣)- الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن: ٤٦٢.



## حددت سمات المثل ومميزاته

كالإيجاز البالغ، والصيرورة، ومخالفة لفظ المضروب له وموافقته معناه، من مدى دراسته إلى الدرجة التي يصرّح معها د. عبد الله إبراهيم بصعوبة ((إدراج المثل بوصفه نوعاً نثرياً طبقاً للمعايير التي تحدد الأنواع الأدبية))<sup>(١)</sup>، من دون أن تغيب عن الأذهان معالجة الباحث للأنواع القصصية (الرئيسية) كالحكاية الخرافية (ممثلة بألف ليلة وليلة)، والسيرة، والمقامة، التي خصص لها بحثه (السردية العربية)؛ إن إلحاق المثل بالأنواع المذكورة ولو على سبيل القياس أمرٌ يحمل المثل، بما يسحبه من ظلال حكاية، على غير محمله ويقيسه بغير مقياسه إذ تقتضي الدراسة في معابنها للخصائص النوعية للمثل فصله عن الأنواع المذكورة وملاحظة سماته الخاصة وهي تؤسس حضورها (عبر التاريخي) في عدم انغلاقها على زمان ومكان معينين، وفي توجهها وهي تسعى لالتقاط وقائع صيغها وتجارب أناسها إلى تقديم وصف أنثولوجي (بانورامي) لشخصية الأمة خلال مراحلها المختلفة.

إن دراسة السرد العربي بوصفه حصيلة مجموعة من أنواع، تحمل أهمية مضاعفة فهي تعلن قدرة هذا السرد على الامتداد والتنوع اللذين يوفران له أفقاً (أجناسياً) يثرى بما يكون بين أنواعه من تباين واختلاف، مثلما تعمل في فحصها لأنواعه، على الإسهام في تأمل تاريخ هذا الجنس وترسيخ الوعي به<sup>(٢)</sup> بما يمنح الدراسة عبر وضوح موقع مادتها على الخريطة النوعية للسرد العربي القديم، فرصة اختبار مكوناتها ضمن أطرها الخاصة وداخل سياقاتها، وممارسة دورها في فحص مقوماتها الشكلية، فإن شكل التعبير يتحكم إلى حد بعيد بتحديد النوع وكشف قوانينه إذ ((يصعب تحليل وفهم الفلسفة الشعبية والأخلاقية لكل نوع، أو الأنواع مجتمعة، إلا بعد الدراسة التشكّلية لنسق كل نوع وتحديد جذوره التاريخية))<sup>(٣)</sup>. من هنا كان اقتراح الدراسة بتحويل

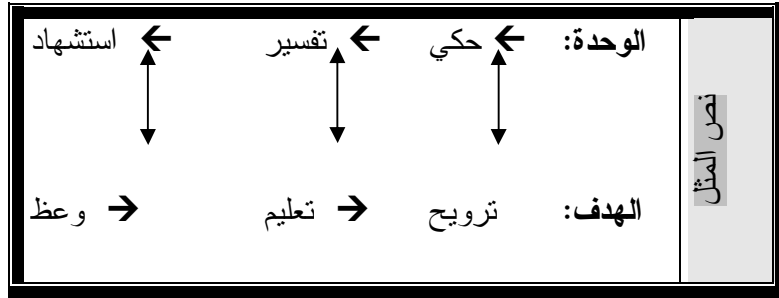
(١) د. عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية: ١٤١.

(٢) ينظر: سعيد قطيبي، كتابة تاريخ السرد العربي، المفهوم والصيرورة، مجلة (علامات) الرياض،

ج ٣٥، مج ٩ مارس ٢٠٠٠: ٤١.

(٣) كلود ليفي شتراوس: وفلاديمير بروب، مساحلة بصدد (علم تشكل الحكاية) ترجمة محمد معتصم: ٨١.

منظورها من الجزئي والخاص إلى الكلي والعام، من الفردي إلى الجماعي، في ملاحظة فضاء إنتاج المثل ورصد مظاهره التعبيرية، إجراءً منهجياً لفتح المجال الضيق الذي حُدد غالباً أمام الدراسات السابقة بصيغة المثل نفسها، لتتوجّه إلى ملاحظة نص المثل (ضمن فضاء أوسع هو فضاء الكتاب) بما ينطوي عليه من وحدات حكاية، وتفسيرية، واستشهادية، وبما يسعى إلى تحقيقه من أهداف وعظية، وتعليمية، وتروحية، تكون ملتزمة مع بعضها، وإن أسهمت سياقات تأليف كتب الأمثال بتقديم إحداها (أحدها) على الأخرى (الأخر)، لكنها تظل مترابطة على الرغم من ذلك، كما في الخطط الآتي:



ترتبط مهمات نص المثل بنظام صياغته ونظام تحولاته وهو ينتقل من (الإخبار) إلى (التمثيل) إلى (التخييل)، وإذا كان (الإخبار) قد مثل القاسم المشترك بين مجمل أنواع السرد العربيّة، فإن الأخيرين يكونان مسؤولين بدرجة واضحة عن انتظام مميزات نصوص الأمثال واستجابتها لحركة السياق الثقافي، في ظهورهما وتواريهما، من دون أن يغيبا نهائياً عن سطح النص، إذ تظل مهمة (التمثيل) في أدنى مراحلها، هدفاً من أهداف (المثل) وميزة مهمة من ميزاته.

تقترح الدراسة في انتقالها من (المثل) إلى (النص) ضمن فضاء عام هو فضاء كتب الأمثال ومؤثرات التأليف فيها، كما ستبين الفقرة اللاحقة، ثلاثة مصطلحات تنظم قراءتها لعموميّة نصوص الأمثال وکليّتها وهي تفحص مكوناتها السردية ضمن مرحلة مهمة من مراحل الثقافة العربية-الإسلامية، هي (نص المثل)، و (صيغة المثل)، و (قصة المثل، وواقعه أو تجربته) بحسب

موجّه الدراسة واختصاص مباحثها، سردياً (قصة)، بلاغياً (تجربة أو واقعة).

### أ. نص المثل:

يُعتمد (نص المثل) للإشارة إلى مادته اللغوية على اختلاف مكوناتها، وبما تؤديه من تمثيل، أو تفسير، أو استشهاد مؤلفة في نسيج سردي يضم (صيغة مثل) أو أكثر، يربطها نظام من العلاقات ويوحّد عملها، وهي تنتظم تحت فقرة أو رقم أو باب من فقرات أو أرقام أو أبواب كتب الأمثال، كلاً حسب ما يختطه منهجه ويقترحه مؤلفه، فنص المثل، بذلك وحدة لغوية استعمالية تتكون داخل مجال ثقافي معلوم متأثرة بما يكون فيه من موجهات خاصة وسياقات.

يمكن تحديد ما تقدّم بالنقاط الثلاث الآتية التي تعتمد الدراسة في معاينة نص المثل وملاحظة خصائصه السردية، كما تعتمد في النظر إلى ما يكون من صلة بين النص وبين مهيمنات الثقافة في عصر معين، بمستجدات موجهاتها، خصوصاً اللغوية وهي تحرف النص جهة الدرس اللغوي وتدرجه في ((نمط خطابي معيّن هو الخطاب التعليمي))<sup>(١)</sup>، مقدّمة في كل مرة مكوناً بنيوياً من مكوناته، فالنص:

١- مادة محددة.

٢- تشكّل كلاً موحّداً.

٣- تعمل داخل مجال ثقافي معلوم.

### ب. صيغة المثل:

تُعتمد (صيغة المثل) في دراسة جملته، مؤداه اللفظي، الذي يُبنى على أساس من خبرة جماعية، أو تجربة فردية تحظى لغرابتها بالقبول والتداول، وهي تختلف عن الحكمة في كون المثل (أقل تجريداً منها وأكثر تخصيصاً، وهو في أكثر الأحيان ذو بعد حسي)<sup>(٢)</sup> توجهت كتب التراث لتحديده بثلاث صفات (إيجاز اللفظ إصابة المعنى، وحسن التشبيه)<sup>(٣)</sup>، وبما أن صيغة الشيء

(١) عبد الفتاح كليطو، الأدب والغرابية: ١٧.

(٢) د. محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي: ٤٩.

(٣) ابن رشيق، العمدة: ٢٨٠/١.

أصله والهيئة التي بُني عليها، فإن صيغة المثل هي أصله ودرّة القول فيه، كقول العرب: أنجز حرّاً ما وعد.

### ج. قصة المثل:

تُعتمد (قصة المثل) في دراسة النظام الأدبي الذي يختص بتشخيص محمول المثل والتمثيل له تمثيلاً قصصياً يُعنى بتتبع الأخبار وتقصيها<sup>(١)</sup>، وتتوفر فيه من العناصر ما تؤهله للإسهام بكشف أوليات التشكيل السردى لهذا الضرب من فنون الأدب في الثقافة العربية، فهو باعتماده الشخصية ركناً، وبانطوائه على السرد والوصف والحوار، وبملاحظته فضاء الحدث بدرجات تتناسب مع نظر عصور إنتاجه، يعمل على تنظيم عناصره تنظيمياً لا يشذ عن وعي الثقافة العربية للقصص عموماً بوصفه (استعراضاً لأحداث ماضية كلاماً، وقد تكون الحوادث تاريخية أو مختلفة أو مزيجاً منهما)<sup>(٢)</sup>.

### ٤. مؤلفات الأمثال:

ابتداءً من منتصف القرن الأول حتى القرن الحادي عشر الهجريين امتدت حركة مهمة من حركات التأليف العربية، توجّهت للعناية بالأمثال بمختلف أشكالها: الشعبية، والناشئة عن شعر، والناشئة عن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، شملت في امتدادها مساحات جغرافية واسعة، وأضاءت تنوعاً حضارياً كشف في جانب أساسي منه حياة العربي وتجاربه وهي تتعكس على مرآة المثل لتتطبع في ذاكرة الإنسان ضمن رصيد خبراته وتجليات معارفه. وقد عملت دراسات الأمثال على تقسيم مراحل التأليف فيها إلى ثلاث<sup>(٣)</sup>

---

يضيف (إبراهيم النظام) للمثل صفة رابعة هي (جودة الكناية) ليعده معها نهاية البلاغة.

ينظر: الميداني، مجمع الأمثال: ٦/١.

<sup>(١)</sup> ينظر: ابن منظور، لسان العرب: مادة (قص).

يقال قصصت الشيء إذا تتبع أثره شيئاً بعد شيء.

<sup>(٢)</sup> د. عبد الله أبو هيف، القصة العربية الحديثة والغرب: ٢٧٢.

<sup>(٣)</sup> ينظر: العبدري، تمثال الأمثال، تح د. أسعد زبيان: ٥٦.

وينظر: عفيف عبد الرحمن، الأمثال العربية القديمة، (المجلة العربية للعلوم الإنسانية) الكويت

ع ١٠ مج ٣/١٩٨٣: ٢٧.

مبتدئة بكتاب المفضل الضبّي لكونه أول ما وصل منها، مثلما هو أول كتب التأليف الأدبي العربيّة<sup>(١)</sup> بيد أن مرحلة مهمة سبقت كتاب المفضل وهيأت له رصيذاً من الأمثال وقصصها تستوجب النظر والتدقيق هي مرحلة الإخباريين والقصاص التي وجد رجالها خلال عصر بني أمية مجالاً لما في صدورهم من حكايات وأخبار وقد اكتفت الدراسات بالإشارة إليها وهي تركز على (ما وجد) من كتب، في سعيها لتقديم تحليلاتها عن (مجتمع) المثل بمختلف ظواهره التي حمل كتاب المفضل الضبّي والكتب اللاحقة له حصيلة مناسبة منها.

إن أصداءً من المرحلة الأولى تدعونا، وهي تتردد في كتابي (البكري) و (الميداني) المتأخرين على نحو خاص، إلى النظر في خصوصية هذه المرحلة وهي تمثل بما حملته مدوناتها الأولى الحجر الأساس في (التشكيل السردى) لنصوص الأمثال، الأمر الذي لم يكن وليد لحظته في كتاب المفضل، وإن اتخذ على يديه انتظاماً أدبياً ميزته سمات حكاية واضحة، مثلما مثلت هذه المرحلة حلقة مهمة في توصيل مادتها برصيدها من الأمثال، وبما حملته من نزوع قصصي ساعد، في جانب منه، في الحفاظ على صورة من صور التفكير (الخرافي)، وكشف أهمية حضور الفن القصصي وخصوصية أثره في الحياة العربيّة.

لقد عرف التأليف في الأمثال تطوراً خضعت فيه الكتب بين مرحلة وأخرى إلى تغيرات في النظر إلى موضوعها، وتحولات في طرائق الإنتاج ومناهجها اقترحتها خصائص العصر الثقافية واهتمامات المؤلفين؛ تتوجه دراستنا في عنايتها بتفحص النسائج السردية لنصوص الأمثال لتقسيم إنتاج كتب الأمثال العربيّة إلى أربع مراحل تفصل فيما بينها تحولات نوعيّة أسهمت على نحو مباشر بتطور موضوعة التأليف الأدبي، ومنحت العربيّة حقلاً ثرياً من حقول معارفها، ومن الضروري الإشارة إلى افتراضية هذه المراحل، وإلى ما يكون بينها من تداخل وتنافذ، فإن تغيرات التأليف لا تحدث في العموم على نحو فجائي بل تتطلب من الإعداد والتجارب ما يمدّ جسوراً بين هذه المراحل لتغدو

---

وينظر: عبد الغني أبو العزم، كتب الأمثال مجامع أم معاجم، مج (فكر ونقد) المغرب س ٤ ع ٣٥ / ٢٠٠١: ١٢١.

(١) د. زكي ذاكر العاني، دراسة تحليلية في أقدم كتاب في الأمثال، مج (المورد) مج ٢٤ ع ١ / ١٩٩٦: ٨.

الحدود واهية إنما تقتضيها الدراسة لطموحها في المعاينة المنتظمة لأنشطة الإبداع الإنساني.

افتتحت حركة تدوين الأمثال بعضاً من اهتمام بني أمية -على ما يبدو- بالحكاية والمسامرات التي ضمت ((أقاصيص القرآن، والكتاب المقدس، وحكايات جنوبي الجزيرة العربية، كما حكيت أخبار حياة الرسول عليه السلام والفتوحات الأولى، في ثوب روائي، وأصبحت الحروب العربية، أو ما يسمى (بأيام العرب) مادة للمسامرة))<sup>(١)</sup>، إذ يُقال أن معاوية بن سفيان أحضر عبيد بن شربة الجرهمي، وهو من أوائل من صنفوا في هذا المضمار، من الرقة<sup>(٢)</sup> إلى دمشق ليقصّ عليه قصص الأولين<sup>(٣)</sup>، وقد مثّلت وقائع الأمثال وتجارب أناسها مصدراً من مصادر القصص التي تميّز روايتها بالبراعة في الحفظ بحسب وصف ابن النديم لصحار بن عياش العبدى<sup>(٤)</sup>، وربما أجابت ملاحظة مثل ارتباط مدونات الأمثال الأولى بالقصص ورواتها عن السؤال الذي يبحث في دواعي تركيز المفضل في كتابه على الأمثال الجاهلية المقترنة بالحكاية - إلى الحد الذي تصادفنا في كتابه حكايات بلا أمثال<sup>(٥)</sup> - فإن واحداً من الأسباب الرئيسية لذلك هو انشغال مدونات المرحلة الأولى التي هيأت مادة مناسبة للمفضل الضبي، بالمثل الجاهلي وبما ارتبط به من حكايات، وإن لم يصرح المفضل بمصادر كتابه، لكن الدارس يمكن أن يستنتج ارتباط الكتاب بما سبقه من مدونات من خلال اعتماد نصوصه على (الخرافة) بسماتها المذكورة، وإطلاق العنان للمخيلة في تصوّر العلاقات الجاهلية، الاجتماعية والعاطفية، وعلى نحو أخص الجنسية، من دون تحفظ أو شعور بالحرج<sup>(٦)</sup>، فضلاً عن اعتماد الوقائع الجاهلية الكبرى وأخبارها التي مثلت مادة أساسية من مواد المسامرات، فضاءً لإنتاج المثل، وهو ما حدا بالدراسة للعناية بالكتاب لما مثّله من خطوة مهمة بين خطى تأليف كتب الأمثال، لم يقف أثره عند الكتب القريية

(١) رودولف زلهام، الأمثال العربية القديمة: ٥١.

(٢) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حران ثلاثة أيام.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٥٩/٣.

(٤) ينظر: ابن النديم، الفهرست: ١٠٢.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: المفضل الضبي، أمثال العرب: ١٦١.

(٧) نفسه، مقدمة المحقق: ٤٢.

اللاحقة، بل اتصل ليشمل خارطة تأليفها الممتدة قرونًا، وتعدى ذلك إلى مؤلفات الأدب العامة والمعاجم والموسوعات، فقد (انتقلت معظم قصص أمثال المفضل الضبّي - وإن لم تكن بكامل تفاصيلها إلى مؤلفات اللغويين القدامى من الكوفيين والبصريين)<sup>(١)</sup>، ممثلًا معينا لم يُستغن عنه على الرغم من تغيّر سياقات الثقافة وموجهاتها، وتحول أساليب التأليف وطرائقه، وإن لم يكن قد كتب بأسلوب علمي أو بطريقة منهجية، بيد أن ذلك لم يمنعه من اقتراح نظام أدبي لافِت ضمن مقومات عصره، يضع أمام دارس السرد القديم وثيقة مبكرة من وثائق التأليف الأدبي عند العرب تستحق غير العناية الموضوعاتية واللغوية، والدراسة التاريخية والمقارنة، ملاحظة ما انطوت عليه من خصائص فنية تسهم في تأمل نصوص كتب الأمثال لذاتها، فإن النصوص القديمة عندما لا تدرّس لذاتها تبدو، لا محالة، مشوبةً بالنقص والشذوذ<sup>(٢)</sup>.

إن تفحص مكونات الكتاب والنظر في عناصره السردية المميزة وحمولاته الخبرية داخل إطار عصره يُسهم بتبيين ما ينطوي عليه من (فاعلية) لا تتغلق داخل حقل إنتاجه بل تعمل من موقعها على خريطة السرد العربي، على إدامة نمط من أنماط التفكير أدى معه علماء اللغة مهمات مضافة طبقاً لمعطيات هذه المرحلة المبكرة حتى غدا التصدي لموضوعة الأمثال، وجمعها، وتطوير خصائص وأساليب التأليف فيها، وجهًا من وجوه العناية اللغوية. يمكن إجمال مسوغات الدراسة للاهتمام بكتاب (أمثال العرب) بما تميّز به من خصائص لم يكن معها ((كتابًا خالصًا في الأمثال، وإنما كان كتابًا في الأمثال وفي الأيام وفي القصص))<sup>(٣)</sup>، فضلًا عما يشكّله من أهمية على الصعيدين التاريخي والفني تمثلت في النقاط الآتية:

- أ. أسبقيته بين كتب الأمثال.
- ب. أهمية مادته القصصية.
- ج. تنوّع محموله الخرافي.

(١) رودولف زلهام، الأمثال العربية القديمة: ٥٣.

(٢) عبد الفتاح كليطو، الحكاية والتأويل: ٦٩. وينظر د. عبد المجيد عابدين، الأمثال في النشر العربي القديم: ٣٧.

(٣) د. زكي ذاكر العاني، دراسة تحليلية في أقدم كتاب في الأمثال، مج (المورد) مج ٢٤ ع ١/١٩٩٦: ٤.

#### د. خصوصية نظامه السردى.

ولغرض ملاحظة أثر موجّهات التأليف وتغيّرات السياق الثقافى على إنتاج كتب الأمثال، ودوره فى حركيّة التشكيل السردى لنصوصها تتوجه الدراسة للانفتاح على مراحل التأليف على النحو الآتى:

المرحلة الثانية (الأدباء واللغويون)	-المفضل الضبّي (ت ١٧٠هـ) كتاب الأمثال -أبو فيد مؤرّج السدوسي (ت ١٩٥هـ) كتاب الأمثال
المرحلة الثالثة (التصنيف بحسب الموضوعات)	-أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ) كتاب الأمثال -أبو عكرمة الضبّي (ت ٢٥٠هـ) كتاب الأمثال
المرحلة الرابعة (معجمات الأمثال)	-البكري (ت ٤٨٧هـ) فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال -الميداني (ت ٥١٨هـ) مجمع الأمثال

وقد سعت الدراسة فى تأملها لخصائص نصوص المرحلة الأولى إلى معاينة ما ذُكر منها فى كتاب (البكري)، على ما فى هذه الخطوة من خطورة لما يمكن أن يكون قد داخل النصوص من تغيير خلال رحلتها من مدونات "صحار"، و"علاقة"، و"عبيد" فى المرحلة الأولى، إلى كتاب (البكري)، لكنها خطوة لازمة فى مثل هذه الدراسة لما تمثّله هذه المرحلة من بُعد تأسيسى أثر فى كتب الأمثال فى المرحلة الثانية على نحو خاص، وأسهم، بدرجات متفاوتة، باقتراح تشكّلاتها السردية. وقد اعتمدت الدراسة الكتب المحققة تحقيقاً علمياً يؤمّن لها الظهور بصورتها الأولى قدر الإمكان، متجاوزة الكتب المجموعة والمنشورة نشرًا جزئياً، والمختصة بنوع معين من الأمثال، فإن الكتب المجموعة مثل كتابي أمثال الأصمعي، وأمثال أبي زيد الأنصاري، تختلف عن صورتها الأصلية فى عدد أمثالها وفى منهجها وترتيب مادتها<sup>(١)</sup>، فهى تجتهد فى سبيل جمع ما تبقى متناثراً فى كتب الأمثال واللغة وكتب الأدب العامة من

<sup>(١)</sup> ينظر: الأصمعي، كتاب الأمثال، جمع نصوصه وحققها وقدم لها د. محمد جبار المعبيد: ٩ و

و: كتاب الأمثال لأبي زيد الأنصاري، جمع وتحقيق د. عبد الحسين معتوق الصكر (ضمن رسالته للدكتوراه، مرقونة على الآلة الكاتبة) جامعة البصرة، كلية التربية ١٩٩٧.



مواد كتاب معيّن، مما يؤثر، بالنتيجة، في صورة الكتاب الأصلية، ويُخضع نصوصه لإعادة الإنتاج ضمن سياقات جديدة تغيّر من نسائجها السردية ولا تهتم في أحيان كثيرة بغير محمولاتها ونقولات أخبارها. أما الكتب المنشورة نشرًا جزئيًا فلا تقدّم إلا تصورًا محدودًا عن صورها الأصلية تغيب معه، كما في النقطة السابقة، سمات منهجها وترتيب موادها. وتهتم الكتب المختصة بنوع معيّن من الأمثال ككتب أمثال القرآن الكريم بكشف أهمية مرجعها، والوقوف على جانب من جوانب الإعجاز فيه، وهي تتفتح في دراستها للأمثال القرآن على حكمة الله تعالى، فإن من حكمته كما يقول الزركشي ((تعليم البيان، وهو من خصائص هذه الشريعة، والمثل أعون شيء على البيان))<sup>(١)</sup> بما ينأى بها عن الصورة العامة والمتداولة للمثل وقصته ويخضعها لاشتراطات القرآن الكريم البلاغية.

## ٥-مراحل تأليف كتب الأمثال:

### أ. المرحلة الأولى: الإخباريون والقصاص

— صحرار بن عياش العبدي (ت نحو ٦٠هـ)<sup>(٢)</sup>  
 — علاقة بن كريم (أو كرسم أو كرشم) الكلابي (كان حيًا قبل ٦٤ هـ).<sup>(٣)</sup>

<sup>(١)</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم: ٤٨٧/١.

\*اعتمدت الدراسة في إعداد الجدول على:

(١) رودلف زلهام، الأمثال العربية القديمة.

(٢) محمد أبو صوفة، الأمثال العربية ومصادرها في التراث.

(٣) د. محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني.

(٤) الحسين بن الفضل، الأمثال الكامنة في القرآن، تح د. علي حسين البواب، مجلة (المجمع العلمي العراقي) ج ١ مج ٣٦/١٩٨٥. مع مراجعة نتائج ما استجد من بحوث وتحقيقات.

(٢) ابن النديم، الفهرست: ١٠٢.

(٣) — ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ١٢/١٩٠.

— عبيد بن شربة الجرهمي (ت نحو ٦٧هـ)<sup>(١)</sup>

### ب. المرحلة الثانية: الأدباء واللغويون:

- أبو عمر بن العلاء (ت ١٥٤ هـ): كتاب الأمثال<sup>(٢)</sup>.  
— الشرقي بن القطامي (ت ١٥٨ هـ): .....<sup>(٣)</sup>  
— المفضل الضبي (ت ١٧٠ هـ): أمثال العرب — طُبع بمطبعة الجوائب، مصر ١٨٨٢ م.  
— طُبع بمطبعة التقدم، مصر ١٩٠٩ م.  
— نُشر بتحقيق د. إحسان عباس، بيروت ١٩٨١ م.  
— يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ): كتاب الأمثال<sup>(٤)</sup>.  
— أبو فيد مؤرج السدوسي (ت ١٩٥ هـ): كتاب الأمثال.  
— نُشر بتحقيق د. أحمد الضبي، الرياض ١٩٧٠ م.  
— نُشر بتحقيق د. رمضان عبد التواب، القاهرة ١٩٧١ م.  
— النضر بن شميل (ت ٢٠٤ هـ): كتاب الأمثال<sup>(٥)</sup>.  
— أبو عمرو الشيباني (ت بين ٢٠٥ — ٢٣٥ هـ).  
— أبو عبيدة (ت ٢١٠ هـ): المجلة في الأمثال

---

(١) — ابن النديم، الفهرست: ١٠٢، وياقوت الحموي، معجم الأدباء: ٧٢ / ١٢، ذكر عبيد في قصص الأمثال كثيراً عند المتأخرين من جُماع الأمثال، مثل البكري والميداني في حين أن علاقة وصحار لم يذكروا إلا في شرح البكري للأمثال أبي عبيد، فقد ذكر الأول ست مرات، والثاني مرتين.

ينظر: رودلف زلهاتم، الأمثال العربية القديمة: ٥٢.  
وينظر: البكري، فصل المقال: علاقة الكلابي، ٣٧، ٧٥، ٩٩، ٢٩٠، ٣٢٨، ٣٣٧، صحار العبدى، ٣٠٦، ٣٠٨.

(٢) — الميداني، مجمع الأمثال: ٤ / ١.

(٣) — نفسه.

(٤) — ابن النديم، الفهرست: ٦٩.

(٥) — الميداني، مجمع الأمثال: ٤٢٤ / ١.

— نُشر بتحقيق د. حاكم حبيب الكريطي (مجلة اللغة العربية وآدابها) جامعة الكوفة — ع ١ س ١ ٢٠٠١.

— أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ): كتاب الأمثال — جمع وتحقيق د. عبد الحسين معتوق الصكر ضمن رسالته للدكتوراه، مرقونة على الآلة الكاتبة، جامعة البصرة، كلية التربية ١٩٩٧ م.

— اللحياني (ت نحو ٢١٥ هـ): كتاب الأمثال<sup>(١)</sup>.

— الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) كتاب الأمثال — نُشر بتحقيق د. إياد عبد المجيد، مؤسسة الوراق عَمَّان، ١٩٩٩ م.

— نُشر بتحقيق د. محمد جبار المعبيد، بغداد ٢٠٠٠ م.

— سعدان بن المبارك (ت ٢٢٠ هـ) : كتاب الأمثال<sup>(٢)</sup>

### ج. المرحلة الثالثة: التصنيف بحسب الموضوعات:

— أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣ هـ): كتاب الأمثال — نُشر بتحقيق عبد المجيد قطامش، الرياض ١٩٨٠ م.

— ابن الأعرابي (ت ٢٣١ هـ): .....<sup>(٣)</sup>

— التوزي (ت ٢٣٣ هـ): كتاب الأمثال<sup>(٤)</sup>

— ابن السكيت (ت ٢٤٣ هـ): كتاب الأمثال<sup>(٥)</sup>

— محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ): كتاب الأمثال — نشر محمد حميد الله، قطعة منه في (مجلة المجمع العلمي العراقي) م ٤ / ١٩٥٦ م.

---

(١) — حمزة الأصبهاني، الدرّة الفاخرة: ٥٥.

(٢) — الخطيب، تاريخ بغداد: ٢٠٣ / ٩.

(٣) — السيوطي، بغية الوعاة: ١٠٦ / ١.

(٤) — القفطي، إنباه الرواة: ٢٦١.

(٥) — ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦ / ٣٩٥.

- الزيادي (ت ٢٤٩ هـ): كتاب الأمثال<sup>(١)</sup>.
- أبو عكرمة الضبي (ت ٢٥٠ هـ) كتاب الأمثال — نُشر بتحقيق د.رمضان عبد التواب، دمشق ١٩٧٤م.
- الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ): .....<sup>(٢)</sup>
- ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ): حُكم الأمثال<sup>(٣)</sup>.
- أبو جعفر البرقي (ت ٣٨٠ هـ): كتاب الأمثال.
- علي بن مهدي الأصفهاني (ت بين ٢٥١ — ٢٩٢ هـ): كتاب الأمثال.
- الحسين بن الفضل (ت ٢٨٢ هـ): الأمثال الكامنة في القرآن — تحقيق د.علي حسين البواب (مجلة المجمع العلمي العراقي) ج ١ مج ٣٦ / ١٩٨٥م.

#### د. المرحلة الرابعة: معجمات الأمثال:

- الفضل بن سلمة (ت ٢٩١ هـ): الفاخر — نُشر بتحقيق عبد العليم الطحاوي، القاهرة ١٩٦٠م.
- ثعلب (ت ٢٩١ هـ): كتاب الأمثال<sup>(٤)</sup>.
- أبو محمد الأنباري (ت ٣٠٤ هـ): كتاب الأمثال<sup>(٥)</sup>.
- الترمذي (ت بعد ٣١٨ هـ): الأمثال في الكتاب والسنة<sup>(٦)</sup>.
- نفطويه (ت ٣٢٣ هـ): كتاب الأمثال وكتاب أمثال القرآن<sup>(٧)</sup>.
- محمد بن الجنيد (ت بعد الثلاثمائة): كتاب الأمثال<sup>(٨)</sup>.

(١) — ابن النديم، الفهرست: ٦٣.

(٢) — ياقوت، معجم الأدباء: ١٠٩ / ١٦.

(٣) — ابن النديم، الفهرست: ٨٥.

(٤) — ابن النديم، الفهرست: ٨٠.

(٥) — نفسه: ٨١.

(٦) — فؤاد سركين، تاريخ التراث العربي: ٤ / ١٤٨.

(٧) — ياقوت، معجم الأدباء: ٢٧٢ / ١.

(٨) — ابن النديم، الفهرست: ٢٣٨.

— أبو بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ): الزاهر في معاني كلمات الناس —  
نُشر بتحقيق حاتم صالح الضامن بغداد ١٩٧٩ م.  
— محمد بن أبي جعفر المنذري (ت ٣٢٩ هـ): كتاب زيادات في أمثال أبي  
عبيد<sup>(١)</sup>.

— ابن سمكة القمي (ت نحو ٣٥٠ هـ): جامع الأمثال<sup>(٢)</sup>.  
— الرياضي (ت بين ٣٨٢ — ٣٤٤ هـ).  
— حمزة بن الحسن الأصبهاني (ت ٣٥١ هـ): الدرة الفاخرة في الأمثال  
السائرة.

— نُشر بتحقيق عبد المجيد قطامش، القاهرة، ١٩٧١ م.  
— أبو علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) كتاب أفعال — نُشر بتحقيق محمد الفاضل بن  
عاشور، تونس ١٩٧٢ م.

— الاصطخري (؟): كتاب الأمثال<sup>(٣)</sup>.  
— زيد بن رفاعه (ت نحو ٣٧٣ هـ): كتاب الأمثال — نُشر في حيدر آباد  
١٩٣٤ م.

— أبو أحمد العسكري (ت ٣٨٣ هـ): الحكيم والأمثال<sup>(٤)</sup>.  
— الخالع، الحسين بن محمد بن جعفر الرفقي (ت ٣٨٨ هـ): كتاب الأمثال<sup>(٥)</sup>.  
— أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ): جمهرة الأمثال، طُبِعَ أكثر من مرة  
آخرها بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد  
المجيد قطامش، القاهرة ١٩٦٤ م.

— أبو الندى الغندجاني (؟).  
— أبو بكر الخوارزمي (ت بين ٣٧٥ — ٣٩٥ هـ): كتاب الأمثال.

---

(١) — ياقوت، معجم الأدباء: ١٨ / ١٠٠

(٢) — اقتبس منه السيوطي في المزهرة: ١ / ٤٩٤.

(٣) — انفرد بذكره الميداني، مجمع الأمثال: ١ / ٣٣١.

(٤) — ياقوت، معجم الأدباء: ٨ / ٢٣٣.

(٥) — نفسه: ١٠ / ١٥٥

- النيسابوري (ت ٤٠٦ هـ): أمثال القرآن<sup>(١)</sup>.
- محمد بن الحسين السلمي (ت ٤١٢ هـ): كتاب أمثال القرآن<sup>(٢)</sup>.
- الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ): كتاب الأمثال. ويسمى الفرائد والقلائد، ويسمى العقد النفيس ونزهة الجليس: طبع بدار الكتب، القاهرة ١٩٠٩ هـ.
- علي بن الحسن بن هندو (ت بين ٤٠٦ — ٤٢١ هـ): كتاب الأمثال.
- علي بن الفضل الطالقاني (ت ٤٢١ هـ): رسالة الأمثال، طبع في القاهرة ١٩١١ م.
- أبو الفضل الميكالي (ت ٤٣٦ هـ): كتاب الأمثال. نشره د. زكي مبارك، القاهرة ١٩٤٤ م.
- علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠ هـ): أمثال القرآن<sup>(٣)</sup>.
- الحسن بن عبد الرحمن القضاعي (ت ٤٥٤ هـ): الأمثال الكامنة في القرآن<sup>(٤)</sup>.
- الواحدي (ت ٤٦٨ هـ): الوسيط في الأمثال: نُشر بتحقيق د. عفيف عبد الرحمن، الكويت ١٩٧٥ م.
- البكري (ت ٤٨٧ هـ): فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: نُشر بتحقيق د. عبد المجيد عابدين، ود. إحسان عباس، جامعة الخرطوم، السودان ١٩٥٨ م.
- الميداني (ت ٥١٨ هـ): مجمع الأمثال — نُشر بتحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٩ م.
- الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): المستقصى في أمثال العرب — طبع في حيدر آباد ١٩٦٠ م.

(١) — حاجي خليفة، كشف الظنون: ١ / ١٦٨.

(٢) — نفسه: ١ / ١٥٠.

(٣) — نفسه: ١ / ١٥٠.

(٤) — رودولف زلهام، الأمثال العربية القديمة: ٣٦.

- ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ): كتاب الأمثال.
- ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر — نُشر بتحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٣٩ م.
- عبد العظيم بن عبد الواحد المصري (ت ٦٥٤ هـ) بديع القرآن، تحقيق: د. حفني محمد شرف، القاهرة ١٩٥٧ م.
- ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ): الأمثال في القرآن الكريم — نُشر بتحقيق سعيد محمد نمر الخطيب، بيروت ١٩٨١ — وبتحقيق د. موسى بناي العلي، بغداد ١٩٨٧ م.
- العبدري (ت ٨٣٧ هـ): تمثال الأمثال — نُشر بتحقيق أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش القاهرة ١٩٦٤ م وبتحقيق د. أسعد زبيان، بيروت ١٩٨٢ م.
- اليوسي (القرن الحادي عشر الهجري) زهر الأكم — تحقيق حجي والأخضر الدار البيضاء ١٩٨١ م.

\*\*\*





# الفصل الأول

## الإطار

— (مدخل) الإطار السردي

— الاستهلال

— الفصل والوصل

— الخاتمة



## الإطار السردى: مدخل

إن الدراسة التفصيلية لوحدات النص الأدبي، والوقوف على حيوية عناصره، تتطلب بدءاً، النظر إلى صورته واستجلاء نظام وحداته وهي تتصل فيما بينهما بما يضيء جانباً أساسياً من شخصيته الأدبية، هذا الجانب الذي يرتبط بترتيب الوحدات وانتظامها وهي تشكل إطارها الخاص بما تشغله من مساحة سردية وبما تقيمه من علاقات فيما بينها لتكون، بذلك، لُحمة النص ومجال الارتباط بين أجزائه، وهي تنتقل، في شمول معنى (الإطار) وامتداد عمله، من الحدود الخارجية للنص إلى طرائق ارتباط وحداته الداخلية وأوجه ترتيبها وهي، كما يُشير أرسطو في شعريته مكمّن الجمال فيه<sup>(١)</sup>. لتتدرج معالجة موضوع الإطار السردى عندئذٍ، ضمن مبحث عام هو (ترتيب) وحدات النص الأدبي الذي يُعدّ مسؤولاً عن الانتظام الشكلي للنصوص، ويُسهم في مجال أوسع من البحث، ضمن خصائص سردية أخرى، في معاينة السمات النوعية التي تفرّق بين نصوص السرد العربي القديم وتجسّد شخصياتها ضمن النمط الواحد، إذ يتشكل نص السرد عبر تنسيق مجموعة من الوحدات تخضع في حضورها لبناء خاص لا يتحدد بنقطتي البدء والانتهاى على ما تمثّلانه من أهمية، بل يمتدّ ليشمل طرائق تنظيم وحداته الداخلية وهي تؤمّن ما يمكن من العلاقات فيما بينها، لتكون أمام وحدات ثلاث تشكل بما تقترحه من صلات مركز عناية الدراسة في توجّوها لفحص إطار نصوص الأمثال وهي:

١ — الاستهلال.

٢ — الفصل والوصل،

٣ — الخاتمة.

---

(١) — ((لا ينبغي أن تقع فيه [الشيء الجميل] الأجزاء مرتبةً فحسب، بل ينبغي كذلك أن يكون له عظم لا أيّ عظمٍ واتفق، لأن الجمال هو العظم والترتيب)).  
أرسطو، كتاب أرسطو طاليس في الشعر، تح: د. شكري محمد عياد: ٦٠.

إن محاولة النظر إلى ما يتشكل من انتظام بين بدء النص وانتهائه، ومن ثم الارتفاع به لإدراك ما يكون بين وحداته من ترابط بنائي ممكنة في ضوء ما يميّز وحدات الإطار من سمات ((فالنص ذو بداية، ومجال وسط قد يطول وقد يقصر، ونهاية، وهي نقاط يمكن التوقف عند أي واحد منها وفصلها عن غيرها، ولكنها لا يمكن أن تفهم معزولة عنها فكل مكون من مكوناته يمثل معلماً تتقدم بها الأحداث إن كانت حدثاً، وتتعدد بها الذوات إن كانت ذاتاً))<sup>(١)</sup>.

إن خصوصية الترابط، وآليته، بين وحدات النص السردية تدعو الدراسة لملاحظة فاعلية نظامه الأدبي وهو يقترح، في كل مرة يستجيب فيها لموجهات النسق الثقافي، انحرافاً ما في الانتظام الشكلي لنصوصه، على الرغم من محافظته على تقاليد محدودة تظل، مع تغيير السياق، أساسية في توجيه كل نوع من الأنواع، إذ إن السرد القديم ((يحرص على احترام افتتاحية معينة، وإن شيئاً من التفكير يجعلنا نقنع بأنه يحترم كذلك خاتمة معينة تنبئ بأن السرد قد انتهى))<sup>(٢)</sup>، بما يوجه الدراسة لتأمل قدرة النسائج السردية على اقتراح ترابط بنائي يضم وحداتها المختلفة ويرتفع بها في إنتاج شكل تميزه، من بين أشكال النثر، فاعلية نوعية هي في الوقت نفسه نتاج عملية (الاختيار والترتيب) التي تقوم بالمهمة الرئيسية في إنتاج (الإطار) بما يميّز وحداتها من تواسج وتنظيم، وهي تمهد لانطلاق السرد وتتهيء المجال، باشتغالها ضمن نسق ثقافي معين، لتحقيق أهدافه.

## الاستهلال:

توجهت العناية البلاغية والنقدية لدراسة الاستهلال بوصفه ((الطليعة الدالة على ما بعدها))<sup>(٣)</sup>، والاهتمام بما ينطوي عليه من خصائص أو سمات تفتح المجال باتجاه النص والقارئ فتعمل على إضاءة (غرض) النص<sup>(٤)</sup> مثلما تسعى لتنبه وإيقاظ نفس القارئ<sup>(٥)</sup>؛ غير أن دراسة الاستهلال في كتب الأمثال يمكن

(١) — الأزهر الزنّاد، نسيج النص: ٤٣.

(٢) — عبد الفتاح كليطو، الحكاية والتأويل: ٣٤.

(٣) — حازم القرطاجني، منهاج البلغاء: ٣٠٩.

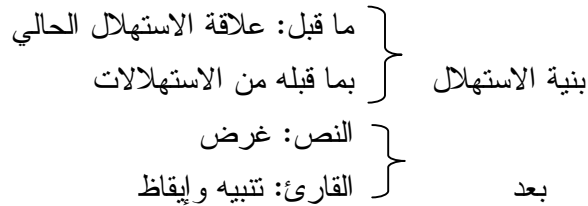
(٤) — ينظر: د. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية: ١ / ١٩٦.

(٥) — ينظر القرطاجني، منهاج البلغاء: ٣١٠.

أن توجّهنا جهة ثانية تكشفها الخصائص السردية التي تميزت بها بنيته، في ثباتها وحركيتها وهي تقوم بالأساس على ما يوفره السرد من إمكانيات تسهم، على نحو غير محدد، بتشكيل نص المثل، وتأمين نظم علاقاته ليكون الاستهلال عندئذٍ، ((فعلاً تآليفاً يتقدم النص ويؤطره ممهداً لجريان السرد في مسارات شتى تشكل شبكة عريضة من العلاقات))<sup>(١)</sup>.

إن الاكتفاء بموقع (حسن الابتداء) الذي عملت النظرة النقدية على تثبيته وإطالة معانيته في دراسة موضوع الاستهلال والوقوف على ما يحققه من ملائمة لإضاءة النص الأدبي لا يُعين الدارس على تبيين ما تنطوي عليه بنيته من علاقات ظلت بمنأى عن نظر النقاد والدارسين باكتفائهم بجهة واحدة من جهتي الاستهلال، إذ إن باستطاعتها أن تمدّ أثرها بشكل مزدوج فتفتح على ما قبلها مثلما انفتحت على ما بعدها، لتضيء سلسلة إسناد، وتكشف نظاماً، وتحدد موجّهات، مثلما تُعيّن غرضاً، وتنبّه قارئاً، فإن الغرض والتنبيه لا يؤديان من دون علاقة يقيهما نمط الاستهلال الحالي مع أنماط الاستهلال السابقة، بأساليبها وأشكالها المختلفة داخل جنس أدبي معيّن، بما يُعين على تأمين (أفق انتظار) يكون من بين سماته التنبيه والإيقاظ.

إن نوعاً من التلازم الضمني بين جهتي الاستهلال يدعونا لمعاينة بنيته بقدرتها على إضفاء مستوى من الفاعلية والانتظام على ما يقوم داخلها من علاقات، فالاستهلال كما تقدّمه كتب الأمثال لا يكتفي بجهة واحدة من بين جهتي السرد، بل يُلَمَع إلى أهمية علاقته بما قبله، فالموقع البنيوي للاستهلال في كتاب معيّن من كتب الأمثال يملك أن يشير لموقع آخر هو موقع الاستهلال نفسه في سلسلة استهلالات هذه الكتب، من هنا، كانت أهمية معاينة جهتي الاستهلال في كتب الأمثال على النحو الآتي:



(١) — الطاهر روايينه، شعرية الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي القديم، عن: مختلفون، السيميائية والنص الأدبي: ١٤٠.

يحيّلنا تأمل الاستهلال في كتب الأمثال العربيّة إلى خصوصية بنيته السردية التي لا تتوجّه في الغالب إلى كشف عناصرها وتهيئة المجال أمامها للتشكّل والانسجام كما في (ألف ليلة وليلة) على سبيل المثال، ولا تتكفل كما في (المقامة) بكشف المستويات الزمنية لبنية السرد وتنظيم مهمات الراوي<sup>(١)</sup>، بل إنها تعتمد إلى الانفتاح على جهتي الإخبار، الـ(ما قبل) ممثلة بسلسلة رواة غائبين، والـ(ما بعد) ممثلة بمفاد الخبر، محموله، ونظام الإبلاغ فيه، فهو العتبة التي ((تفتح السبيل إلى ما يتلو))<sup>(٢)</sup> وتشير أو تكشف في الوقت نفسه عن سابقي رواته. فالمثل العربي لا يُقدّم بالنظر إلى نظام الاستهلال، بوصفه نتاجاً يرتبط ارتباطاً مباشراً بـ(مؤلف) أو يتمثل لرغبات (راو) معين، فالخبر يتجسد وهو يمرّ عبر سلسلة مخبرين لا تتجرّد عن شعورها ولا تصرّح بشكل واضح بما تشعر أو تظن فتكتفي كما تقدّم إحدى حلقات السلسلة بالظن أو التلميح بعدم صدق ما يروى، يقول ابن منظور ((وقال الليث: سمعت أهل العربية يقولون إذ قيل ذكر فلان كذا وكذا فإنما يُقال ذلك لأمر يُستقن أنه حق، وإذا شك فيه فلم يُدرَ لعله كذب أو باطل قيل زعم فلان))<sup>(٣)</sup>، ويورد القرآن الكريم ما يؤكد ذلك ﴿زعم الذين كفروا أن لن يُعْثُوا<sup>(٤)</sup>﴾، ﴿فَقَالُوا هَذَا اللَّهُ بزعمهم<sup>(٥)</sup>﴾، ﴿أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون<sup>(٦)</sup>﴾، فـ(زعم) أي قال، وقيل بجملته ابن منظور - هو القول يكون حقاً ويكون باطلاً.

إن هيمة صيغة (زعموا أن) على استهلال نصوص أمثال كتاب (المفضّل الضبّي)، وامتدادها من الاستهلال إلى المتن في نماذج كثيرة منها بما تتمتع به من قدرة على التتويج والتفصيل لإدامة السرد، تدعونا إلى ملاحظة علاقة هذه الصيغة من بين صيغ افتتاح آخر بجنس الخبر، بتعدد أنواعه، وأشكاله، وما

(١) - ينظر د. عبد الله إبراهيم، السردية العربية: ١٩٤، ١٩٦.

(٢) - أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي: ٢٣٥.

(٣) - ابن منظور، لسان العرب: مادة (زعم).

(٤) - التغاين/٧.

(٥) - الأنعام/١٣٦.

(٦) - الأنعام/٢٢.

يدور حوله من قصص أو وقائع، تاريخية أو متخيلة<sup>(١)</sup>، فالاستهلال السردى، على العموم، ((ما هو إلا نوع من الإسناد المركب الذي انحدر من تقاليد الإسناد في فن الخبر))<sup>(٢)</sup> وقد بقيت الأمثال، على نحو خاص، أمانةً على تلك التقاليد وإن خضعت في بعض أوجهها لموجّهات عصرية غيّرت من مستوى وشكل تعاملها مع محمولات نصوصها، في الوقت الذي عملت نماذج سردية أخرى على الانفصال عن صور استهلال الخبر بما يسهم بتشكيل بناها السردية، وهي ملاحظة لن تقف داخل حدود النوع متأمةً علاقة الاستهلال، في ثباته أو تغيره، بالبنية السردية: سيرة، أو حكاية خرافية، أو مقامة، بقدر ما تؤشر مسافةً معنويةً يحددها مستوى التغير الحاصل بين نوع من الأنواع وبين الخبر، إذ تعني هذه الملاحظة انشغالاً فنياً وفهماً مختلفاً لأدوار العناصر والوحدات في تشكيل العمل السردى.

إن التعامل مع تقاليد الإسناد، والافتتاح أولها، يدعونا للسؤال عن الإمكانية التي يحققها هذا التعامل في تنظيم العمل السردى لـ(ما بعد) الافتتاح، باختلاف البنى السردية بين قصص الأمثال وبين الحكاية الخرافية، أو المقامة، أو السيرة يكشف عن مستوى من الثبات تتمتع به قصص الأمثال مقابل مستوى من التحول والتغير للأنواع الأخرى، يختلف بين كل منها، بما تحدده فعاليتها الإخبارية، وما تنهض به من فاعلية سردية تؤمّن لمستوياتها مجالاً للتشكل والموازرة، الأمر الذي بقي المثل محافظاً فيه على تقاليد الأداء الخبرية بما يشير إلى موقعه وانتظام حدوده في السردية العربية.

وإذا توجهنا للنظر إلى موقع صيغة الاستهلال (زعموا أن) كما وردت في كتاب (المفضل الضبّي)، وكما انتظمت في سلسلة الأمثال العربية تبييناً توسطها بين نوعين من أنواع الاستهلال، مما يمنحها أهمية يمكن تحديدها بالنقطتين الآتيتين:

- ١- الحفاظ على تقاليد قول سابق، مع ما تنطوي عليه من ظن أو تكذيب.
- ٢- منح كتب الأمثال اللاحقة (التي توجهت منها توجهاً لغوياً) إمكانية الإفادة من متونها عبر الحذف والانتقاء.

(١)- ينظر: سعيد يقطين، الكلام والخبر: ١٩٢.

(٢)- د. عبد الله إبراهيم، السردية العربية: ١٩٦.

تُشير النقطة الأولى إلى الأهمية التاريخية لصيغة (زعموا أن) فضلاً عن سماتها البنيوية ودورها واسطة بين حلقات، فلم تعتمد كتب المفضل (ت ١٧٠ هـ) وأبي فيد (ت ١٩٥ هـ) وأبي عبيد (ت ٢٢٣ هـ) وأبي عكرمة (ت ٢٥٠ هـ) إلى استعادة المثل بصورته الأولى، والاستهلال منه بخاصة، كما ورد في ما يتوفّر من نقل عن كتب الأمثال الأولى لصحار بن عياش العبدي (ت نحو ٦٠ هـ) وعلاقة الكلابي (كان حياً قبل سنة ٦٤ هـ) وعبيد بن شريه الجرهمي (ت نحو ٦٧ هـ)، بل إنها عملت على الإفادة من محمولاتها السردية، من دون أن تهتم بعنصر المطابقة مع نصوص أمثالها، وقصصها، وصيغها، إذ يُلاحظ توزع الصياغات الأولى لنصوص الأمثال بين تنظيم جمل افتتاح اسمية، نكرة أو معرفة، تشير من دون تمهيدات أو صيغ استهلال متغيرة أو ثابتة إلى (فواعل) الحدث التي صيغت على أساس أفعالها الأمثال، وبين (أول من..) التي تسهم على نحو واضح بإضاءة أدوار (الفواعل) ليستمر التركيز على أهمية التجربة بوصفها واقعة تاريخية أسهمت ببلورة (صيغة المثل) جرياً على تقاليد شفاهية أسبق، فالصوغ والتشكيل لم يكونا ليبعدا عن موقع (المثل) تدويناً وتاريخاً، ليتمكننا من ملاحظة قابلية الأداء السردية، وتفحص إمكانياته، بل إن الانشغال بالخبر دفع بصياغات المرحلة الأولى للتماهي بالواقعة والاهتمام بالتجربة التي لولاها لما كان المثل. إننا بذلك نتأمل (موقعاً) لتشكيل الصياغة السردية لقصص الأمثال، لا تبدو فيه مسافةً فاصلةً بين (التجربة) وبين (إعادة إنتاجها).

مما نقل عن كتابي علاقة الكلابي، وعبيد بن شريه الجرهمي، نقرأ مجموعة من الاستهلالات تؤكد سعي الصياغة لمواجهة قصة المثل على نحو مباشر، كأنها إذ تُكتب تستعيد الواقعة كما كانت أو كما رُويت أول مرةً على أقل تقدير<sup>(١)</sup>:

ت	صيغة المثل	الاستهلال	الكتاب
١	القول ما قالت حزام	حزام هي بنت الريان..	علاقة الكلابي
٢	عرفنتي نساءها الله	هذا المثل لرجل من العرب له فرس..	علاقة وعبيد الجرهمي

(١) - الأمثال منقولة عن: أبو عبيد البكري، فصل المقال: ٣٧، ٧٥، ٩٩، ٢٩٠، ٢٩، ٣٢٨، ٣٣٧ (علاقة) ٦٤، ٩٣، ٢٣٩، ٢٥٥ (عبيد).



ت	صيغة المثل	الاستهلال	الكتاب
٣	كلاهما وتمرا	الرجل الذي مرَّ بعمره بن حمران هو..	علاقة الكلابي
٤	خلالك الجوفبيضي واصفري	أول من قال (خلا لك الجو..	علاقة الكلابي
٥	التجريد لغير نكاح مثله	أول من قال ((التجريد لغير نكاح..	علاقة الكلابي
٦	لا مخبأ لعطر بعد عروس	إن عروساً لرجل من العرب..	علاقة الكلابي
٧	سبق السيف العذل	أول من قال سبق السيف العذل..	عبيد بن شريه الجرهمي
٨	إحدى حظيات لقمان	كان عمرو بن تَقْن قد طلق امراً..	عبيد بن شريه الجرهمي
٩	وابأبي وجوه اليتامى	أتى النعمان بحمار وحش فدعا..	عبيد بن شريه الجرهمي
١٠	أمر مبيكاتك لا أمر مضحكاتك	كان أصل هذا المثل أن فتاة..	عبيد بن شريه الجرهمي

يُلاحظ مع انتقال الأمثال من كتاب (علاقة الكلابي) أو كتاب (عبيد بن شريه الجرهمي) إلى كتاب (المفضل الضبي) ما يُجرى عليها من تغيير سردي، ما يقع منه على استهلال قصة المثل نحو خاص، ففي المثل رقم (٥) يُلاحظ دور الصفة في كتاب علاقة في توجيه الاستهلال لبيان ترتيب، أو دور، أو أسبقية الفاعل، فـ(رقاش بنت عمرو بن تغلب) هي (أول من قال) بناءً على واقعة تتوجه قصة المثل لسرد تفاصيلها. أما في كتاب (أمثال العرب) للمفضل فلا يُستعاد المثل كما ورد في الكتاب السابق، بوحداته السردية وموجهاته بل إن وحدات جديدة تتشكل في ضوء موجهات من نوع آخر، إذ لم يعد سرد القصة قائماً بغية تحديد دور أو ترتيب، وإن أصبح هذا الأمر من لوازم ورود القصة، فإن صيغة (زعموا أن)<sup>(١)</sup> تملك أن تنظم مجالاً مختلفاً لاشتغال عناصر القصة

(١) -المفضل الضبي، أمثال العرب: ١٢٨.

يُلَمَس فيه، منذ البدء، دور راو غير معيّن، تتسع المسافة بينه وبين ما يروي، مما يسمح بحضور أصوات مجموعة من الرواة من بينهم (علاقة الكلابي)، وإذا كان المثل قد حافظ مع انتقاله من كتاب (علاقة) إلى (كتاب المفضّل الضّبيّ) على (حكايته) بأسماء أشخاصها، وأدوارهم، ومناسبة المثل، مع امتداد ملحوظ يُسهم به كتاب (المفضّل) بإضافة وحدة قصصية جديدة توسع من حلقة الشخص، والأدوار، وتنظم مناسبة لاحتواء مثل جديد، فإن انتقال المثل رقم (٧) من كتاب (عبيد بن شريه الجرهمي) إلى كتاب (المفضّل الضّبيّ) يخضع لتغيّرات تشمل (الحكاية) والتشكيل السرد في وقت واحد، ولم يبق من نص المثل في كتاب (عبيد بن شريه) غير صيغة المثل، ويُلاحظ جريان التغيّرات أنفسها التي جرت على استهلال المثل في كتاب (علاقة الكلابي) على استهلال مثل (عبيد بن شريه)، فاهتمام عبيد يتوجه نحو (أول من قال) أسوة بكتاب علاقة في الإفادة من الصفة<sup>(١)</sup> لتحديد الأسبقية والترتيب، في الوقت الذي تسهم (زعموا أن) في استهلال المثل في كتاب (المفضّل)<sup>(٢)</sup> بتنظيم سبل أداء مختلفة يقترحها موقع المفضّل في سلسلة مؤلفي كتب الأمثال، باختلاف الحكاية بين الكتّابين، وثبات صيغة المثل يكشف دور رواة آخرين غابت أسماؤهم وحضرت رواياتهم ليسهموا بوصول المثل إلى المفضّل الذي سيعمل بدوره على إيصاله إلى لواحق السلسلة من مؤلفي كتب الأمثال، مع الاهتمام بالموجّهات الذاتية منها والموضوعية التي تسهم في توجيه نظم الصياغة والتأليف.

إذا كان موقع صيغة (زعموا أن) في سلسلة الأمثال العربية يُعيّن مرحلةً وسطى من مراحل الاستهلال السرد في موجّهات جديدة تحدد استهلالات من نوع آخر لكتب الأمثال اللاحقة بكتاب (المفضّل الضّبيّ)، مما يُشير إلى دور الصيغة في الحفاظ على بعض عناصر القصة ووحداها ومن بينها العنصر اللغوي الذي توجّهت الكتب اللاحقة للإفادة منه تبعاً لتوجّه مؤلفيها وعنايتهم بالدرس اللغوي، فدور الصيغة يمكن أن يكشف أهمية مزدوجة في الحفاظ على تقاليد سابقة، وتهيئة الفرصة لإغناء توجّه لاحق، فلم تتفصل كتب (أبي فيد) و(أبي عبيد) و(أبي عكرمة) عن كتاب (المفضّل الضّبيّ) بما يمكن الدارس من

(١) - في (أول) وأحوالها يُنظر كتاب سيبويه، تح عبد السلام محمد هارون: ٣٩٧-٣٩٨.

(٢) - المفضّل الضّبي، أمثال العرب: ٤٨.

الإشارة إلى أسلوب جديد أو طريقة مضافة في التعامل مع نص المثل، كما إنها لم تكرر تجربة المفضل نفسها في العناية بالمثل بوصفه نصاً أدبياً يُكتفى في أحيان كثيرة بتركيز النظر داخل حدوده الفنيّة من دون أن تمنح جوانبه اللغوية أو التاريخية ما حظيت به من عناية واهتمام في الكتب اللاحقة، إذ أن مسافة من الانفصال بين نموذجي كتب الأمثال ظلت مؤثرة بما يتحرّك فيها من عناصر النموذجين متماثلة مرّة ومختلفة أخرى، بما يُمكننا ملاحظته عبر النقاط الثلاث الآتية، متأمّلين أثر كل منها على الاستهلال:

١- اعتماد صيغة المثل.

٢- اعتماد معنى المثل ثم قصته كما وردت عن المفضل.

٣- اعتماد رواية المفضل.

في النقطة الأولى تتوجّه كتب الأمثال اللاحقة للإفادة من كتب الأمثال السابقة، والمفضل من ضمنها، في حدود صيغة المثل، من دون أن تمنح جانبها القصصي اهتماماً، إذ تنقل صيغتنا المثليين، (اليوم خمر وغداً أمر) و(أعزّ من كليب بن وائل) إلى كتاب (أبي فيد)<sup>(١)</sup> وتنقل صيغة المثل (إذا طلبت الباطل أنجح بك) إلى كتاب (أبي عبيد)<sup>(٢)</sup> مجردة عن قصصها، على الرغم من أهمية مرجعية تلك القصص وارتباطها بشخصية مهمة مثل صيغة مثل (أبي فيد) الأولى بإشارتها لـ(امرئ القيس بن حجر الكندي) والثانية بارتباطاتها بإحدى حوادث العرب الجسام ويوم مؤثر من أيامها مثل حرب البسوس التي يستخدم (المفضل الضبي) صيغة (أعزّ من كليب..) مستهلاً لنص مثله في كتابه، فيما يتوجّه (أبو عبيد) لإضاءة معنى المثل في ست كلمات على النحو الآتي: (إذا طلبت الباطل أنجح بك، معناه: أن نجح الدعوى يكون عليه لا له) وهو مفاد نص المثل كاملاً في (باب الظلم في ادعاء الباطل والحكم قبل أن تُعرف حجة الخصم).

وفي النقطة الثانية (اعتماد معنى المثل ثم قصته كما وردت عن المفضل) يُلاحظ الاهتمام بجانب اللغة والتفسير للإحاطة بمعنى المثل والتهيئة لاستحضار قصته، فالقصة تعتمد في سبيل تأكيد معنى أو إضاءة تفسير، بما يتطلب توجيهاً

(١)- أبو فيد السدوسي، كتاب الأمثال: ٦٨، ٧٢، المفضل الضبي، أمثال العرب: ١٢٧ و ١٢٩.

(٢)- أبو عبيد بن سلام، كتاب الأمثال: ٢٦٦، المفضل الضبي، أمثال العرب: ١١٨.

خاصاً للعناصر والوحدات السردية، والاستهلال من بينها، ففي المثل (أسرع من نكاح أم خارجة) يعتمد (أبو فيد)<sup>(١)</sup> صيغة المثل نفسها استهلالاً لنصه، مختزلاً القصة إلى أقصى حد ممكن باعتماده صيغة المثل، والفعل الماضي الناقص، مع نقل ما ينتظم من حوار ليخلص إلى العناية بالجانب اللغوي على النحو الآتي:

((أسرع من نكاح أم خارجة)) كانت إذا أتاها الخاطب، قال: خطب، قالت: نكح، فيقول: ارتحلي، فتقول: أنخ.

حدثنا الحسن، قال: حدثنا إسماعيل، قال: أخبرني أبو فيد، قال: سمعت أبا هشام يرفع. وقد سمعت من يقول: خطب نكح).

إن الاهتمام بموجهات مختلفة يتطلب تغيير نظام الارتباط بنص المثل وقصته في وقت واحد، فإذا عملت النماذج الأولى لصحار وعلاقة وعبيد على الانشغال بالواقعة، وإذا ابتعدت صياغات المرحلة الثانية مسافة مع صيغة (زعموا أن)، فإن موجهات العناية اللغوية عملت على تجاوز النظر في المسافة أو الاهتمام بواقعة معينة، منشغلة على نحو كامل بالبحث والاستقصاء اللغويين، الأمر الذي خلخل انتظام القصة وعاءً سردياً وغير من عمل عناصرها.

ويمكننا أن نلمس اهتماماً مزدوجاً بين (اللغة) و(القصة) كما في كتاب (أبي عكرمة الضبي) وهو يورد المثل (لا أطلب أثراً بعد عين) من دون أن نقوتنا ملاحظة الأهمية التي تعامل بها اللغة من عدة أوجه مثل:

١- تقيم العناية اللغوية كالبحت في المعاني أو التفسير على العنصرين التاريخي والقصصي.

٢- الاهتمام بالشواهد الشعرية لتأكيد المعنى.

٣- التعامل الخاص مع قصة المثل.

فلا يمثل الاهتمام اللغوي في كتاب (أبي عكرمة الضبي) توجهاً ثانوياً، بل إنه كما في كتابي (أبي فيد) و(أبي عبيد) يأخذ موقعاً مركزياً لا يؤثر في نظام ورود القصة فحسب، بل يتعداه لفهم المثل نفسه، إذ أنهم وقفوا أمام غريب اللغة أو الشاذ فيها بغية تفسيره والتمثيل له بدلاً من الاهتمام الكامل بـ(الأمثال) نصوصاً وقصصاً؛ من هنا نتأمل استهلالاً جديداً لا للقصة بل لتنظيم سلسلة

(١)- ينظر: أبو فيد السدوسي، كتاب الأمثال: ٦٥ والمفضل الضبي، أمثال العرب: ٦٦.

الأمثال في الكتاب، فلم تعد جملة (زعموا أن) باحتوائها الظن والتكذيب لتفيد في استقصاء تفاصيل الدرس اللغوي، بل إن هذا الدرس بحاجة إلى ما يؤكد اتجاهها من اتجاهاته أو يؤسس منحى، فـ(وقولهم) التي اتخذت فاتحة لإيراد المثل تعتمد بالأساس صدق السابق وأحقية قوله بالأخذ والدرس والمعاينة، ولم تكن غزارة الشواهد الشعرية غير سعي عصر لتأكيد أهمية الاشتغال اللغوي الذي دفع بعنصري التاريخ، المرجع القصصي، والقصة إلى مصاف ثانوي من الاهتمام. لذا لن يكون من الغريب أو نُقدّم صورة جديدة لقصة المثل لا يُراعى فيها دور الانتظام السردى لصورته الأولى، مثلما وردت في الكتاب (المفضل الضبي)، إذ إننا نلمس دور الصفة (أول) في تغيير الاستهلال السردى واعتماد القصة بوصفها عنصراً تكميلياً لا يُطلب منه أكثر من تحديد أسبقية (من قال)، وهو ما يعززه موقع القصة في نظام إيراد المثل في كتاب (أبي عكرمة)، فليس لها غير موقع خاتمة (المثل) بعد أن تتم العناية اللغوية وتستقصى الشواهد الشعرية، فلا يقوم نظام الإيراد على أساس قدم، أو تجربة يُتوجّه فيها للإفادة من المحمول الحكائي لإضاءة موعظة، أو الوقوف على قيمة معينة اجتماعية أو أخلاقية بقدر ما يُعتمد بوصفه إنموذجاً لغوياً يُسعى للإفادة منه بالحفاظ على الجانب اللغوي وصيانتها، فنص المثل يُقيم شبكة لغوية قبل أن تؤدي قصته، أو يُنظر لتجربته نظرة خاصة، إذ أنه يُقدّم عبر مجموعة من الوحدات يمكن ملاحظتها كما يأتي<sup>(١)</sup>:

- ١- الاستهلال: وقولهم ((لا أطلب أثراً بعد عين)).
- ٢- التمثيل اللغوي/ الاستشهاد بالنثر: ومنه قولهم ((لا آخذ ثوبي إلا بعينه)).
- ٣- التمثيل اللغوي/ الاستشهاد بالشعر، وقال الشاعر يذكر رجلاً: وعينه كالكاليء الضمار.
- ٤- التفسير/ الكاليء: النسيئة، وهو التأخير.
- ٥- التمثيل اللغوي/ الاستشهاد بالنثر: ((إن الجواد عينه فرارة)).
- ٦- التفسير/ عينه: نفسه.
- ٧- التمثيل اللغوي/ الاستشهاد بالشعر: ومثله قول الأخطل: تُخبرُ عن

(١)- أبو عكرمة الضبي، الأمثال: ٦٣-٦٥.

مجهوله مرأته.

٨-التفسير/ أي إذا رأيتك دلتك رؤيته على ما غاب عنه منه.

٩-التمثيل اللغوي/ الاستشهاد بالشعر وقال: فلم يبقَ إلا كلُّ خوصاء تدّعي..

١٠-التفسير/ تدّعي: تُخبر عن نفسها..

١١-التمثيل اللغوي/ الاستشهاد بالشعر: وقال علقمة بن عبدة: ولا تزايلني في الروع سلهبة..

١٢-التفسير/ أي يدلُّ عليها ذلك..

١٣-القصة/ وحكي ابن الإعرابي، عن المفضل أن أول من قال ((لا أطلب..)). لا تشير عملية التشكيل السردى لنص المثل بوحداته السابقة، وتؤكد على جانبي التمثيل والتفسير إلى اهتمام بالجانب اللغوي، وعناية بتقديم عدد من النصوص التي يؤتي بها لتؤكد معنى معين يتطلب بدوره نصوصاً أخرى ممثلة أو مفسرة بما يُقيم شبكة نصوص يُسهم النثر والشعر بحياتها قبل الالتفات لقصة المثل فحسب بل إنها تكشف توجّه ثقافة معينة توجّهاً خاصاً، فإذا كان تحول قول ما إلى (نص) يتم ((إذا انضاف إلى المدلول اللغوي مدلول آخر، مدلول ثقافي يكون قيمة داخل الثقافة المعينة))<sup>(١)</sup>، فإن اعتماد (نص) ما، أو مجموعة لتأكيد (قول) أو لتفسير ما غمض منه، أو للتمثيل عليه، لن يكون إلا بتوجّه عكسي يرتفع فيه المدلول اللغوي داخل تلك الثقافة، وهو ما لا يقف عند موقع الوحدة القصصية بين وحدات نص المثل، بل ينسحب على طريقة التعامل مع هذه الوحدة ابتداءً من استهلالها، إذ إن أسلوب الإسناد الذي يتوجّه لتأكيد ما يروى يوحد بين (القصة) وبين الوحدات السابقة ويوجهها اتجاهاً واحداً (وحكى ابن الأعرابي، عن المفضل أن أول من قال ((لا أطلب أثراً بعد عين)) أن بعض ملوك غسان أسر رجلين.. فلم يتوجّه المفضل<sup>(٢)</sup> في تقديم المثل، إلى العناية بـ(أول من قال) لانشغاله بمدلول ثقافي آخر يكشفه اهتمام

(١)-عبد الفتاح كليطو، الأدب والغربة: ١٤.

(٢)-ينظر: المفضل الضبي، أمثال العرب: ١٤٢-١٤٣.

كتابه بتفاصيل التجربة، واستقصاء قيمها، الأمر الذي يُغيّر من أسلوب التشكيل السردى لقصة المثل حال استقدامها في كتاب (أبي عكرمة)، أي حال امتثالها لموجّهات ثقافية تختلف عن الموجّهات التي نظمت تشكيّلها في كتاب المفضل، فالاختزال، وتغيير مواقع الوحدات، والاكتفاء بالبيت الدال من بين النصوص الشعرية التي تحتويها القصة، صياغات تقترحها مدلولات جديدة، أو ممثلات لقيم ثقافية متغيرة.

وفي النقطة الثالثة (اعتماد رواية المفضل) نلاحظ المثلين (في كل واد بنو سعد) و(في النوى ما يكذب الصادق) وهما ينتقلان بما يجري على روايتهما من تغيير، ما يقع منه على الاستهلال بخاصة، من كتاب (المفضل الضبي) إلى كتابي (أبي فيد) و(أبي عبيد) على التوالي، ففي المثل الأول يقدّم الاستهلال صورة لتقاليد الإسناد واستجابة لنظامه، فقصة المثل تتحرك شفاهاً حتى تستقر في كتاب (أبي فيد)، وهي باعتمادها الفعل (حدّث) وبأخذها عنّ لم يُعرف عنه كتاب في الأمثال (الحسن بن عليل، إسماعيل، أبو الخنساء)<sup>(١)</sup>، وبما يُجرى عليها من تغيير كأنما تؤدي مهمة المفضل للمرة الأولى، فهي تلتقط المثل من بين أحاديث السلف، ليكون هذا السلف جزءاً من البنية السردية لنص المثل وصيغة استهلاله، بما يكشف عن جانب من جوانب تأليف كتاب (أبي فيد)، ويُعيّن استجابته لتقاليد عصره. لذا ليس من الغريب أن لا نجد من العناية بقصة المثل ما يعادل العناية بسلسلة سنده، فالقصة تقدّم، على ندرة القصص في الكتاب، مختزلة لا يُؤثر منها غير تحديد الفاعل، صاحب صيغة المثل (الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب) ومناسبته (الاغتراب عن القوم بعد رؤية ما يكره منهم، والعودة لهم بعد ما يلاقي من غيرهم ما لاقاه منهم)، في الوقت الذي يسعى المفضل لإضاءة المناسبة، والاهتمام بتفصيلات حدثه القصصي، مثلما يمنح الشخصية في قصة مثله مساحة أوسع للتعبير عن نفسها.

وفي المثل الثاني يُلاحظ توجه (أبي عبيد) لرواية (المفضل الضبي) على نحو مباشر بما ينظم استهلالاً مكوّناً من صيغة المثل زائداً مصدر روايته (عند النوى يكذبك الصادق، وكان المفضل يخبر بحدثه أن رجلاً...)<sup>(٢)</sup>، مغيراً تبعاً

(١) - أبو فيد السدوسي، كتاب الأمثال: ١٠٠، والمفضل الضبي، أمثال العرب: ٥٠.

(٢) - أبو عبيد بن سلام، كتاب الأمثال: ٥٦، والمفضل الضبي، أمثال العرب: ١٦٣.

لنظامه من حدود تعامله مع ما يُروى، فصيغة الاستهلال في نص مثل (المفضل الضبي) تفتح مجالاً واسعاً، يكاد يكون غير منظور لقصته يُعمّق من زمن التجربة، ويمدّ سلسلة روايتها (زعموا أن رجلاً مضى في الدهر الأول كان له عبد..). في الوقت الذي يحدد نظام استهلال (أبي عبيد) مجال روايته بـ(المفضل) ويقصر من عمق تجربتها بحديثه، فالاستهلال، خلاصة، يتحدد في استجابته لنقائيد الإسناد في الخبر بطريقتين، تعتمد الأولى نظاماً تقترحه صيغة (زعموا أن) وتحافظ عليه، بما يميّز بنيتها النحوية والدلالية من انفتاح، وتشكل الثانية تبعاً لاستجابتها لموجّهات عصرية تتمثل بالعناية بالدرس اللغوي، بما يتطلب التركيز على بنية تصديق (قال، حدّث، ذكر) أو عبر النقل المباشر باعتماد صيغة المثل نفسها استهلالاً للنص.

## الفصل والوصل:

إذا كانت الدراسات البلاغية قد أوقفت مبحث (الفصل والوصل) على ما يكون بين الجمل من اتصال وانفصال، مجتهدة في تعيين مواضعه، وتحديد أثره بما يشير لاختصاصه بركن من أركان الجملة، فإن من العلماء من رفع منزلته ووسّع من اختصاصه لتكون البلاغة بسعة مباحثها وانفتاح آفاقها عبارة عن ((معرفه الفصل من الوصل))<sup>(١)</sup>، ولا شك في أن الجاحظ حينما أولى هذا المبحث أهمية كبيرة، معادلاً إياه بالبلاغة نفسها، أو معرفاً إياها به، لم يكن يعني حدود المبحث وتفصيلاته مثلما استقرت بين أيدي علماء البلاغة، بقدر ما يشير لقابليته على الانفتاح على طرائق التفكير وأساليبه التي يمثل الفصل والوصل جانباً مهماً من جوانب تشكّلها، وإذا كان الفصل والوصل قد درس بحسب تعريف الخطيب القزويني<sup>(٢)</sup> معتنياً بالوصل بوصفه عطف بعض الجمل على بعض والفصل ترك العطف، فإن للمبحث من الأهمية، من جانب آخر، ما يجعله (نظاماً) بلاغياً تترتب على أساسه أجزاء القول وتنتظم مفاصله، فالبلاغة كما يُشير أبو هلال العسكري ((إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كالألّاء بلا نظام))<sup>(٣)</sup>، وإذ نسعى لتأمل مواضع الفصل والوصل في كتب

(١) - الجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ١٨٨.

(٢) - ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح: ١٤٧.

(٣) - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين: ٤٣٨.



الأمثال، وندرس خصائصها، نتوجه لنبيّن جانب من نظامها السردى وانتظامها الجمالى، فالمثل بوحداته وتعدد صورهِ يعتمد بالأساس، وهو يُورَد في هذه الكتب، على قابلية الفصل والوصل التي تؤمّن امتداد المقاطع وانتظامها مثلما تحكم ارتباطها مع غيرها منظمة إجراءات التشكل السردى، ليكون بمقدور نسيج السرد الامتداد من المثل الواحد إلى مجموعة أمثال كما في كتب (المفضل الضبيّ) و(أبي فيد مؤرّج السدوسي) و(أبي عبيد بن سلام) كل على طريقته، مقدماً شبكة أمثال موضوعيّة تعتمد في نظام علاقتها موضوعاً معيّناً تتوجّه فيه للعناية بواقعة، أو شخصيّة حقيقيّة أو متخيّلة، أو تعتمد مجموع أمثال في خلق أو صفة أو حال، مرتفعة بالموضوع عبر استقصاء تفاصيله ليُصبح عندئذ هدفاً للحركة السردية.

إن نصوص الأمثال تقدّم عبر شبكية موضوعاتها إنموذجاً سردياً لاتساع مهمات (الفصل والوصل) وانفتاح نظامه الجمالى وهو يمتد من الجملة إلى المقطع، ومن المقطع إلى المثل الواحد، ومن المثل الواحد إلى مجموع الأمثال، بما يتطلب دراسة (الصيغة) التي تعمل أداة فصل أو وصل تمتد من خلالها مقاطع المثل، وتلتحم وحداته، وتتشكل فروعه وأغصانه، من دون أن تغيب عن أنظار البحث الأهمية الخاصة لصيغة بعينها، والدور الذي تؤديه في انتقالها من الاستهلال إلى المتن لنقوم بأكثر من مهمة في وقت واحد، بمفردها وهي تتكرر من مقطع إلى آخر، أو بمشاركتها مع (صيغ) أخرى، باتصالها مع الاستهلال أو بانفصالها عنه، مما يمنح فكرة الانتظام السردى التي يعمل مبحث (الفصل والوصل) على تبينها فرصة التجسد عبر قنوات انتظام مختلفة نلمس من خلال تغيراتها أهمية الموجهات التي يملك كل عصر بمؤثراته الخاصة واهتماماته واقتراحها، لنقترح بدورها طريقة أو تنشيء سيلاً.

يمكن تقسيم صيغة الفصل والوصل بحسب ما نقيمه من علاقات مع صيغة الاستهلال على النحو الآتي:

١- التطابق: كما تؤديه صيغة (زعموا أن) في حركتها من الاستهلال إلى المتن.

٢- الاختلاف: باستخدام صيغ جديدة تتشغل بمفاد المقطع أو محموله شعراً كان أو نثراً، وتُهيء المجال لوحداته باختلاف توجهاتها للانتظام داخل المثل الواحد.

يُقدّم القسم الأول (التطابق) إنموذجاً سردياً تراعى فيه العلاقات القائمة بين استهلال المثل وبين صيغة الفصل والوصل المعتمدة في الربط بين مقاطعه، مثلما تراعى البنيتان النحوية والدلالية للصيغة في انتقالها من الاستهلال إلى المتن، فهي نحوياً تستعيد الموقع السابق باعتمادها في كل مرة ترد فيها تقديم تفصيل جديد تقصد به إضاءة جانب من جوانب المثل والتهيئة لاحتضان مثل جديد؛ إنها تفتح المجال لاتساع النسيج السردى وامتداده، فتكشف عبر الحفاظ على البنية الدلالية لصيغة الاستهلال مع انتقالها إلى موقع الفصل والوصل أهمية استجابتها لمعيار الظن أو التكذيب، وهي تمتد لإضافة تفصيل أو لتقديم مثل؛ إن الصيغة بحفاظها على بنيتي النحو والدلالة لا تعمل بوصفها أداة ربط مجردة لا يطلب منها أكثر من تحقيق وظيفة عطف بل إنها تسعى للإفادة من قيمة الاستهلال وموقعه لتجسيد نظام ينطوي على إمكانية كشف المناسبة بين مثلين أو أكثر، مثلما يكون بمستطاعه الإلماع لما بين هذه الأمثال من صلة.

تدعونا حركية هذه الصيغة لملاحظة نظام ورودها وهي تُقيم أوضح اتصال لها مع صيغة الاستهلال في كتاب (المفضل الضبي)، فـ(زعموا أن) تحقق حضوراً تتسع على أساسه الأمثال، وتضاء التفاصيل، إنها تستجيب لنظام صياغة محدد في سبيل تقديم تشكيل سردي خاضع لعناية وترتيب، فلم يكن سرد المثل القائم في بنية استهلاله على مستوى من الاتصال بين سلسلة رواة لم تؤخذ متونها بتسليم كامل أو تترك برفض كامل، ليهشم بصيغة داخلية تعتمد الصدق في نقل أو قول، إن الصيغة تستعاد كما وردت في الاستهلال، وإن خضعت لتغيير جزئي، ليظل مجرى الرواية قائماً، مثلما يظل حكمها سارياً بين التصديق والتكذيب، الأمر الذي يكشف عناية سردية خاصة تنظم (أمثال العرب) وتضيء مفاصله كما في الجدول الآتي:

ت	رقم المثل	صيغة الاستهلال	صيغة الفصل والوصل	عدد مرات ورودها
١	١٠	زعموا أن	وزعموا أن	مرة واحدة
٢	١٣	زعموا أن	وزعموا أن	مرة واحدة
٣	٢١	زعموا أن	وزعموا أن	مرة واحدة
٤	٢٧	وكان	فزعم بعضهم أن	مرة واحدة
			ويزعم بعضهم أن	مرة واحدة
			فزعموا أن	ثلاث مرات

ت	رقم المثل	صيغة الاستهلال	صيغة الفصل والوصل	عدد مرات ورودها
			وزعم بعضهم أنه	مرة واحدة
			ويزعم بعض الناس	مرة واحدة
			ويزعم بعض بني	مرة واحدة
			وزعموا أنه	مرة واحدة
٥	٥١	أما قول الناس	زعموا أن	مرة واحدة
٦	٦٢	وزعموا أن	وزعموا أن	أربع مرات
٧	٦٤	زعموا أنه	زعموا أن	مرة واحدة
٨	٦٨	زعموا أن	فزعموا أن	مرة واحدة
٩	٨٣	زعموا أن	زعموا أن	مرتان
١٠	٨٧	زعموا أن	زعموا أن	مرة واحدة

يهيء المثل عبر اعتماده صيغة معينة المجال لتنظيم حركته السردية، فالمثل رقم (٦٢) على سبيل الدراسة يحتوي على عادة أمثال الضبي، موضوعاً محدداً يؤدي دوراً مركزياً في تشكيل مقاطعه السردية أولاً، وإقامة ما يمكن من علاقات فيما بينها ثانياً، ليكون ممكناً جمعها في إطار واحد، إذ تمثل شخصية (لقمان) بصفاتها وعاداتها، وبمن دار في فلكها من شخصيات، مركزاً موضوعياً، فالمثل لدى المفضل لا يجمع أشتاتاً متفرقة من حكايات مختلفة، بل يعمل عبر الانشغال بموضوع معين على تضيق مجموعة من صيغ الأمثال في مجال سردي واحد، ساعياً لخلق المناسبة التي يصبح بالإمكان معها ربط عدد منها بنسيج سردي تنظم فيه صيغة (زعموا أن) موقعا مناسباً لكل منها.

يحتوي المثل رقم (٦٢) عدداً من صيغ الأمثال تنتظم على النحو الآتي:

الاستهلال: وزعموا أن: على أهلها تجني براقش.

وزعموا أن: هذا حرٌّ معروف وكنت البارحة في حرٍ منكر.

وزعموا أن: ذنب صحر أنها أتحتته وأكرمتة وصدقته فلطمها.

وزعموا أن: كأن برحل باتت.

وبرحلها باتت لقم.

أشبهه شرح شرجاً لو أن أسيمرا.

في نظم سيفك ما ترى يالقم.  
الغادرة والمتغادرة والأفيل النادرة.  
وزعموا أن: سدّ ابن بيض الطريق.

تؤمن (زعموا أن) انتظام النسيج السردى للأمثال، مثلما تؤمن موقعاً في تسلسلها الموضوعي لصيغة كل مثل على حدة، ويمكن لها بانتقالها من الاستهلال إلى المتن الوصل بين مقطع وآخر لا يتأديتها وظيفة عطف مجردة كما سبق، بل بما يمكنها من إقامة الصلة بين مقطعين أو أكثر يكمل أحدهما الآخر، فالمقطع الأول يتركّزه على (براقش ابنة تقن) امرأة لقمان يهيء مجالاً للشخصية المركزية (لقمان)، وإن بطريقة غير مباشرة، فصيغة المثل الأول (على أهلها تجني..) تتوجه بالأساس لشخصية (براقش)، لكنه مع (زعموا أن) الثانية يرفع (لقمان بن عاد) إلى مصاف اهتمامه، مركزاً موضوعياً تتسج على أساس تجاربه مقاطع المثل، وتتحرك الشخصيات بما يقوم بينها وبينه من علاقات، فنرى أخته مع المقطع الثاني قد انفقت مع زوجته لتنام معه ليلة، فحملت منه، وولدت غلاماً أسمته لقيماً، لتنتظم المقاطع الآتية بما يكون بين لقمان ولقيم من حوادث تصاغ على أساسها الأمثال.

نلمس تغيراً يطرأ على عمل صيغة (زعموا أن) مع انتقالها من الاستهلال إلى المتن، واعتمادها صيغة وصل بين مقاطع متحدة موضوعياً، إذ إنها تعمل في مجال أكثر تحديداً من المجال الذي عملت به أول مرة، بما يغيّر من وظيفتها بين موقعي الاستهلال والمنتن، فصيغة (الاستهلال) يمكن أن تقترح بدءاً، عدداً لا نهائياً من الموضوعات، يُنتقى من بينها موضوع واحد ليكون مركزاً سردياً تصاغ على أساس تجربته الأمثال، لكن صيغة (الوصل) لا تعمل إلا بما يعينه موضوع المثل، إذ تنتمي (براقش) و(القيم) و(ابن بيض التاجر) لمركز موضوعي واحد هو (لقمان بن عاد)، فمهما امتدت وحدات المثل، أو تكرر عمل (زعموا أن) فإنها لا تشتغل، بوصفها صيغة وصل، خارج المركز الموضوعي، بل إنها تعمل بما يمكن أن تضيفه من تجارب أو تكشفه من خصائص أو عادات تميّز مركز المثل.

وتؤدي صيغة (زعموا أن)، فضلاً عن الإضافة، دوراً في التتويج على موضوع معين إذ يكون موضوع المثل محدداً في شجاعة، أو بخل أو حكمة شخصية معينة، مثلما يقدم المثل رقم (٨٣) بعض تفاصيل حمق (دغة بنت

مغنج) الذي تؤكد زيادته باسم التفصيل (أحمق من دغة)<sup>(١)</sup> لتدخل عبره مع مجموعة من حمقى العرب<sup>(٢)</sup>.

تهيء (زعموا أن) مجالاً لاستحضار بعض وقائع هذا الحمق، بعد أن عُيِّن صفة من صفات شخصية المثل في مقطعه الأول، لتشكل وقائعه مناسبة لامتداد النسيج السردى محتوياً في كل مقطع صيغة مثل أو أكثر على النحو الآتي:

**الاستهلال:** زعموا أن: نعم ويدعو أباه.

أحمق من دغة.

وزعموا أن: هَيْنُ لَيْنٍ وأودت العين

زعموا أن: القوم ما طَبُون.

عبر انتقال (زعموا أن) من الاستهلال إلى المتن، وبتغيير عملها بين الموقعين يحدد (المفضل الضبيّ) نظاماً يسري بين مفاصل كتابه جميعها، فـ(زعموا أن) باقتراحها سمات سردية تختلف بين موقعي الاستهلال والتمتن، وبتكملة إحداها عمل الأخرى يُقيم (المفضل) نظام إيراد المثل في كتابه، والطريقة التي تجمع وحداته بعضها إلى بعض وتصل بين قصصه بما يقتضي توجه النظر إلى معالجة النقد العربي الحديث، وهو يُعيد قراءة النص التراثي، لـ(زعموا أن) من جهة موقعها التاريخي بين نماذج السرد بوصفها ((أول طريقة من طرائق السرد العربي المكتوب فـ(زعموا)) هذه كأنها أم الأشكال السردية، وأصلها، وأعرقها في الأدب العربي))<sup>(٣)</sup>، أو من جهة عملها وهي ((تعلن للمتلقي أن السرد قد بدأ))<sup>(٤)</sup>، لكن هذا النقد يكتفي في معالجته لكل من الموقع والعمل بقراءة (زعموا أن) وفحص أهميتها داخل كتاب (كليلة ودمنة)، فإذا كانت أهمية استخدام (ابن المقفع) (ت حوالي ١٤٢ هـ) لها تتأسس على ابتكاره ((عبارة تميز بين ما ينقله هو إلى الأدب العربي من الفارسية القديمة، أو ما يفترض أن يكونه، وإنه لم يكن يندرج ضمن الرواية التاريخية الموثوقة

(١) -المفضل الضبي، أمثال العرب: ١٧١-١٧٣.

(٢) -ينظر: أبو علي القالي، كتاب افعال: ٦٠-٦١ (أحمق) وجمع حمزة الأصهباني بعض حكايات حمقها في الدرة الفاخرة: ١٤٥ والعسكري في جمهرة الأمثال: ٣٨٩-٥٤/١.

(٣) -د.عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: ١٦٥.

(٤) -عبد الفتاح كليطو، الحكاية والتأويل: ٣٤.

المتصفة بالتحري الدقيق ما أمكن ذلك))<sup>(١)</sup> فإن استخدام (زعموا أن) داخل شبكة نصوص تعود للغة واحدة من ناحية، وعملها بين موقعي (الاستهلال) و(الفصل والوصل) من ناحية أخرى يتطلب نظراً خاصاً يُخرجها، إجرائياً، عن حدود استخدام (كليّة ودمنة) بما يوسع من فعاليتها السردية وهي تشكل، كما تقدم، مظهراً سردياً مهماً من مظاهر سرد نصوص كتاب (المفضل الضبي) في انحرافه من التدوين المجرد للنصوص إلى محاولة إنتاجها، بما يُضفي عليها من نظام، إنتاجاً أدبياً، الأمر الذي لا نجد له مثيلاً في كتب دراستنا عدا كتاب (أبي عبيد القاسم بن سلام) الذي يقدم وجهاً آخر من أوجه (الفصل والوصل) لا يقف داخل حدود المثل الواحد، أو يعتمد في باب محدد من أبواب الكتاب، بقدر ما يمثل نظاماً يمتد من المثل إلى الباب ومنها إلى جماع الأبواب، مكوناً سلسلة من المعاني والموضوعات ميّزت كتاب (أبي عبيد) ومنحته موقعاً خاصاً بين كتب الأمثال، فهو لم يكتف بنقل جُل ما كتب في كتب الأمثال السابقة أو الاستعانة في تفسير الأمثال بأقوال المشاهير من علماء العربية<sup>(٢)</sup>، بل أخضع ذلك لنظام خاص من التبويب والتأليف عولمت فيه الأمثال المثقفة في موضوعها كما لو كانت مثلاً واحداً يكمل بعضه بعضاً بغير توقف أو انفصال، فموضع الكتاب الأول، مثلاً، يهتم بـ(جماع أبواب الأمثال في صنوف المنطق) ويمتد لسبعة وعشرين باباً يحتوي كل منها جانباً من جوانب الموضوع ويضيء ركناً من أركانه، من دون أن يكون بين المثل ومجاوره وبين الباب وما بعده شيء من نفور أو تعارض أو انفصال، فهو يستخدم كما في الباب الأول (باب المثل في حفظ اللسان وما يؤمر به منه للتقوى وسلامة الدين مع الموعظة فيه)<sup>(٣)</sup> (قال أبو عبيد..) مفتتحاً ليتضمن قول أبي عبيد بعده إشارة لما (وجد) من الأمثال في هذا الباب (وجدنا من الأمثال في حفظ اللسان..). مستخدماً فعلاً يشير لأحد مصطلحات الحديث، بما يُهيء المجال للنظر لما بين كتب الأمثال وكتب الحديث وأساليب روايته من أسباب يحكمها العصر وينظمها عمل العلماء في الحقلين معاً. نلاحظ بعدها استمرار (أبي عبيد) في إيراد أمثاله بروابط مثل (ومنها قول..، ويقال في نحو من هذا.. كذلك قولهم..) بما يؤمّن

(١) -عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: ١٦٤.

(٢) -أبو عبيد بن سلام، كتاب الأمثال، مقدمة المحقق: ١٧.

(٣) -نفسه: ٣٩-٤١.

اتصالاً بين المثل وما بعده.

وفي كتابي (أبي فيد) و(أبي عكرمة) يلاحظ عدم الاهتمام بتحديد نظام سردي خاص يورد على أساسه المثل ويوصل بين نصوصه، على الرغم من اعتماد موضوع معين لكل مثل واستحضار عدد من قصصه كما في كتاب (أبي فيد)، إذ إنه يقدم في المثل رقم (١٢) سلسلة قصص تتخذ من (حمق الضبع) موضوعاً، إلا أن انشغاله بالموضوعة اللغوية، وعمله على تفسير غريب اللفظ ثم الاستشهاد بالشعر لتأكيد المعنى، يُسهم بإضعاف النسيج السردى ونفي سمة (النظام) عنه، إذ يظل الموحد الموضوعي ثانوياً في عدد كبير من أمثال الكتاب أمام رغبة مؤلفه، واهتمام عصره، بالبحث والمعاينة اللغويين. يُدرج (أبو فيد) المثلين (١٢) و(١٣) على أساس موضوعي على النحو الآتي<sup>(١)</sup>:

ت	صيغة المثل	الفصل والوصل	المقطع	ما أضيف من صيغ الأمثال
١٢	خامري حضاجر	وإنما قيل	لغة	
		وقال الراجز	استشهاد	
		وإنما قيل	قص	
		ومما قالت العرب	قص	
		وزعموا	قص	
		ونذكروا	قص	
		وهي التي	قص	
		ووجدت الضبع تمرة	قص	في بيته يؤتى الحكم حر انتصر حدث حديثين إمرأه..
		ويقال فيها		إن الضبع تأكل الطعام
			تعليق	
			استشهاد	
١٣	عيثي جعار	يقال ذلك	استشهاد	
		وسال	قص	

(١) - أبو فيد السدوسي، كتاب الأمثال: ٤٥ - ٤٩.

مثلاً يقدّم الجدول، لا يعتمد كتاب (أبي فيد) أسوة بكتب الأمثال التي توجهت توجّهاً لغوياً صيغةً معيّنة في استهلاك أمثاله أو متونها، ولا يُقيم بين صيغتي الاستهلال والفصل والوصل أية سمة للمماثلة أو المطابقة، إذ أن صيغ الاستهلال لديه لا تعتمد إنموذجاً معيناً فهي تكاد تتعدد تعدد الأمثال في الكتاب، مثلاً تتعدد صيغ الفصل والوصل لديه تعدد مفاد مقاطعها وتتغير بتغير محمولاتها. إن إيراد صيغة المثل نفسها مفتتحاً العمل على تفسيرها، ثم الاستشهاد على التفسير بالشعر يخلق مقاطع تؤثر الصياغة التعليمية، وتتحوّل منحنى الدرس اللغوي أكثر من جهدها في تقديم أنموذج يعتمد في صياغته السردية نظاماً محدداً يمكن ملاحظته على أمثال الكتاب في تقديم استهلالها أو متونها.

يُلاحظ تغير صيغة الوصل في كتاب (أبي فيد) بتغير المقاطع، فهي تعتمد كما في المثلين (١٢) و (١٣) (إنما) الكافة والمكفوفة في حالتها فتح المجال للمعلومة اللغوية وللمقطع الحكائي على السواء، مثلاً يلاحظ اعتماد صيغ مثل (مما قالت العرب، وزعموا، وذكروا) في مجال واحد، من دون النظر إلى ما بينها من فروق نحوية أو دلالية بما يمكن أن يشير إلى اعتماد أسلوب شفاهي (تروى) فيه مادة الكتاب أو (تملى) على مجموعة من السامعين، فتتغير الصيغة يُضفي مستوى من التنويع على الرواية، والإملاء يجدد انتباه السامع ويحفز الصلة بينه وبين راوي الكتاب، فالنظر لم يعد محدداً في كتب الأمثال التي نحت منحنى لغوياً بأفق الكتاب، بما يكون بين وحداته من علاقة وما يؤسس من نظام، بقدر ما سعى لتنظيم علاقة بين (راو) وبين (مستمع) تظل بحاجة إلى ما يجدها ويؤكد الانتباه فيها.

ومع كتاب (أبي عكرمة الضبي) نلمس تغيراً في الموقف من محمول الكتاب وطريقة تأليفه، تمليه موجهات عصرية لم يكن أثرها حاضراً بالأهمية ذاتها في كتاب (المفضل)، إذ يُشير (أبو عكرمة) في أول كتابه إلى الدور الذي يُتطلب منه؛ والغاية من تأليفه، فهو يتوجّه لمعاني الكلام مما يحتاج إلى تفسير والتبيين بالشواهد الشعرية فضلاً عن نسبة كل قول لصاحبه: ((هذا كتاب ألفناه من معاني كلام العرب السائر، مما يُحتاج إلى تفسيره؛ لكثرة استعماله، وبيناه بشواهد من الشعر واللغة، وفسرنا ذلك، ونسبنا إلى كل عالم قوله))<sup>(١)</sup> مما يبين

(١) - أبو عكرمة الضبي، كتاب الأمثال: ٢٣.



اهتمام كتابه بالتفسير والتبيين والتعليم أكثر من اهتمامه بـ (المثل) تاريخاً ورواية، أو إفادة مما ورد في كتب الأمثال السابقة، فهو بناءً على هذا التصور لا يُقيم لانتظام المثل في كتابه أهمية تعادل أهمية الاستقصاء والمعاينة اللغوية مما يقترح أسلوباً لا يكاد يستجيب في معظم خصائصه لعنوان الكتاب، فهو يستفيض في البحث عن مذاهب (القول) ومعانيه واستقصاء ما يناسبه من شواهد كما في: (حيالك الله وبيالك)<sup>(١)</sup>، و (ما ساءه وناءه)<sup>(٢)</sup>، و (لبيك وسعديك)<sup>(٣)</sup>، و (نادم سادم)<sup>(٤)</sup>، و (الأصل والفصل)<sup>(٥)</sup>، و (بيضة العقر)<sup>(٦)</sup>، و (مرحباً وأهلاً وسهلاً)<sup>(٧)</sup>.. إلخ، وقد يكتفي بذكر ما يقع من اختلاف في أقوال العلماء في تفسير قول واحد مثل (ما يَعْرِفُ هِراً من برٍّ) فهو يجمع أقوال (خالد بن كلثوم) و (أبي عبيدة) و (جهم بن مسعدة الفزاري) في تفسير القول السابق على ما بين الأقوال من تباين واختلاف<sup>(٨)</sup>، أو يعتمد حديثاً للرسول محمد (ﷺ) مثل (نِيَّةُ المؤمن خير من عمله)<sup>(٩)</sup> أو (اطلبوا الخير من حسان الوجوه)<sup>(١٠)</sup> بتفسيره والتمثيل لمعانيه.

يشير توجه (أبي عكرمة الضبي) ومن قبله (أبي فيد مؤرّج السدوسي) إلى تغير في مفهوم كتب الأمثال يؤثر على نحو مباشر على نظم التأليف فيها، مثلما يكشف تصور مرحلة معينة لصيغة المثل نفسها، فاعتماد ما يدور على السنة الناس وتفسيره، والوقوف على أصله، لا يوجه النظر، في معظم الأحوال، إلى (المثال) الذي أخذ (المثل) عنه، أو التجربة التي تم خلالها صوغ المثل وإنتاجه، بل إنه في أحيان كثيرة يهمل ما يقع من شبه بين اثنين ((يشبه له حال الثاني

(١) - أبو عكرمة الضبي، كتاب الأمثال: ٢٤.

(٢) - نفسه: ٤٧.

(٣) - نفسه: ٤٨.

(٤) - نفسه: ٥٩.

(٥) - نفسه: ٦١.

(٦) - نفسه: ٦٢.

(٧) - نفسه: ٦٢.

(٨) - نفسه: ٤٢.

(٩) - نفسه: ٣٦.

(١٠) - نفسه: ١٠٩.

بالأول))<sup>(١)</sup> ولن يكون المثل من دونه، فهو بوقوفه على الجانب اللغوي يسعى لبيان واستقصاء ما قالته العرب أكثر من سعيه للوقوف على ما (خبرته) ونتج من تجاربها، بما يشابه تجربة راهنة أو مثلاً حالياً يكون معه إيراد المثل أمراً متطلباً يقيم الموعظة ويحقق الاعتبار.

إن التوسع في مفهوم المثل يشير إلى مجموعة من التحولات، يكشفها التشكيل السردي للكتب نفسها وهي توسع دائرة انشغالها من المثل ومناسبتها إلى ما يجري على ألسنة الناس مع حفاظها على وحدة عناياتها واتفاقها، على الرغم من تباين توجهاتها في (المثل) العربي. وقد يُؤتى في كتبنا، بالمثل نفسه شاهداً على معنى لغوي معين فتتراجع أهميته سواء ذكرت قصته أو لم تُذكر، كما في مجيء (أعيني بأشرف مالك بدر) شاهداً على معنى (الدر) في كتاب (أبي فيد)، أو الاكتفاء بإيراد معنى لفظ ما من دون صيغة مثل معتمدة: ((المنجود: المغلوب)) قال أبو زبيد:

صَادِياً يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مَغَاثٍ      وَلَقَدْ كَانَ عَصْرَةَ الْمَنْجُودِ

وقال آخر:

(لا يأكل التمرة حتى يُنجدا)

ولا رقيق الزبد حتى يُزغدا)<sup>(٢)</sup>

أو: ((هذا حبقر كما ترى))، أنشد أبو الدقيش:

كأن فاهاً حبقر بارداً..

فقلت له: ما الحبقر؟ فقال: البرد)<sup>(٣)</sup>.

إن تأملنا لصيغ الفصل والوصل المعتمدة والوصل المعتمدة في كتب أمثال دراستنا، خلاصةً، يقودنا لملاحظة قدرتها على تقديم نظام سردي تأتلف من خلاله وحدات نص المثل وتتأخى مقاطعه، بما يُهيء لبنيته السردية مجالاً لتنظيم ما يمكن من علاقات بين عناصر النص، بما تقدمه بنيتاً صيغة الفصل

(١) -يفتح الميداني ما يشتمل على معنى المثل بقول المبرد: (المثل مأخوذ من المثل وهو قول سائر

يشبه له حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه فقولهم (مثل بين يديه) إذا انتصب معناه

أشبه الصورة المنتصبة) الميداني، مجمع الأمثال: ٥.

(٢) -أبو فيد السدوسي، كتاب الأمثال: ٨٠.

(٣) -نفسه: ٦٦.

والوصل النحوية والدلالية من مناسبة لترتيب المقاطع والوحدات، استجابة لموجهات إنجاز الكتاب، الفنية منها، كما تمثلت في كتاب (المفضل الضبي) وهو يقدم إنموذجاً سردياً مميزاً تلتحم فيه مقاطع نص المثل عبر تواصل عمل الصيغة من موضع الاستهلال إلى موضع الفصل والوصل. أو بتباينها بين الموضوعين كما في غيره من كتب دراستنا، ليكون التوجه لاستخدام أكثر من صيغة في موضع الفصل والوصل سمةً يحددها الهدف اللغوي لهذه الكتب، وعنايتها بتجديد سبل اتصالها مع مستمع يُملى عليه محتوى الكتاب بوصفه ركناً من أركان العملية التعليمية، مما يُفَرِّط، بالضرورة، بخصائصه الفنية مقترحاً خصائص وسمات يكون بمقدورها الاستجابة لموجهات عناية لغوية تستعين معها بمصطلحاتها، مغيرة من فهمها لمفاد النصوص واشتراطات انتظامها في كتب (الأمثال).

### الخاتمة:

مثلما توجّهت عناية البلاغيين لدراسة الاستهلال، وتأمّل الفصل والوصل لتعيين مواضع جودتهما، اهتموا بدراسة الخاتمة، ومنحوها من العناية ما تستحق لأنها ((آخر ما يبقى في الأسماع، فلا يُزاد عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه))<sup>(١)</sup> فهي لأهمية موقعها شغلت مكانة مؤثرة في بناء النص الأدبي، مثلما أسهمت بانتظام وحداته، يُشير (حازم القرطاجني) إلى موقع الخاتمة ودورها في تنظيم أثر النص الأدبي بما يكشف عن خصوصية عملها، مثلما يُضيء أهميتها في النظر النقدي والبلاغي إذ إنها ((منقطع الكلام وخاتمه، فالإساءة فيه معفية على كثير من تأثير الإحسان المتقدم عليه في النفس))<sup>(٢)</sup>.

وللخاتمة في نصوص كتب الأمثال من الأهمية مثل مالها في كتب الأدب، مما يدعونا لدراسة دورها وتبيين العلاقة بينها وبين وحدات المثل، إذ إنها تملك باستجابتها لطبيعة التكوين الداخلي أن تكشف جانباً مهماً من جوانب بناء النص وتضيء قابليته على منح وحداته من التلازم والانسجام ما يكشف سمةً سردية من سماته، فنصوص المثل وهي تحدد جهة عنايتها (قصصية مرة، لغوية مرة أخرى) تغيّر بإيعاز داخلي صيغ خاتماتها. وإذا كانت دراسة (الاستهلال) قد

(١) - ابن رشيق القيرواني، العملة: ٢٣٩/١.

(٢) - حازم القرطاجني، منهاج البلاغة: ٢٨٥.

كشفت لنا دوره في تنظيم الصلة مع سلسلة رواة غائبين، وحددت أهميته في الإسهام بتنظيم ما بعده، فإن دراسة (الخاتمة) لا نقل أهمية عن ذلك، فهي لا تتشكل بوصفها وحدة زخرفية، ولا ترد تبعاً لذائقة آنية أو مزاج شخصي، على الرغم من كثرة صيغها التي قد توهم بمزاجية استخدامها واقتضابها، فإن تأمل علاقتها بما قبلها، وملاحظة استجاباتها لموجّهات تُغيّر غرضاً وتُقرّح صيغةً، يكشف عن مستوى من التلازم بين الخاتمة وبين نص المثل من جهة، وبينها وبين غرضه من جهة أخرى، إذ إنها تهتم في أغلب نماذج كتاب (المفضّل الضبّي) بإنجاز وظيفة سردية تكتمل معها دائرة معها دائرة قصة المثل وتستدير، مثلما تعنى بالصيغة التي تؤكد نظاماً سردياً يتجلى في عدد مهم من أمثال الكتاب.

الأمر الذي لا نجد له مثيلاً في كتب الأمثال اللاحقة تبعاً لاستجاباتها لموجهات لغوية صبغت هذه الكتب صبغة متباينة حسب عناية مؤلفيها وعناية عصر كتابتها- بالدرس اللغوي، إذ تشكل العناية بالخاتمة اللغوية والشعرية نسبة مهمة بين أشكال الخاتمة في كتابي (أبي فيد) و(أبي عكرمة)، على الرغم من تباينها بين كل منهما مما يُشير إلى خصوصية التوجّه الجزئي داخل الغرض الواحد، وقد تتوحد أشكال الخاتمة بين كتب الأمثال فتتوجّه جميعاً للعناية بالشعر أو التفسير، أو استخدام صور مختلفة من (الخبر)، من دون أن تتطابق في ما تقيمه من علاقات بين الخاتمة بتعدد صورها وبين وحدات نصوص أمثالها، كما إنها تختلف في نوعية العلاقات بين كل منها، وهي تستجيب على نحو واضح لأغراض التأليف.

يقدم (المفضّل الضبّي) في كتابه (أمثال العرب) صورة مميزة للتنظيم السرد لنصوص أمثاله، إذ يخضع بناؤها، مثلما أشار مبحثنا الاستهلال والفصل والوصل، لنظام خاص تمنح معه وحداتها من الاهتمام ما يمكن أن يُهيئ لباحث السرد حقلاً مهماً للدراسة ومعاينة أنموذج في التأليف لا يقف عند صيغ الأمثال جمعاً وتفسيراً، بمقدار ما يعتني بمناسبة المثل ويعتمد قصته اعتماداً يكشف قابلية الأداء القصصي ويضيء خصوصية عمله السردية، بما يمكننا من دراسة أثره على خاتمة نصوص أمثاله بعد جدولتها على النحو التالي:

ت	صيغة الخاتمة	العدد
١	الاختتام بصيغة المثل	٣٤ مثلاً
٢	الاختتام بالشعر	٣١ مثلاً
٣	الاختتام بالنتيجة التي تغيّر من مجرى القصة (وهي تلحق على نحو مباشر بصيغة المثل)	١٣ مثلاً
٤	الاختتام بالتفسير	٦ أمثال
٥	الاختتام بالخبر	٤ أمثال
	المجموع	٨٨ مثلاً

يُقدّم القسم الأول (الاختتام بصيغة المثل) وهو يشكل نسبة (٣٨.٧%) من مجموع الأمثال نظاماً تورد على أساسه صيغة المثل في ختام النصوص، لتكون القصة منشغلاً سردياً يحدد الأدوار وينظم الوحدات وصولاً لبلورة صيغة تقييم مع القصة ومن خلالها مع عدد من التجارب الإنسانية الكثير من الصلات، فهي تتشكل بوصفها قولاً يُنسب لإحدى شخصيات القصة للتعبير عن وعيها لتجربتها، محددة عبر صيغة المثل مركزاً سردياً يمكنه الامتداد من القصة إلى ما يشابهها من التجارب باسّترات وقوع الشبه بين موضوع التجربتين: الخاصة (تجربة المثل، حدثه، ومحمول قصته) والعامة (تجارب الناس في حياتهم اليومية). فالصيغة تؤدي دوراً أساسياً في الصلة بين التجربتين، بجدة الثانية وحضورها، وقدم الأولى وغيابها على الأغلب، لتمثل التجربة الأولى بذلك، ومن خلال نقشي صيغة مثلها، رصيذاً في وعي الجماعة وصور ثقافتها ينظم داخل لغتها ويشكل وجهاً من وجوه بلاغتها، فلا يُشترط عند ضرب صيغة المثل في التجربة الثانية حضور قصتها الأولى، ولا يُتطلب العلم بها فهي تضيء خبرة إنسانية وتنبثق عنها.

يُلاحظ عند دراسة (الاختتام بصيغة المثل) ارتباط الصيغة على نحو مباشر بموضوع القصة وانبثاقها عن تجربة شخصياتها فضلاً عن تناسب صياغتها مع ملفوظ الشخصية، فهي لورودها جملة في حوار منقول<sup>(١)</sup> تكون

(١) - تُقسّم (حكاية الأقوال) في الخطاب السردى إلى:

أ- السرد أو المروي: هو أبعد الحالات مسافة وأكثرها اختزالاً، يصوغ الراوي فيه ما تقوله الشخصيات بأسلوبه الخاص، مجسداً إياه عبر الأفعال والأحداث.

غالباً خلاصة القول وخاتمته، إذ إنها تصاغ عبر شخصية محددة هي الشخصية المركزية التي خاضت تجربة حدث لها فيها تغيّر معيّن أو تحول في حال تنتج عنه زيادة في أمر أو نقصان، وهي تجربة تمتد لتنظم (موضوع) المثل باتساع دلالاته ليكون بإمكانها الارتقاء إلى وعي الجماعة والإسهام بإنتاج موروثها.

إن ملاحظة علاقة (الصيغة) بـ(الموضوع) تدعونا لدراسة ما يكون من صلة بينهما، ومقدار تعبير الصيغة عن موضوع المثل، وهو ما ننتبئه في صيغ أمثال (المفضل) التي اندرجت تحت القسم الأول بإشارتها إلى موضوع كالحق أو الإحسان أو نكران الفضل أو البغي.. إلخ، فالدارس يلمس، على سبيل التطبيق، في الأمثال (٢)، (٣)، (٢٤) نوعاً من وضوح الصلة يحدده مجرى العلاقة بين موضوع قصة المثل وما يُنتج عنها من صيغ تقوم مقام الخاتمة، ففي المثل رقم (٢) نلاحظ الصلة بين موضوع المثل (التضليل) وبين صيغتيه (العلني مضلل كعامر، إن المعافى غير مخدوع)<sup>(١)</sup>، إذ تكشف الصيغتان جانبين من جوانب قصة المثل يرتبط كل منهما بشخصيتي المثل الرئيسيتين (المستوغر بن ربيعة بن كعب) و(عامر)، وما يكون بينهما من حدث نتيجة (تضليل) فتى هو صديق عامر له، لتأخير مقامه عند (المستوغر) ولإشعاره بساعة انصرافه للانفراد بأمر عامر حتى يفطن المستوغر للخدعة ويكشف الأمر لعامر فتدرد الصيغتان في ختام قصة المثل على لسان المستوغر مطابقتين لحال كل منهما هو وعامر (العلني مضلل كعامر) في سريان التضليل والخديعة و(إن المعافى غير مخدوع) في تأكيد فطنة المستوغر ونباهته التي كشفت عمل الفتى وأبطلت خديعته، فالصيغة هنا تحدد صلة مهمة مع الموضوع حتى إنها تتوزع إلى صيغتين لتكشف كل منهما جانباً من جوانبه ووجهاً من وجوهه:

الموضوع: (الخديعة والتضليل).

---

ب-المحوّل: تتجلى فيه كذلك سلطة الراوي، وهو يؤثر في تركيب الجملة محولاً الضمائر والأزمنة.

ج-المنقول: هو الشكل الذي تُعطى فيه الشخصية الكلمة من دون أن تخضع الضمائر والأزمنة لتدخل الراوي.

ينظر: حيار جنيث، خطاب الحكاية، بحث في المنهج: ص ص ١٨٥-١٨٧.

(١)-المفضل الضبي، أمثال العرب: ٤٩.

الصيغة الأولى: لعني مضلل كعامر: تمام الخديعة ← عامر  
:عدم وقوعها ← المستوغر  
(بإفادة لعل توقع الممكن غير  
الواقع)

الصيغة الثانية: إن المعافى غير مخدوع: تمام الخديعة ← عامر  
: عدم وقوعها ← المستوغر  
(بإفادة المعافاة معنى الفطنة  
والصيانة)<sup>(١)</sup>.

الصيغتان: الأولى والثانية: ← تمام الخديعة: الضلال + عدم المعافاة: عامر  
عدم وقوعها: لعل + المعافاة: المستوغر

وهو ما ينظم أحداث قصة المثل ويختزلها إلى صيغة معنوية سبق للقصة أن قدمتها مشخصة، فالمستوغر بعد أن يفتن للحيلة يقود عامراً تحت التهديد بضرب عنقه ليريا معاً حال المرأتين، امرأة المستوغر وأم عامر، فيريان الأولى بين بنيتها، وللتأكيد يسأل المستوغر: هل ترى من بأس؟ فيجيب عامر: لا أرى من بأس، لينطلقا بعدها إلى أهل عامر، بعد أن يكون نصف الحقيقة المكشوف قد أعلن نصفها المستور، فيجدان الفتى متبطناً أم عامر في ثوبها، فيقول المستوغر للتأكيد مرة أخرى: انظر إلى ما ترى، ثم قال (لعني مضلل كعامر) فأرسلها مثلاً، وما زاده في الحديث إعلان براءته من أثر الخديعة: (إن المعافى غير مخدوع).

وفي المثل رقم (٣) نقرأ أن (الأضبط بن قريع بن عوف) كان يرى من قومه بني سعد وهو سيدهم بغياً عليه وتتقصاً له ففارقهم وسار بأهله آملاً العيش مع قوم يجلون أشرافهم لكنه يجد ما وجده عند قومه فيرتحل عنهم ويحل بآخرين فإذا هم كذلك، فينصرف عائداً إلى قومه وهو يقول (أينما أوجّه ألق سعداً)<sup>(٢)</sup>، لنلاحظ أولاً موضوع المثل القائم على (البغي والتقص وعلاقة الصيغة به ثانياً إذ تكون ناتج تجربة الشخصية وجوهر حصيلتها).

<sup>(١)</sup> -تفيد (المعافاة) معاني: خيار الشيء وأطيبه، الصفوة من الشيء، و(المعفي) من يصحبك ولا

يتعرض لمعروفك.. ابن منظور، لسان العرب: مادة (عفا).

<sup>(٢)</sup> -المفضل الضبي، أمثال العرب: ٤٩ - ٥٠.

الموضوع: (البغي والتقصص).

الصيغة: أينما أوجّه ألق سعداً: اختلاف الوجهة: قوم الأضبط  
□ قوم آخرون  
□ قوم آخرون

تشابه السلوك: الإساءة إلى أشرف القوم.

ونقرأ في المثل رقم (٢٤) أن (عمرو بن جدير بن سلمى) كانت عنده امرأة جميلة معجبة له وكان ابن عمه (يزيد بن المنذر بن سلمى) بها معجباً، وأن عمراً دخل بيته ذات يوم فرأى منهما ما كرهه، فطلق المرأة وأعرض عن ابن عمه، فمكث يزيد ما شاء الله لا يقدر على النظر إلى وجه (عمرو بن جدير) حياءً، ثم أن الحي أغير عليه، فابتدر الفوارس عمراً فطعنوه وصرعوه ثم تنازلوا عليه، وراه يزيد فحمل عليهم فصرع بعضهم وأخذ فرس ابن عمه واستنقذه ثم قال له: اركب وانج، فلما ركب قال له يزيد (تلك بتلك فهل جزيتك)<sup>(١)</sup> ليشكل (محو الإساءة بالإحسان) موضوعاً تنتظم على أساسه قصة المثل وتتصل وحداته، فالإساءة تقع أولاً لتفرق بين شخصيتي القصة الرئيسيتين وإن بقيتا متجاورتين في مكان واحد لسببين متلازمين: إدامة الإحساس بالإثم لدى المسيء، وانتظار الفرصة للتكفير وطلب العفو، وذلك لا يكون إلا بحدث جديد يغيّر من مجرى القصة ومواقع شخصياتها، فيقع (عمرو بن جدير) موقع الحاجة إلى العون فيسعى (يزيد بن المنذر) تحت ضغط السببين السابقين لمواجهة الفوارس وإنقاذ (عمرو) ليسارع قبل أن يسكن مثارُ النقع إلى إعلان إحسانه والتخفف من ثقل ذنبه.

الموضوع: (محو الإساءة بالإحسان)

الصيغة: تلك بتلك فهل جزيتك: تلك (الأولى) اعتداء يزيد على عمرو ←  
إساءة

تلك (الثانية) إنقاذ يزيد لعمرو ← إحسان  
الجزاء: إحسان يزيد يحو إساءته.

(١) نفسه: ٧٧.



يمكننا ملاحظة خصوصية القسم الثاني (الاختتام بالشعر) وهو يشكل نسبة (٣٥.٣%) من مجموع أمثال (المفضل) وأهمية وروده في موضع الخاتمة خلافاً للاختتام بالشعر في كتب الأمثال اللاحقة إذ أنه يشكل وحدة عضوية مع قصة المثل ينتقل عبرها التشكيل السردي من النثر إلى الشعر من دون أن تتعثر حركته، إنها تمتد بما يمكن أن يضيفه الشعر إلى القصة، أو يرتفع به من تفاصيلها ملخصاً حدثها أو معلقاً عليها عبر عدد من الشخصيات يمكن تقسيمها كما يأتي:

١. شخصية مشاركة: تسهم بالحدث وتكون عنصراً من عناصره، فهي تلخص شعراً قصة شاركت في أحداثها أو تعلق عليها بما يكشف وجهة نظرها ويضيء موقفها من حدث معين أو شخصية أخرى من بين أحداث أو شخصيات القصة.

٢. شخصية غير مشاركة: وهي التي لا تسهم بقصة المثل على نحو مباشر ويمكن تقسيمها قسمين:

أ - شخصية غير مشاركة قريبة: على الرغم من عدم إسهامها بقصة المثل إلا أن لها من الروابط مع شخصيات القصة ما يمكنها من التلخيص أو التعليق الشعريين.

ب - شخصية غير مشاركة بعيدة: وهي منفصلة عن حدث القصة وشخصياتها يُستخدم بعض شعرها الذي يستوحي القصة خاتمة (وربما امتدت الخاتمة لأكثر من مقطع شعري يستوحي فيها أكثر من شاعر جانباً من جوانب القصة).

تلاحظ على سبيل الدراسة خاتمتا المثلين (١٣) و (٣٧) وهما تستعينان بالشعر (لتلخيص) موضوع قصة المثل مستأنستين بأهم عناصرها، ففي المثل رقم (١٣) يُلخص (السليك بن السلكة التميمي) ما وقع له عند إغارته على بني شيبان وقتله لـ (يزيد بن رويم الشيباني)، فالشعر وهو يشكل خاتمة نص المثل إنما يلخص ما سبق أن روي من حدث على لسان شخصيته الرئيسة:

وعاشية رجّ بطانٍ ذعرتها  
بصوت قتيْلٍ وسَطَها يتسَيِّفُ  
فبات لها أهل خلاء فئاؤهم  
ومرّت بهم طيرٌ فلم يتعيفوا  
وباتوا يظنون الظنون وصحبتي  
إذا ما علوا نشزاً أهّلوا وأوقفوا  
وما نلتها حتى تصعلكتُ حَقْبَةً  
وكدتُ لأسباب المنية أعرفُ  
وحتى رأيت الجوعَ بالصيف ضَرَّتِي  
إذا قمتُ يغشاني ظلالٌ فأسْدَفُ<sup>(١)</sup>

وفي المثل رقم (٣٧) تُلخص الخاتمةُ القصةَ بشعر قاله (بعض شعراء طيء) الذين وقعت القصة في قبيلتهم، فالشاعر هنا، وإن لم يُذكر على نحو صريح، يمت بصلة إلى (رقاش) التي كانت تغزو برجال طيء فهي مركز القصة وأساس حدثها، إذ إن قصة المثل تروي ما وقع لها عندما أُعجبت بأحد أسرى قبيلتها فدعته إلى نفسها فوقع عليها فحملت، وحين حلّ أوان الغزو أتوها لتغزو بهم فجعلت تقول (رويد الغزو ينمرق)<sup>(٢)</sup> بمعنى يمرُّ سريعاً ويُصيب، فلما عاودوا المجيء رأوها نفساء مرضعاً قد ولدت غلاماً، فالشاعر الذي لا

<sup>(١)</sup> المفضل الضبي، أمثال العرب: ٦٤.

<sup>(٢)</sup> نفسه: ١٢١، وينظر: أبو عبيد البكري، فصل المقال: ٢٦٩. يروي المثل (رويد الغزو يتمزق) وينظر: أبو عبيد بن سلام، كتاب الأمثال: ٢٣٤. يروي المثل (رويد الغزو يتمرّق)

يعبّر عن حضوره على نحو مباشر (شخصية غير مشاركة قريبة) يلخص حدث القصة تلخيصاً لا يخلو من موقف تنمّ عنه سخرية المقطع الشعري:

نُبئت أن رقاش بعد شماسها  
حبلت وقد ولدت غلاماً أكحلا  
فالله يحظيها ويرفع ذكرها  
والله يلحقها كشافاً مقبلاً<sup>(١)</sup>  
كانت رقاش تقود جيشاً جحفاً  
فصبت وحق لمن صبا أن يحبلا  
دري رقاش فقد أصبت غنيمةً  
فحلاً يصورك أن تقودي جحفاً

وفي (التعليق) يسعى المقطع الشعري للتركيز على حدث محدد من أحداث قصة المثل فهو لا يلخص الحدث بقدر ما يكشف موقعه، ويحدد قيمته، فالخاتمة الشعرية بذلك ترفع تفصيلاً قصصياً عبر إعلانها موقعاً صريحاً منه، ويلاحظ، كما في (تلخيص الحدث) عدم اعتماد مستوى معين من العلاقة بين الشاعر صاحب الخاتمة وبين قصة المثل، فقد يكون شخصية مشاركة تؤكد حدثاً أو تعلن موقعاً مباشراً من شخصية أخرى من بين شخصيات القصة كما في المثل رقم (١٦) إذ إن (أوفى بن مطر المازني) صاحب المقطع الشعري قال معيّراً (جابر بن عمرو) بعد أن خرجا صحبة (شهاب بن قيس) في طلب رجلين، فهرب جابر بعد أن تبين بأس الرجلين وشدتهم، فالمقطع، إذن، يرفع (فرار جابر) إلى مستوى من الأهمية عبر استعادته شعراً على سبيل التعليق وتحديد

<sup>(١)</sup> وردت في فصل المقال: يلحقها: والكشاف الحمل على الناقة بعد نتاجها، أبو عبيد البكري، نفسه.

الموقف:

إذا ما أتيتَ بني مازنٍ      فلا تسقَ فيهم ولا تُغسلِ  
فليتكَ لم تُدعَ من مازنٍ      وليتك في البطن لم تحملِ  
وليتَ سنانكَ صنارةً      وليتَ قناتك من مغزلٍ<sup>(١)</sup>

وقد يرد التعليق من خارج قصة المثل عبر (شخصية غير مشاركة بعيدة)، فالشاعر صاحب الخاتمة الشعرية لا يمت إلى شخصيات القصة بصلة غير أن ذلك لا يمنعه عن التلويح بما في القصة من إنقاص أو انتصار أو محبة أو حق، كما في المثل رقم ٢٣) إذ يُعرّض (اللعين المنقري) بـ (بني مالك بن سعد رهط العجاج) وكان يقال لهم (بنو العفيل)<sup>(٢)</sup> نتيجة حدث وقع لجذبتهم (رهم بنت الخزرج بن تيم الله) تختص قصة المثل بسرده:

ما في الدوائر من رجلي من عَقْلٍ

عند الرهان وما أكوى من العَقْل<sup>(٣)</sup>

نلاحظ في القسم الثالث (الاختتام بالنتيجة التي تغيّر من مجرى القصة) وهي تشكّل نسبة (١٤.٨%) من مجموع أمثال (المفضل) ارتباط الخاتمة بقصة المثل، فهي ترد مباشرة بعد صيغة المثل التي تقدّم خلاصة وتركيزاً لقصته فيحدث بعد ذكر الصيغة تحول مباشر في القصة فتوفى حاجة، أو يُعاد أسير، أو يُكف عن شر، أو يُمتنع عن عدوان، فالخاتمة بذلك ترتبط ارتباطاً عضوياً بموضوع القصة، وهي تروى على لسان راوي قصة المثل نفسه فلا يستشهد معها بقول شعري أو ننثري يفصل بينه وبين القصة فاصل، ففي المثل رقم (٣٥) على سبيل الدراسة يكون الاختتام بـ (الكف عن فعل) ملحقاً بصيغة المثل ونتاجاً منها، فد (الحارث بن أبي شمر الغساني) سأل (أنس بن الحجيرة) عن بعض الأمر فأخبره به فطمه، فقال أنس (ذلّ لو أجد ناصراً) ثم قال الحارث: الطموه، فقال أنس (لو نهى عن الأولى لم يعد للأخرة) فقال: زيوده،

<sup>(١)</sup> المفضل الضبي، أمثال العرب: ٦٨.

<sup>(٢)</sup> العفل: غلط في الرحم، ينظر لسان العرب، مادة (عفل).

<sup>(٣)</sup> المفضل الضبي، نفسه: ٧٧.

فقال أنس: أيها الملك (ملكت فإسجج)<sup>(١)</sup> فأرسلها مثلاً فأمر أن يُكفَّ عنه<sup>(٢)</sup>.

إن اختتام المثل لا يصف ولا يُلخّص ولا يُعلّق على حدث منته أو مستمر، بل يحرف مسار الحدث ويغيّر اتجاهه بناءً على ما تؤديه صيغته من تأثير في الشخصيات، فلم يُكف عن إحداث الأذى كما في المثل السابق لولا وجود الصيغة وقدرتها على استيعاب القصة والتهيئة لتغيير مجرى حدثها.

وفي المثل رقم (٣٦) يكون (النقص) موضوعاً، فقد (شردت إبل بني صحار بن وهب ابن قيس بن طريف) فيركب (الجميح وهو منقذ بن الطماح بن قيس) في طلبها ليحدث معه ما يحدث فتزد الإبل جميعها إلا ناقة يقال لها اللفاح يراها مع رجلين يحلبانها، فيطلب منهما تركها فيضطر البائن (البائن هو الذي يقف من جانب الحلوبة الأيمن، ومن يقف من جانبها الأيسر يسمى المستعلي) ويقول المستعلي: والله ما هي لكما، فقال الحارث (إست البائن أعلم) فأرسلها مثلاً ورد الإبل<sup>(٣)</sup>، ليكون (إكمال النقص) نتيجةً مبيّنةً على صيغة المثل وملحقة بها مباشرة.

وفي المثل رقم (٥٢) يكون الاختتام بـ (الاستجابة) بعد أن كان (الرفض) موضوعاً، تفصل بين كل منهما صيغة المثل نفسها، فقد أغار (الهذيل بن هبيرة) على أناس من ضبة فغنم ثم انصرف، فخاف طلب القوم لهم وأسرع السير، فقال له أصحابه: أقسم بيننا غنيمتنا، فرفض محتجاً بالخوف من أن تشغلهم القسمة فيدركهم الطلب، فأعادوا عليه مراراً، فلما رأهم لا يأخذون برأيه قال (إذا عَزَّ أخوك فهن)<sup>(٤)</sup>، وتابعهم على القسمة.

يسعى القسمان الأخيران من أقسام خاتمة أمثال (المفضل الضبي): (الاختتام بالتفسير) و (الاختتام بالخبر) وهما يمثلان نسبتي (٦.٩%) و(٤.٦%) من مجموع الأمثال لإيضاح صيغة المثل أو ما يتعلق بها من خلال تفسير ما غمض من لفظها أو إكمال موضوعها فالخاتمة الأولى لا تنتمي لحدث القصة أو تهتم بفعل أو قول إحدى شخصياتها بقدر ما تهتم بتفسير الصيغة لتقريب المعنى، ففي المثل رقم (٥) على سبيل الملاحظة تعتمد الخاتمة تفسير كلمة

(١) الاسجج: حسن العفو، خلق سجيح: لين سهل، ينظر لسان العرب، مادة (سجج)

(٢) المفضل الضبي، أمثال العرب: ١١٨.

(٣) نفسه: ١٢٠.

(٤) نفسه: ١٣٧.

مذقة (المذقة شربة ممزوجة) الواردة في صيغة المثل (هذا ومذقة خير)<sup>(١)</sup>، وخاتمة المثل رقم (٤٤) تفسر كلمتي (الصباح: شراب النهار، والغبوق: شراب الليل) الواردتين في نص مثل (أعن صبح ترقق)<sup>(٢)</sup>، في حين تعمل خاتمة القسم الأخير على إضافة حدث لاحق بعد إكمال قصة المثل، فهي عبر اعتمادها (خبراً) معيناً تضيف ما يوسع من نص المثل ويفتح حدوده عبر الامتداد بحدث من أحداث قصته كما في الأمثال (٩، ٢٩، ٣٨)، إذ يهتم المثل رقم (٩) بحمق (مالك بن زيد مناة بن تميم) مورداً قصة زواجه من (النوار بنت جد بن عدي بن عبد مناة) بما يتنظم فيها من صيغ الأمثال حتى تختتم جرياً على عادة (المفضل) بصيغة (أستي أخبثي)، لكن نص المثل يمتد لخبر مَنْ ولد للنوار ومالك مضيفاً إليه ما قاله الشاعر الفرزدق<sup>(٣)</sup>.

وفي المثل رقم (٢٩) يلاحظ اكتمال النص عبر اعتماد عدد من المقاطع الشعرية للحارث ابن ظالم، وللفرزدق في ذكر قصة المثل والوقوف على بعض تفاصيلها، حتى ينتهي النص بجملته (فأتى على ذلك ما شاء الله) ليتم بعدها بخبر الحارث ومصيره<sup>(٤)</sup>.

وفي المثل رقم (٣٨) يقدم النص تمام قصة (الحارث بن جبلة الغساني) مع (المنذر ابن امرئ القيس) وما حدث فيها من وقائع وصولاً لمواجهة جيشهما ومقتل المنذر ليلحق ذلك بخبر (عمرو بن شمر بن عمر) الذي ادعى أنه مَنْ قتل المنذر بعد أن رأى مصرعه فأخذ بُرداً كان عليه، فقال له الحارث حين رآه: (أتتكَ بحائن رجلاه) فيمتد الخبر بعد ذلك لذكر ما جرى بينهما ويتابع مصير عمرو حتى بعد تنفيذ الجزاء<sup>(٥)</sup>.

يلاحظ على هذا القسم متابعته لمجريات الحدث القصصي، وإضافته لما لا يغير من منحى القصة واتجاه أحداثها، بل إنه يُقدّم تعليقاً على حدث، أو متابعة لإحدى الشخصيات بعد تمام قصة المثل باعتماد خبر من أخبارها، بغض النظر عن أهمية هذه الشخصية، ودورها في قصة المثل، فنص المثل يوسع عبر

(١) المفضل الضبي، أمثال العرب، ٥٨.

(٢) نفسه: ١١٦.

(٣) نفسه: ٥٨.

(٤) نفسه: ١١٦.

(٥) نفسه: ١٢٣.

اعتماده الخبر من دائرة سرده، ويمنح قصته النظر خارج حدودها.

قدمت كتب الأمثال اللاحقة، تبعاً لاهتمامها بمادتها اللغوية واستجابتها لمنهج تأليفها، نماذج متعددة للخاتمة يمكن أن تضيء جانباً من جوانب دراستنا لبنية الإطار السردى وهي تنجز باتساع نماذجها ما يهيئها لاختبار حيوية الصياغة الأدبية في تحولها وشمولها، إذ قدم كتابا (أبي فيد) و(أبي عكرمة) من صور الخاتمة ما توجّه للعناية باللغة تفسيراً واستشهاداً، وبالشعر جمعاً وتمثيلاً، مثلما اهتما، وإن بدرجة أدنى من العناية بقصة المثل، وصيغته، فضلاً عن توجههما لاستضافة بعض الأحاديث النبوية الشريفة، بما يحدد سمة أخرى من الانفصال بينها وبين صور خاتمة أمثال (المفضل الضبي) بانشغالها بالصياغة الفنية في سبيل إقامة أقصى ما يمكن من العلاقة العضوية بينها وبين نص المثل، والقصة منه على نحو خاص.

تتعدد صور الخاتمة في كتابي (أبي فيد مؤرج السدوسي) و(أبي عكرمة الضبي)، وتختلف أشكالها بما يمكن دراسته كما في الجدول الآتي:

ت	الاختتام	كتاب أبي فيد	كتاب أبي عكرمة
١.	الاختتام بالمعنى اللغوي للشعر	١٩	٦٢
٢.	الاختتام بالشعر	٤٥	٢٥
٣.	الاختتام بتفسير الشعر	١٠	١٦
٤.	الاختتام بقصة المثل	١٠	٥
٥.	الاختتام بصيغة المثل	١١	٢
٦.	الاختتام بالخبر	—	١
٧.	الاختتام بالصيغة اللغوية التي تقوم مقام المثل	٩	—
٨.	الاختتام بالحديث النبوي الشريف	١	—
	المجموع	١٠٤	١١١

يشكّل الاهتمام (بمعاني اللغة) و(الشعر) موقعاً مركزياً بين صور خاتمة أمثال كل منهما، ففي الوقت الذي ينصرف فيه (أبو عكرمة الضبي) للعناية بالجانب اللغوي، وهو يشكّل نسبة (٥٥.٩%) من بين صور خاتمة أمثاله، تلاحظ عناية (أبي فيد مؤرج السدوسي) بالشعر فهو يشكّل نسبة (٤٣.٣%) من

بين صور الخاتمة في كتابه، إلى الدرجة التي عُدَّ فيها كتابي لغة أكثر من كونهما كتابي أدب، حيث تحوّل كل منهما إلى ((خزانة صغيرة لمختارات من الشعر القديم))<sup>(١)</sup>، في إكثارهما من الأشعار التي يفسرانها متوسلين (الأمثال) حجة لذلك<sup>(٢)</sup>، بما يُغيّر من نظم السرد وطرائقه في معالجة موضوعاته وقد غيّرت من مراكز اهتمامها، فلم تعد العلاقة بين قصة المثل وبين لواحق خاتمته مهمة بما يؤمّن انتظاماً سردياً لمجمل أمثال الكتاب، بقدر ما استأثرت العناية اللغوية بالاهتمام، فهي حتى في حال اتفاقها موضوعياً مع أحد أقسام الخاتمة في كتاب (المفضل الضبّي) تختلف فيما تقيمه من علاقة بين خاتمته وبين نص مثله، كما في الاختتام بالشعر وقد ورد في كتب (المفضل) و(أبي فيد) و(أبي عكرمة)، إذ يلاحظ الدارس سعي الأخيرين إلى إيراد المقطع الشعري، طال أم قصر، تمثيلاً أو تفسيراً لمعنى لغوي أو مناسبة، فقد خضع نظام السرد في الكتابين لتغيّر نوعي لم يعد في المثل من التفصيل والانتظام ما يدعوه للتعليق أو التلخيص كما لوحظ في كتاب (المفضل)، فالشعر يورد في كتاب (أبي فيد) مجرداً من مناسباته، ومقطوعاً في معظم الأحيان عما قبله إلا بما يؤكد نمطية الاستشهاد بـ (الصيغة) كما في المثل رقم (٣) من كتاب أبي فيد: ((قبل الرماء تملأ الكنائن)) يقول: خذ أهبة الأمر، قبل أن ينزل بك. قال الأعشى لمالك بن سعد بن ضبيعة:

**كفى قومهُ شيبان إنَّ عظيمَةً**

**متى ما تحنّ تؤخذ لها أهباتها))**<sup>(٣)</sup>

أو كما في المثل رقم (٥١) من كتاب أبي عكرمة:

((وقولهم: ((ما يساوي فلان طليّة)) قال الأصمعي: الطليّة: الخويط والخويصة يُجعل في عنق الجدي، على هيئة الرّبْق. يقال: قد طلا البهْمَة، إذا فعل ذلك بها. والطليّة مشتقة من الطليّة، وهي صفحة العنق. وفي العنق طليتان.

قال ذو الرُّمّة، يذكر بعيراً:

(١) د. رمضان عبد التواب: مقدمة (الأمثال) لأبي عكرمة الضبي: ١١.

(٢) ينظر: د. محمد توفيق أبو علي: الأمثال العربية والعصر الجاهلي: ٥٢.

(٣) أبو فيد السدوسي، كتاب الأمثال: ٤٠.



## أضله راعيا كلبية صدرًا

### عن مطلب وطلّى الأعناق تضطرب<sup>(١)</sup>

وفي المجال نفسه حقق (تفسير الشعر) حضوراً بين صور خاتمة أمثال الكتابين مشكلاً نسبة (٩٠.٧%) بين صور خاتمة كتاب (أبي فيد) و(١٤.٥%) بين صور خاتمة كتاب (أبي عكرمة)، بما يشير لأهمية العناية الشعرية وهي ترتفع للمراتب الثلاث الأول في جدول خاتمة نصوص أمثال الكتابين متقدمة الاختتام بقصة المثل وصيغته وقد تراجع دورهما حتى لا يكاد أن يلحظان في كتاب (أبي عكرمة) على نحو خاص، فقصة المثل لا تتشكل في نصوصه على النحو الذي صادفنا في كتاب (المفضل) إذ أنها على الدوام تأخذ صورة الخبر القصير الذي يؤتى به في ختام المثل لتفسير قول، أو ذكر تقليد أكثر مما يُستحضر بوصفه تجربة أنتجت صيغة المثل وأمنت لها من الدقة والعناية ما يمكنها من الارتفاع إلى موروث الجماعة والإسهام برصيد تجاربها، كما في المثل رقم

(٧٠) وهو يورد قول الأصمعي في تفسير معنى (لئيم راضع) التي قامت في كتاب (أبي عكرمة) مقام المثل:

((قال الأصمعي: عَرَضَ لَصٌّ لبعض العرب، ومعه صِرْمَةٌ من إبل، فقال: خَلَّ عنها، فإنك لا ترضع منها. قال: لكني أحتلب فأشرب))<sup>(٢)</sup>.

وقد يُعنى في تغيّر تشكيل النصوص، وانفتاح مجالها اللغوي، بما هو تأريخي يُستحضر في ختام قول من أقوال الكتاب التي تقوم مقام المثل معتمدة من الخبر ((ما يغلب عليه قول الحقيقة، ويشير إلى سرد شيء من التاريخ))<sup>(٣)</sup>، تماشياً مع سعي الكتاب لتفسير بعض من أقوال العرب وبيان معانيها، بما يساوي بين الخبر وبين ما يسبقه من مقاطع شعرية أو تفسير نشري كما في المثل رقم (٥) من أمثال (أبي فيد) وهو يعتمد قول العرب: (قد بلغ السيل

<sup>(١)</sup> أبو عكرمة الضبي، كتاب الأمثال: ٩٠.

<sup>(٢)</sup> نفسه: ٩٩.

<sup>(٣)</sup> د. عبد الله أبو هيف، القصة العربية الحديثة والغرب: ٢٦٧.

الزُّبِّي) إذ يُختتم بسلسلة سند وصولاً إلى مفاد الخبر:

((قال: أتى معاذ بن جبل بثلاثة نفر، قتلهم أسدٌ في زُبْيَةٍ، فلم يدر كيف يفتيهم، فسأل عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، فقال: قصُّوا عليّ خبركم، قالوا، صدنا أسداً في زُبْيَةٍ، فاجتمعنا عليه، فتدافع الناسُ عليها، فرمواً برجلٍ فيها، فتعلق الرجل بأخر، وتعلق الآخرُ برجلٍ آخر، فهوواً فيها ثلاثتهم، فقضى فيها علي بن أبي طالب أن للأول رُبْعَ الدِّيَّةِ وللثاني النصف، وللثالث الدِّيَّةُ كلها))<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ على استخدام (الخبر) خاتمةً ما يكون بينه وبين (الصيغة) من انفصال، سواء كانت مثلاً أو قولاً، فالأساس المعتمد في الصلة بينهما هو تأصيل قول أو الاستشهاد عليه، ففي المثل الأول يورد (أبو عكرمة) قول الأصمعي بغية تأكيد (قول العرب) وتحديد مناسبتها، مثلما يتوجّه (أبو فيد) للاستشهاد بخبر من أخبار القضاء في الدولة الإسلامية في سبيل بيان معنى كلمة (زُبْيَةٍ) التي تضمنتها جملة المثل، لذا لا يكاد الباحث يلمس من الصلة مثلما تحقق في كتاب (المفضل)، فلم يكن التغير في نصوص كتابي (أبي فيد) و(أبي عكرمة) خاصاً، يمتد لجزء محدد أو جانب من جوانب نص المثل بقدر ما كان تغييراً كلياً يتخطى الجزء والجانب إلى المفهوم وما يقتضيه من تغيير في بنية نص المثل، الأمر الذي قدّم مع كتاب (أبي عبيد بن سلام) أنموذجاً مختلفاً، تتطلب ملاحظته على نحو مفرد، عبر انتظام منهجيته وموسوعية اهتمامه على الرغم من كونه ((يميل إلى شيء من الإيجاز، ولا يحتفل كثيراً في إيراد قصة المثل على طولها))<sup>(٢)</sup>، إذ إن نظام تبويبه يقترح طريقة خاصة للتعامل مع نص المثل لا يشكّل النص بمفرده مركز اهتمامها، مثلما يعتمد اندراج المثل في باب، واندراج الأبواب في جمع أبواب الأمثال في موضوع معيّن، مما يتطلب النظر إلى النص بمختلف وحداته بوصفه وحدة صغيرة توصل بما بعدها بما يؤمّن امتداد السلسلة ودقة حلقاتها بين مثل وآخر وهي تؤثر في نص المثل نفسه باستهلاله وخاتمته بشكل خاص، وهو يقيم ارتباطاً مع جهتي السلسلة، فاستهلال المثل يوثّق ارتباطاً بما قبله من أمثال، مثلما تعتمد خاتمته صياغةً أسلوبيةً محددةً تهبيّ لما بعده، بما يمكن أن نلاحظه على أبواب الكتاب جميعاً على النحو الآتي:

<sup>(١)</sup> أبو فيد السدوسي، كتاب الأمثال: ٤٣.

<sup>(٢)</sup> أبو عبيد البكري، فصل المقال، مقدمة الناشرين: ن.

(باب العفو عند المقدرة

قال أبو عبيد: من أمثالهم في هذا قولهم:

— ملكت فاسجج... —

ومن أمثالهم في هذا قولهم:

— إنَّ المقدرة تُذهب الحفيظة... —

ومن العفو قولهم:

إذا أرججن شاصياً فارفع يداً...

ومن أمثال العامة في مثل هذا:

— أكرموا الصرّيع<sup>(١)</sup> —

لا ينتمي كتاب (أبي عبيد بن سلام) كما تبين الدراسة لما عُرف قبله من نظام تأليف كتب الأمثال، ولا يتبع في جمع مادته وتقديم أبوابه طريقتها في الجمع والتقديم، ولا يسعى سعيها في الاهتمام بالجانب (الأدبي) مثلما في كتاب (المفضل الضبي) أو يستجيب لموجّهات لغويّة تغيّر من نصوصه وصيغته كما في كتابي (أبي فيد مؤرّج السدوسي) و(أبي عكرمة الضبي)، على الرغم من انتظامه زمنياً في حلقتها، إذ أنه يهيئ الأسباب لما بعد هذه الكتب، ابتداءً من كتاب (المفضل بن سلمة) (ت ٢٩١هـ) (الفاخر) مروراً بالكتب الكبرى في الأمثال العربية على اختلاف أعصر كتابتها في توجهها جميعاً للاعتماد على سوابقها حتى غدت ((في وجه من الوجوه، تلخيصاً لما سبق من كتب الأمثال))<sup>(٢)</sup>، وفي عنايتها بمناهج تأليفها حتى اختص كل منها بنظر إلى سبل التأليف وطرائقه، مما قدّم اجتهاداً منهجياً مميزاً ما يزال ينتظر جهود باحثينا للدراسة والتأمل في سبيل الوقوف على ركن مؤثر من أركان التأليف عند العرب.

\*\*\*

<sup>(١)</sup> أبو عبيد بن سلام، كتاب الأمثال: رقم الباب (١٨٨) ص ١٥٤.

<sup>(٢)</sup> د. محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي: ٥٣.



## الفصل الثاني الأحداث

- التجربة والصيغة في المستوى البلاغي للمثل (مدخل)
- الأنساق
- الدورة القصصية (المتتاليات)
- تغيّرات النصوص
- (حركة السياق الثقافي وأثرها في بناء الأحداث)



### التجربة والصيغة في المستوى البلاغي للمثل (مدخل)

تقودنا دراسة التشكيل السردى في كتب الأمثال إلى معاينة جانبها القصصى الذى يُسهم فى منح نصوص الأمثال خصوصيتها بالنظر إلى أهمية موقعه بين جوانب نص المثل، ولا تكتفى دراسة تركيب قصة المثل واستكشاف طبيعتها بأن تضيء أمامنا حدود النص الداخلية ولا تتغلق على بيان نظم الأحداث وأنساق ورودها، بل تتوجه من خلالها لبيان عددٍ من العلاقات مع مرجع مؤثر مثلما تحدد موقعاً لصيغتها، فلا تكاد قصة المثل تتفصل عن مرجعها أسوة بالفن القصصى بالإضافة إلى سعيها لتحقيق نوع من الحضور للتجربة التى لا تتبثق صيغة المثل ولا يؤكد حضورها فى وعي مجموعة لغوية من دونها.

إن نوعاً من التلازم بين التجربة وهي تُصاغ فى منظومة خبريّة محددة وبين الصيغة، يظل واضح الأثر مع استخدام الصيغة فى الممارسة اليومية: إن (المثل) بجملة أخرى لا يحقق مجاله التداولي مرتفعاً إلى ثقافة جماعة معينة من دون أن تحيط هذه الجماعة بتجربته وتألف واقعه، وتعيد إنتاجها بطريقة أو بأخرى، وهي تملك من الحساسية والتنظيم ما يدفعها على الدوام إلى الكشف عن جانب من الهاجس الفنى للجماعة. ولعل من الغنى عن البيان الإشارة إلى اختصاص هذا التصور بالأمثال المنبثقة عن تجربة معينة، تصاغ فى (قصة) لتنظيم مجال صيغتها وبيان أصلها، من دون أن يشمل الأمثال النصيّة التى إنما قامت لخصوصية أصلها وأهميته الثقافية كأمثال القرآن الكريم، وأمثال الحديث النبوي، وأمثال الشعر، وما نقل على السنة الخطباء والحكماء من مشهور القول ومتداوله، وإن اعتمدت جميعها ((ما يكاد يكون فطرياً فى أمثال الأمم جمعاء

نعني: الاقتضاب وبعد الإشارة<sup>(١)</sup>). وإذا كانت (القصة) قد تجلّت فناً أدبياً مميزاً لأهداف عديدة وغايات، فإن غايات وأهدافاً محددة تعمل على استحضار القصة وتأمين عمل منظومة أخبارها داخل نص المثل واعتمادها وحدة مهمة من بين وحداته، إذ أنها فضلاً عن اشتراكها مع القصة عموماً بحكم مركزيتها للتجربة الإنسانية<sup>(٢)</sup>، وارتفاعها عن نوعية ومستوى الأدب الذي تتجلى فيه<sup>(٣)</sup>، تعمل على إنجاز مجازها، وتأمين استعارتها بوصفها ((اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه))<sup>(٤)</sup>، فالتشبيه في الاستعارة التمثيلية لا يقع لما يكون بين مشبه ومشبه به من تقارب في (المعنى) فحسب، بل يتعدى ذلك لتأثير ما يلتقط من أوجه الشبه بين تجربتين، تقوم إحداها بدور المشبه، في حين تقوم الثانية بدور المشبه به، لتتنظم الاستعارة باستحضار التجربة الراهنة التي تقوم مقام (المشبه) وتغيب أو تأجيل التجربة السابقة، تجربة المثل نفسها التي تقوم عندئذ مقام (المشبه به)؛ إن مهمة الاستعارة القائمة على حذف المشبه واستعارة التركيب الدال على المشبه به، أي صيغة المثل للمشبه<sup>(٥)</sup>، تدعونا لتأمل أهمية تجربة المثل وملاحظة نظم صياغتها القصصية في كتب الأمثال وهي تحدد بالإضافة إلى محتوى التجربة صيغة المثل التي ستشير لخبرة الجماعة ووعيتها لتجاربها، فلا يُحدد استخدام المثل بزمان ومكان معيّنين، ولا يُعتمد لرغبة آنية عابرة، بل إن له من الخصوصية ما يؤكد حضوره في مختلف التجارب الإنسانية رصيد ثقافة تنشؤه الجماعة وتحافظ عليه بما يُقترح له من مجال تداولي في حياة أبنائها ((ذلك أن تركيز البعد العملي فيها خصب وعميق وموح))<sup>(٦)</sup>، الأمر الذي يكشف أهمية قصة المثل في التركيب الاستعاري، ويُعين لها موقعاً مؤثراً بغض النظر عما تؤديه من إخبار أو ما تتوسل به من طرائق وأساليب.

وإذا توجّهنا لتأمل قصة المثل ومعانيه وحداتها تبيّن ما تتفق به هذه القصة

(١) أنيس المقدسي، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي: ٩٣.

(٢) ينظر: سوزان لوهافر، الاعتراف بالقصة القصيرة، ت محمد نجيب لفتة: ١٧٠.

(٣) ينظر: رولان بارت، التحليل النثوي للقصة القصيرة، ت د. نزار صبري: ٢٣.

(٤) القزويني، الإيضاح: ٣٠٤، وينظر حول أهمية الصورة المجازية في مدلولات المثل د. عبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم: ١٦ وما بعدها.

(٥) ينظر: أحمد مطلوب وكامل البصير، البلاغة والتطبيق: ٣٦٠.

(٦) د. عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية: ١٣٨.



مع ((أبسط شكل للقصص النثري هو قصة تحكي سلسلة من الأحداث))<sup>(١)</sup>، فإن عناية المثل بالتجربة التي أنتجت الصيغة وأمنت لها مجالاً سردياً مناسباً دفع القصة للانشغال بمفاد التجربة، بالنظر إلى خصوصية موقعها في حياة الجماعة وفي رصيد خبراتها، فالأحداث في مثل هذا الشكل من القصص لا تستجيب على نحو كلي لإيعاز فني أو بنائي تتقدم على أساسه باقي وحدات قصة المثل، بقدر ما تبدو استجابة لمنطق خارجي يوجّه القاص، معلوماً كان أو غير معلوم لـ ((يقدم لسامعيه الأحداث في خط متسلسل تسلسلاً زمنياً مضطرباً وببنفس ترتيب وقوعها))<sup>(٢)</sup>، إنه يمثل باستجابته تلك صورة لممارسة سردية وضعت نصب عنايتها الاهتمام بوقائع الجماعة التاريخية منها والمتخيلة، ورصد صيغتها المنتجة بما يقترح عندئذ من نمط هو عبارة عن ((سلسلة من الأحداث المترابطة زمنياً ومنطقياً))<sup>(٣)</sup> بما يميز دور الأحداث ويدفعها للإسهام إلى حد كبير بتوجيه القصة داخل نص المثل باعتمادها عدداً من الوقائع التي يجمع بينها رابط معين، الأمر الذي يزيد من دور الخبر وفاعليته في تأمين مادة مناسبة باستعمال ((السرد القصصي على مجموعات وطوائف من الأحداث والوقائع))<sup>(٤)</sup> ويؤمن لتجليه في قصة المثل تنصيذاً مناسباً يمكن أن يُشير لمرحلة لمرحلة مهمة من مراحل تطوره، ويكشف وجهاً خاصاً من وجوه استخدامه قبل أن يستقل عن التاريخ ويكتسب ((قيمة أدبية خالصة))<sup>(٥)</sup>.

إن الأحداث وهي تشكل وحدة مؤثرة من وحدات نصوص الأمثال، وتُسهم في نمط من الصياغة يراعى فيه توجه التأليف للواقعة التاريخية وهي تتداخل مع التخيل في نصوص المؤلفين العرب الأوائل، تضيء توجهها عربياً قديماً اختصت به القصص ((منذ العصر الجاهلي ثم نمت [كذا] وازدهرت في العصور الإسلامية. نما من داخله ووفقاً لمنطقه الخاص ولمنطق العصر والمجتمع اللذين

(١) أدوين موير، بناء الرواية، ت إبراهيم الصيرفي: ١٢.

(٢) سيزا قاسم، بناء الرواية: ٣٧.

(٣) روبرت كازينو، القصص والخطاب وفلسفة الحدث، ت علاء العبادي، مج الثقافة الأجنبية

ع ١٩٩٨: ٩٢.

(٤) د. عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية: ٨.

(٥) د. شكري محمد عياد، فن الخبر في تراثنا القصصي، مج (فصول) مج ٢ / ع ٤ / ١٩٨٢:

كان يخاطبهما))<sup>(١)</sup>.

## الأنساق:

إذا نظرنا إلى ما تعتمد عليه قصة المثل من أنساق في بناء أحداثها تكشف لنا جانب من جوانب تقليديتها واقترابها من (الحكاية) بما ينتظم أحداثها من ترتيب زمني يُراعى فيه التسلسل والاتساق، وتجنب تقديم أنساق جديدة لا تتشكل الحبكة ولا تتوفر العناصر الجمالية في القصة من دونها، وهي تغيّر فعالية أحداثها من مبدأ التتابع إلى مبدأ السببية<sup>(٢)</sup>. إن المبدئين يعتمدان، كما هو واضح، عنصر الزمان، لكن الثاني يتميز بما يكون فيه من تأكيد على السبب تتقدم معه القصة وهي تنظم حبكةها وتعدّد من نسج خيوطها إلى الحكاية التي تعتمد أقصر السبل وأوضحها للوصول إلى غايتها.

تلاحظ الدراسة اعتماد قصة المثل في تقديم أحداثها نسقين أساسيين هما:

١. نسق التتابع ENCHAINEMENT

٢. نسق التنصيد ENFILAGE

ويبلور هذان النسقان حضوراً معيناً (للحدث) وهو يشكّل بمكوناته اللبنة الأولى في تكوين قصص الأمثال وإنشاء نصوصها، بما يجسده بمظهره الأسطوري والواقعي من ((رصد للوقائع التي يُفضي تلاحمها وتتابعها إلى تشكيل مادة حكاية تقوم على جملة من العناصر الفنية والتقنية والألسنية معاً))<sup>(٣)</sup> توجه حركة السرد وتؤمّن فاعليته بما تكون بينها من علاقات وما يُقترح لها من ترتيب، فإن ما يعنينا في القصة بالدرجة الأساس، حسب تعبير (روبرت شولز) هو ترتيب الأحداث<sup>(٤)</sup>، وانتظام حضورها، وهي تحقق عبر النسقين المذكورين شكلين مهمين هما عُدّة تجليها في قصص الأمثال، سواء ما استُحضر منها بصورة مفردة ليقدم باعتماده خبراً معيناً تجربة محددة لمثل لا تبدو معه مجتزأة أو مقطوعة، أو ما انتظم منها مع مجموعة أخبار يتميز كل

(١) د. عز الدين إسماعيل، المكونات الأولى للثقافة العربية: ١٣٨.

(٢) ينظر: فورستر، أركان القصة، ت كمال عياد: ص ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٣) د. عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة: ١٩.

(٤) ينظر: روبرت شولز، السيماء والتأويل، ت سعيد الغانمي: ١١٠.

منها باستقلال نسبي لكنها ترتبط فيما بينها برابط معين، شخصية أو حدث، ففي النسق الأول الذي يُعدُّ أكثر الأنساق بدائيةً في الأدب تقدّم قصة المثل على أساس رواية الحدث جزءاً بعد آخر من دون أن يكون بين هذه الأجزاء شيءٌ من قصة أخرى<sup>(١)</sup>، وهو يُلاحظ على نحو خاص في الأمثال التي تتطوي على حدث واحد، تتوجّه لتقديم أجزائه تقديماً تراثياً في حين تعتمد في النسق الثاني إلى تنضيد مجموعة من الأحداث المستقلة التي يربط فيما بينها، كما تقدّم، رابط معين من دون أن تقرّط بحضور النسق الأول في تقديم كل حدث منها وقد تتوجّه النصوص لتقديم (تنويع) داخل نسقيها يهيئ لأحداثها مجالاً مناسباً لتوسيع مساحتها السردية بما يسهم باستضافة عدد من الصيغ التي لا ترتبط ارتباطاً مباشراً بموضوعها الأساس أو شخصيتها بل تنبثق عن تنويع داخلي.

يشير حضور نسقي (التتابع) و(التنضيد) في بناء أحداث قصص الأمثال إلى جانب أساسي في العملية السردية المنتجة لها، إذ إنها تحرص على إقامة صلة مع تجربة المثل التي تعتمد بوصفها مرجعاً لإنتاج القصة وتأمين مجال حياتها، وهي لا تقوم، عندئذ، بأكثر من استعادة واقعة أو رجوع لخبر يتساوى فيهما وجه الحقيقة والخيال بما يُحدّد للقصة من هدف لا تكون فيه أنموذجاً فنياً خالصاً، ولا تُعدّ عنصراً تكميلياً بقدر ما تسعى لإضاءة فضاء إنتاج (صيغة المثل) التي تُعتبر قسماً مركزياً من أقسامه مهما تغيّر موقعها، أو تعددت صورها في نصوص الأمثال. إن القصة وهي تنظم أحداثها في نسقي (التتابع) و(التنضيد) تستجيب لأقدم الأسئلة وأكثرها بساطة متوجهة للكشف عن (ما) وقع، من دون أن تهتم على نحو واضح بالكيفية التي تنتج بها واقعتها السردية، إنها تقدم بجملة أخرى واقعة سردية مناسبة تحافظ معها على حضورها مستهدية بأثر سابق له من الأهمية ما يدعو لإعادة إنتاجه والنسج على منواله، كما لو كنا نروي (واقعة) أو نستعين بأمثلة، مما يتطلب حداً أدنى من الفعالية السردية يمثله من جانب بناء الأحداث النسقان المذكوران.

## – الدورة القصصية (المتناليات):

يقدم أنموذج الدورة القصصية إمكانيةً مناسبة لتأمل الهيكل الرئيس لأحداث

(١) ينظر: د. شجاع العاني، البناء الفني في الرواية العربية في العراق: ١٣/١.

قصة المثل وهو يعتمد خمسة مواقف (أو جمل) تشكّل متتاليةً تامةً يتوزعها نوعان من الحلقات ((حلقات تصف حالة (توازن أو اضطراب) وحلقات تصف الانتقال من حالة إلى أخرى))<sup>(١)</sup>، فهما ينفتحان على نوعي القول في القصة، يصف الأول (حالة ما) من توازن وعدمه، ويصف الثاني (عملية الانتقال) من حالة لأخرى، ويمكن مقارنتهما بنموذجين لغويين هما (الوصف والفعل) بما تتضمنه الأوصاف من رصد حالات معينة ثابتة وقابلة للتكرار، وما تقتضيه الأفعال من رصد عمليات الانتقال من حالة إلى أخرى في حركتها وديناميكيته وعدم حدوثها إلا مرة واحدة<sup>(٢)</sup>، منتظمة على النحو الآتي:

التوازن — عملية التغيير — فقدان التوازن — عملية إعادته — التوازن الجديد

يشير (تودوروف) إلى تعامله مع الأحداث في ((مستواها الأكثر تجريدًا))<sup>(٣)</sup> وهي تضم عدداً أدنى من الجمل يمكن أن ترد متتاليتهما مكتملة بمواقفها الخمسة، وقد تنقطع في أحد هذه المواقف أو يطوى بعضها فتعدّ، عندئذٍ، غير مكتملة، من دون أن يغيّر ذلك من هيكلها. وقد حدد (تودوروف) عبر دراسة المظهر التركيبي للنصوص نوعين من الأنظمة التي يمثل النص الأدبي فرصة مهمة لامتزاجها، يجمع في الأول منها العلاقات الزمنية والسببية التي تمنح الأحداث فرصة التعاقب المنطقي بما ينشأ بينها من تلازم وارتباط، والنوع الثاني هو العلاقة المكانية التي تمنح الوحدات من خلالها ترتيباً مطّرداً، وتتجاوز أجزاء النص لرسم سطح معين.

ويمكننا رصد قصص الأمثال، وتبين ترتيب أحداثها مستعينين بالمتتالية السابقة وهي تتوجّه لاستقصاء الهيكل القصصي اعتماداً على وعيها القصة بوصفها متوالية من الأحداث، إنما تحقق عبر تشكّلها السردية ((أمثلة لافتراضات وقيم ثقافية عامة))<sup>(٤)</sup> بما يحافظ على سمة معينة، أو يُعرف بها، أو بما يُفترض من انتقال بين السمات والأحوال، ليضيف إلى عاملي الزمنية والسببية عاملاً آخر هو ((الاهتمام الإنساني)) الذي ((يقرر ما إذا كانت

(١) تزفيطان طودوروف، الشعرية، ت. شكري المبخوت ورجاء بن سلامة: ٦٩.

(٢) ينظر: د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ٤٠٤.

(٣) تزفيطان طودوروف، نفسه.

(٤) والاس مارتين، نظريات السرد الحديثة، ت. د. حياة جاسم محمد: ١١٢.

الأحداث والأسباب تتلاءم في عقدة ذات بداية ونهاية<sup>(١)</sup>). يمكن دراسة قصص الأمثال من خلال تأمل أحداثها، ومعاينة الوحدات التي تشكل تلك الأحداث مستجيبة في ترتيبها لنظام سردي معين، عبر تقسيم القصص بحسب اعتمادها على ما تُقدّم من أحداث، أحادية، أو ثنائية، أو عنقودية، وهي تعتمد (الخبر) وحدة أساسية إنما تتشكل القصة وتُقيم عالمها تبعاً لعنايتها به، مستجيبة لأصول ((وقواعد القصص المصطلح عليها آنذاك، وهي السرد المتتابع الذي يخلو من التعليق ومن التركيز على الدوافع الداخلية للشخصية المحكي عنها<sup>(٢)</sup>)).

تُقسّم القصة في نصوص كتب الأمثال تبعاً لعنايتها بـ (الحدث) إلى قصة أحادية الحدث، أو ثنائية الحدث، أو عنقودية الأحداث، وهي تنشأ على ما يلتقط من أخبار تشكل رصيذاً مهماً في أفق المثل العربي الذي يفتح على تجربة تعد خزائنه ومنبع صيغته، فهي في الوقت الذي (تخبر) فيه تستحضر واقعة، وتمثل عالماً يفترق عن (القول) في كونه يحافظ على زمنية صيغته، ففي الوقت الذي ((يبرز القول في إنجاز الكلام بصدد ما هو قيد الوقوع.. يتمثل الإخبار في إنجاز الكلام بصدد ما وقع<sup>(٣)</sup>). لتشكل قصة المثل وجهاً خاصاً من وجوه التعامل مع الخبر، فإذا كان الأخير قد حقق على أساس تراكمي للأحداث حضوره في الأنواع السردية المتصلة بالقصة نظراً لأصالتها وثباتها، وإمكان وجودها متعالية عن الزمان والمكان<sup>(٤)</sup>)، فإنه مع قصة المثل قدّم نموذجاً خاصاً لم يُستحضر لذاته بقدر ما استثمرت خصوصيته في إنشاء مجال سردي مناسب لاحتضان صيغة المثل، وتوفير فضاء نصي مناسب لها، بما يعلل تفوق حضور القسم الأول من القصة بشكل ملحوظ بين قصص أمثال (المفضل الضبّي) وانسحاب القسمين الأخيرين على النحو الآتي:

١. القصة أحادية الحدث (٧٥) مثلاً.

٢. القصة ثنائية الأحداث (٥) أمثال.

٣. القصة عنقودية الأحداث (٧) أمثال.

يُعين القسم الأول وهو يمثل نسبة (٨٥.٣%) من مجموع قصص (أمثال

(١) نفسه.

(٢) د. نبيلة إبراهيم، لغة القص في التراث العربي، مج (فصول) ٢م ٢ع ١٩٨٢: ١٥.

(٣) سعيد يقطين، الكلام والخبر: ١٩١.

(٤) نفسه: ١٩٥.

العرب) على فهم دور (الخبر) في إنشاء قصة المثل، وإضاءة تجربته، وهو يمتد في الموروث الثقافي من جانب، ويجيب من جانب آخر عن تساؤل أساسي يواجه دارس كتب الأمثال إذ يلاحظ الثبات النسبي الذي ميّز نص الأمثال على الرغم من تغيير نظم التأليف، واختلاف عصوره وموجهاته، بالمقارنة مع أنواع سردية أخرى استطاعت أن تقترح لنفسها من الحركة والتحول ما أمّن لها حضوراً مهماً لا في تاريخ السرد العربي حسب، بل بما قدّمته من إثراء للنوع ما يزال أنموذجه الإنساني حياً، فإن اهتمام نص المثل بإضاءة تجربته، واقعية كانت أو خيالية، في سبيل تأمين مجال سردي مناسب لصيغته، دفع قصته للعناية بـ (الخبر) بوصفه أصغر وحدة حكاية تتميز بالثبات وتعدّ أصلاً سردياً يتجلى — عبر مبدئي التراكم والتكامل — على أساس ارتباطه بـ (الحدث)، في حين يتصل نوعان مثل القصة والسيرة على أساس ارتباطهما (بالشخصية)<sup>(١)</sup>، بيد أن قصص الأمثال تقدم أنموذجاً للخبر يمكنه — عبر المبدئين نفسيهما — الارتباط بالحدث في حال اعتماده مفرداً، وبالحدث والشخصية في حال تقديم مجموعة من الأخبار ثنائية أو عنقودية كما سنلاحظ في نصوص أمثال السليك بن السلعة، وطرفة، أو داحس والغبراء.

## ١. القصة أحادية الحدث:

تتوجّه نصوص الأمثال لتقديم أحداثها في منظومات خبرية قد تكتفي بخبر محدد يضيء تجربة المثل وينشئ مجالاً سردياً مناسباً لاحتضان صيغته، وقد تمتد لأكثر من خبر تتوحد نسائجها السردية في نسق متتابع وتتضافر في (متواليات) تسعى حلقاتها لوصف حالتي (التوازن أو الاضطراب) و(الانتقال من حالة إلى أخرى)، ولعل من نافلة القول الإشارة إلى الطبيعة المرنة للمتتالية التي تمكنها من الورود كاملة أو مجزوءة، إذ ((يمكن للمتتالية بطبيعة الحال أن تقطع في وسطها (انتقال من التوازن إلى الاضطراب فقط أو العكس) أو تقطع إلى أقسام أصغر))<sup>(٢)</sup>، بما يمكننا من دراسة المتتاليات المختصة بحدث واحد على النحو الآتي:

أ. المتتالية التامة.

(١) ينظر: م. ن.

(٢) ترفيضان طودرروف، الشعرية: ٦٩.

ب. المتتالية غير التامة.

ج. المتتالية المزدوجة.

يقدم المثل (٣٢) مثلاً مناسباً من بين أمثال (المفضل الضبي) التي تقوم على خبر مكتمل تحدده متتالية تامة تسهم عبر حضور وحداتها بكشف السبب والنتيجة اللذين يقيمان الحدث وينظمان حركته عبر ظهور التوازن وغيابه محققه لسردية المثل أحد أبسط أشكالها القصصية.

١. توازن: رجل له فرس معلّم قد تآلفها وعرفته.

٢. عملية التغيير: بعثه قومه طليعة، وهو لا يدري أن العدو قريب.  
(سبب)

٣. فقدان التوازن: أسر الرجل وهربت الفرس. (نتيجة)

٤. عملية إعادته: الطلب من الرجل إعادة الفرس فديةً لنفسه. (نتيجة/ ٢)

٥. توازن جديد: عودة الفرس. (عرفتني نساها الله)<sup>(١)</sup> (صيغة المثل)

في حين يُقدّم القسم الثاني من القصة أحادية الحدث عبر (المتتالية غير التامة) نماذج سردية مختلفة تسهم بما يكتنف حلقاتها من نقص وما يشوبها من فقدان بإضاءة موضوعها الأساس فهي تقيم نوعاً من جدل العلاقة مع موضوعها، إذ أنها تكشف عبر نقص حلقاتها ما يتوجّه الموضوع للتعبير عنه من دون أن يكون هذا الكشف محدداً بصيغة معينة، كما في المثل رقم (١٨):

١. توازن: أحب النمر بن تولب امرأة من بني أسد بن خزيمه فاتخذها لنفسه وقد أسنّ يومئذ. كان له بنو أخ.

٢. تغيير: بعض بني أخيه يراود امرأته عن نفسها (سبب)

الزوجة تشكو للنمر (نتيجة)

النمر يرد: قولي لهم وقولي..

٣. فقدان التوازن (المحتمل): الزوجة تقول (سأكفيك ما كان قولاً)<sup>(٢)</sup>  
(صيغة المثل)

يرتفع قول الزوجة مؤدياً مهمتين في وقت واحد، الأولى هي إنتاج صيغة

<sup>(١)</sup> المفضل الضبي، أمثال العرب: ١١٧.

<sup>(٢)</sup> نفسه: ٦٩.

المثل بعد أن وفّرت القصة فضاءً مناسباً لها، والثانية هي الانفتاح على ما يمكن أن يكمل دورته القصصية ويُتم أحداثها (حلقاتها)، فليس المقام مقام قول وردّ بقدر ما هو مقام عمل ومواجهة، وهو ما يفتقد إليه الزوج لكبر سنه، مما يدفع المتوالية، على الرغم من عدم اكتمالها، باتجاه (الأشعار بالفقدان) الذي تمثله صيغة المثل على نحو واضح وهي تكتم شعوراً بالسخرية.

ويقدم نص المثل رقم (٢٤) عبر متاليته غير التامة أنموذجاً مختلفاً يمكن تأمله كما يأتي:

١. توازن: عمرو بن جدير عنده امرأة معجبة له جميلة.
٢. عملية التغيير: ابن عمه يزيد بن المنذر بها معجب (سبب)
٣. فقدان التوازن: دخل عمرو ذات يوم فرأى من ابن عمه ومن زوجته ما كرهه، فأعرض عن ابن عمه وطلق المرأة. (نتيجة)
٤. عملية إعادته: تعرض القبيلة للسلب

إنقاذ يزيد لعمرو

يزيد يقول: (تلك بتلك فهل جزيتك؟)<sup>(١)</sup> (صيغة المثل)

تتفق متوالية المثل رقم (٢٤) مع سابقتها في كونها يفتحان على ما يمكن أن يكمل المتوالية من أحداث أو يبنى بها، وإذا كانت المتوالية السابقة قد اتجهت نحو (الإشعار بالفقدان) فإن متواليتهما تتجه نحو (الإشعار بالتوازن الجديد) الذي يظل من دونه سؤال يزيد (صيغة المثل) مفتوحاً، لا ينغلق ولا يستقر بغير اكتمال المتوالية وتحقيق التوازن الجديد.

ويمكن لنص المثل رقم (٣٣) أن يقدم جانباً آخر تُسهّم المتوالية فيه بكشف الموضوع:

١. توازن: قوم يعيشون في جزيرة من جزر البحر دونها خليج.
٢. عملية التغيير: أتى الجزيرة قوم يريدون أن يعبروها فلم يجدوا معبراً. نفخوا أسقيتهم وجعلوا يعبرون عليها.
- رجل منهم أقل النفخ وأضعف الربط. (سبب)
٣. فقدان التوازن: لما توسط الرجل الماء خرجت الريح حتى لم يبقَ في

---

(١) نفسه: ٧٧.



السقاء شيء وغشيه الموت فنأدى رجلاً من أصحابه.

صاحبه يقول: (يداك أوكتا وفوك نفخ)<sup>(١)</sup> (صيغة المثل)

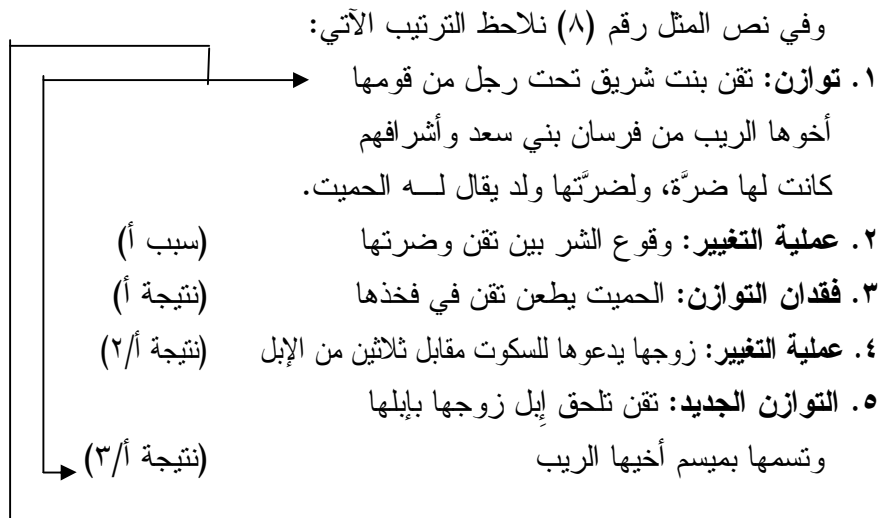
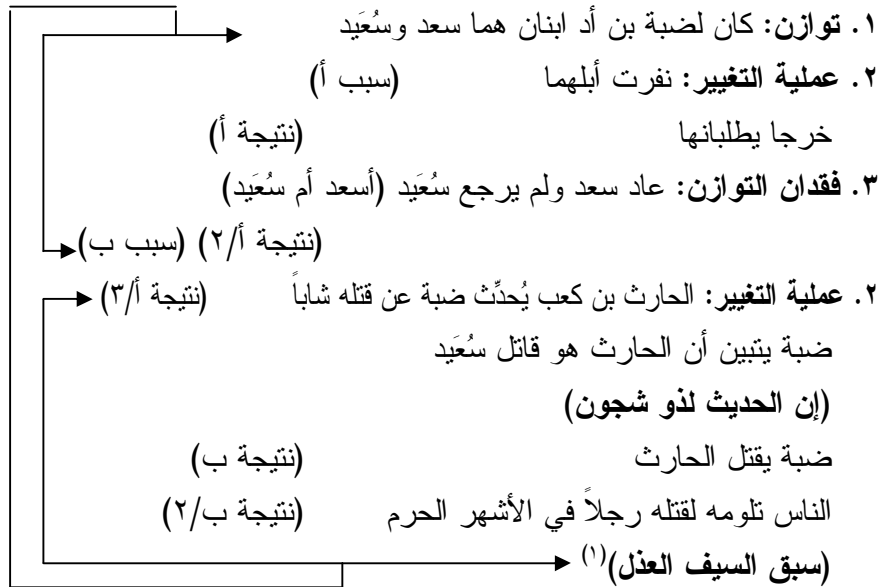
إن ما تسعى إليه المتوالية في سبيل إكمال نقصها والخروج من مأزق الرجل هو (طلب التوازن الجديد) الذي لن يكون مختلفاً عن التوازن الأول كثيراً، لكن الجملة الأخيرة (صيغة المثل) تقوم بتلخيص الواقعة وتأكيد عملها بما يُشير لاستحالة تحقق الطلب، واحتمال انفتاح المتوالية على حدث مختلف يكمل فيه القوم عبورهم من دون الرجل صاحب السقاء.

ويمكننا أن نلاحظ عبر القسم الثالث (المتتالية المزدوجة) أن نموذجاً يعتمد تضافر الأسباب والنتائج وتعاضدهما بما يكون بين متتاليات أحداثه من تواشج وارتباط سواء وردت المتتالية تامة أو مقطوعة فهي تمنح أحداثها تشكيلاً يختلف عن القسمين السابقين بالتعقيد النسبي لنسائجه السردية، وقدرته على الامتداد لمساحة أوسع من الأحداث والشخصيات من دون أن يغير من انتظام نسق التتابع الذي يحكم وحداته ويحدد مجالاً متواتراً لحركة أحداثه، وهي تتوجه بالأساس للإجابة عن سؤال معين، فإذا كانت ((هناك قاعدة شبه عامه وهي أن السرد يكون جواباً عن سؤال، أي تلبية لرغبة أو طلب قد يكتسي صيغة الأمر))<sup>(٢)</sup>، فإن سرد الأمثال يكون جواباً عن سؤال معلوم لا يبحث عن حدث ولا يطلب شخصية ولا يديم لغزاً، بل يتوجه بالتحديد لتجربة المثل التي تفترض دوران (صيغته) بين الناس بما يوجه السؤال على نحو أكثر تخصيصاً لمعاينة (الكيفية) التي تجلت بها الصيغة، فإن سؤالاً سردياً معيناً مثل (كيف كان ذلك؟) يشكل موقعاً خاصاً في أفق إنتاج نصوص الأمثال وتنظيم مجالها القصصي إلى جانب كونه مسؤولاً إلى حد بعيد عن إبراز محفزات الحكى في العديد من أنواع وأشكال السرد العربي القديم<sup>(٣)</sup> مما يمكن السرد، مع توالي السؤال، من تغيير نسائجه وإن عملت جميعها في مجال معلوم كما في نصوص الأمثال (١)، (٨)، (٨٨) التي تسهم أكثر من متتالية في نسج أحداثها، ففي المثل رقم (١) ترد الأحداث كما يأتي:

(١) نفسه: ١١٧.

(٢) عبد الفتاح كليطو، الغائب: ٤٩.

(٣) ينظر: سعيد يقطين، الرواية والتراث السردى: ٣٥.



(١) المفضل الضبي: أمثال العرب: ٤٧.

١. توازن: سفيان بن شريق (أخو تقن) يرد الماء  
 ٢. عملية التغيير: يلاقيه الحميت على الماء ويكون بينهما كلام (سبب ب)  
 ٣. فقدان التوازن: الحميت يضرب سفيان فيدمي قروحاً  
 كانت في عنقه  
 ٤. عملية التغيير: سفيان يأتي أخاه الريب  
 الريب يطارد الحميت  
 الريب يضرب الحميت بالسيف  
 (أعركتين بالضعيف)<sup>(١)</sup>

ونلاحظ في نص المثل رقم (٨٨) الترتيب الآتي:

١. توازن: إن أخوين كانا في إبل لهما  
 ٢. عملية التغيير: أجذبت بلادهما  
 هبوط أحد الأخوين إلى الوادي  
 ٣. فقدان التوازن: الأخ تلدغه حيّة الوادي  
 طلب أخيه الحيّة لقتلها (نتيجة ب)  
 ٤. عملية التغيير: الحيّة تطلب الصلح، الأخ يوافق  
 ٥. التوازن الجديد: الحيّة تُعطي الأخ كل يوم ديناراً  
 الأخ يصبح أحسن الناس حالاً  
 ٢. عملية التغيير: يذكر أخاه فيأسف  
 عمد إلى فأس فأحدها  
 ضرب الحيّة فأخطأها  
 الفأس يترك أثراً على الحجر  
 ٣. انعدام التوازن: الحيّة تقطع الدينار الذي كانت تعطيه  
 (نتيجة د)

(١) نفسه: ٥٦.

الأخ يندم، يطلب العودة إلى ما كان عليه مع الحيّة  
الحيّة ترفض

(نتيجة د / ٣)

(كيف أعودك وهذا أثر فأسك؟)<sup>(١)</sup>

تبيّن التطبيقات السابقة قدرة نصوص الأمثال على استحضار (الخبر) وتنظيم وحدات أحداثه بما يسهم بكشف موضوعاته وبيان محمولاته، فلم يقف اعتماد المتتاليات عند حدود شكلية مغلقة بل ساعد على الارتقاع بموضوع المثل وتأمين المجال الأنسب لصيغته على مختلف أشكال المتتاليات (التامة، غير التامة، المزدوجة) وهي تنظم أخبارها عبر إشعار بالفقدان، أو إشعار بتوازن جديد، أو المطالبة به، فالنقص الحاصل في المتوالية غير التامة ينم عن مستوى صريح من النقص والحاجة للذين يكتنفان موضوع المثل ويشوبان واقعته بما يتطابق، إلى حد بعيد، مع صيغة المثل التي ترد مفردة هي الأخرى في مجمل نصوص هذا القسم، في حين يُقدّم القسم الثالث باعتماده متتالية مزدوجة (تتفتح على متتاليتين غير تامتين تقدمان خبراً محدداً) صيغة واحدة أو أكثر، يسهم تعاضد المتتاليتين وتواشج الأسباب والنتائج بينهما بتنظيم مجال سردي مناسب لها.

ويمكن تأمل إمكانية هذه النصوص على تأمين مستوى من الرصد لحركة أحداثها، وتحولات شخصها بما يشيع من روح تنبيء في الأدب النثري لتلك المرحلة<sup>(٢)</sup>، لا يتوجّه لرصد تحولات خارجية أو التنبؤ بها فحسب، بل يكون بمستطاعه، إلى حد ما، إضاءة دواخله والأشعار بتحوّلات أحداثه، ومتغيرات شخصه، ومن المهم الإشارة إلى نوعية هذا (الأرصاء) الذي لا يعمل على تقديم قصص متضمنة تكون بمثابة تلويح بتحول أو مصير إحدى شخصيات قصة المثل بل يتم ((عن طريق جملة قصصية صغيرة من القصة الأصلية))<sup>(٣)</sup> ترد على لسان إحدى شخصيات القصة مما يُعزّز سمة نبوءة توحد أحداث قصة المثل وتزيد من فاعلية الأواصر فيما بينها، ففي المثل الأخير (رقم ٨٨)

(١) نفسه: ١٧٧.

(٢) ينظر: د. عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية: ١٠٠.

(٣) د. شجاع العاني، البناء الفني في الرواية العربية في العراق: ٣١ / ١.

يُصرِّح السارد بأن ((في الوادي حيّة قد حمته من كل أحد))<sup>(١)</sup> معزراً بالجملة المحققة دور الحيّة في الحفاظ على الوادي ومنع الناس عنه، ليكون حوار الأخوين عندئذ مبيناً في تصوّر مسبق إذ يُحذر أحدهما الآخر قائلاً ((إني أخاف عليك الحيّة، ألا ترى أن أحداً لم يهبط ذلك الوادي إلا أهلكته))<sup>(٢)</sup> ثم يحدث أن تلدغ الحيّة الأخ فتقتله بعد أن يرعى إبله زماناً في الوادي، فيُتيح الحوار على هذا النحو ((الفرصة للمواقف المتغيرة والقفزات السريعة ويجنب المنشئ تراكب الجمل، والدوران حول الفكرة الواحدة التي تربط بين أجزائها برباط محكم ثقيل))<sup>(٣)</sup>، ليكتمل الأرصاد وتتحقق النبوءة وتواصل قصة المثل بناءً على مقتل الأخ سرد أحداثها، الأمر الذي يمكن متابعة تطور عمله وتعقيد دوره مع القسمين اللاحقين وهما ينفتحان على أكثر من خبر مما يمنح القصة مسافة أبعد من الأحداث تسهّل أمامها إرصاد أحداث لاحقة أو الإشارة إلى تحولاتها.

## ٢- القصة ثنائية الأحداث:

تُقدّم القصة ثنائية الأحداث إنموذجاً مهماً من بين نصوص أمثال (المفضّل الضبي)، على الرغم من ضعف نسبتها أمام نسبة القصة أحادية الحدث، إذ أنها تشكل (٥.٧%) من مجموع الأمثال بيد أنها بتحولها من نسق التتابع إلى نسق التنزيد، وعنايتها بقبصص (الشخصيات) تقدم مقرباً آخر لتأمل سرديّة نصوص الأمثال وفحص أساليب صياغتها، فإذا كان نسق التتابع يقوم بالأساس على تقديم أحداث القصة جزءاً بعد آخر، فإن نسق التنزيد يتوجّه لتقديم تتابع قصصي تستقل كل قصة فيه عن الأخرى ((تصل فيما بينها شخصيّة مشتركة))<sup>(٤)</sup> مما يمنح الخبر فرصة أكبر في التنظيم وهو يستجيب لرباط فني لم يكن يتوفر في نصوص القسم الأول باعتمادها تقديم خبر محدد بمتوالية تامة، أو غير تامة، أحادية، أو مزدوجة ترتبط بالحدث وبسبل أدائه بالدرجة الأساس، في حين تواجهنا القصة ثنائية الأحداث باستجابتها لنسق التنزيد- الذي لا يقل

(١) المفضل الضبي، أمثال العرب: ١٧٧.

(٢) نفسه.

(٣) د. عبد المجيد عابدين، الأمثال في النثر العربي القديم: ١٠٠.

(٤) ف، شلوفسكي، بناء القصة القصيرة والرواية، عن نظرية المنهج الشكلي، ترجمة إبراهيم الخطيب: ١٤٦.

بدائية وشيوعاً عن سابقه- بوضوح عنايتها بشخصية معينة إنما تتوحد في إطارها الأحداث ويعتمد نص المثل سرد وقائعها، كما يوضح الجدول الآتي:

ت	رقم المثل	الشخصية	الأحداث	صيغة المثل
١.	١٠	أم خارجة	أ.خبر نكاح أم خارجة ب.خبرها مع بعض ولداها	أسرع من نكاح أم خارجة ماله أُلَّ و غُلَّ
٢.	١٣	السليك بن السلكة	أ.صفته وخبر خروجه للغزو ب.خبر آخر من أخبار غاراته	إن الليل طويل وأنت مقمر أضرطاً وأنت الأعلى العاشية تهيج الآبية
٣.	١٩	جارية بن سليط بن الحارث	أ.خبر وقوعه على امرأة من خثعم ب.خبر ابن جارية من المرأة	بمثل جارية فلترن الزانية عوف يرناً في البيت
٤.	٦٤	لقمان بن عاد	أ.خبر لقمان والإبل ب.خبره مع امرأة بن تقن	رُميتُ فرميت.. لا فتى إلا عمر إحدى خطيأت لقمان أضرطاً آخر اليوم..
٥.	٨٧	طرفة بن العبد	أ.خبره طفلاً مع المتلمس ب.خبر مقتله	استنوق الجمل -----

قد تقوم قصة المثل، كما في القسم السابق، على تقديم أحداثها في متتالية تامة أو مجزوءة تُطوى إحدى حلقاتها ويُختزل أثرها في حلقة لاحقة بما يمكننا من تأشير الحلقة المفقودة وتعيين أثرها، ولا تكفي القصة، كما يبين الجدول،

بخبر واحد فهي تفتتح على خبرين توحد بينهما شخصية معينة، وتضم عدداً من (صيغ الأمثال) يستجيب لتنوع الأحداث التي توسع من مساحة (الخبر) وتزيد من مدى حلقاتها بما يهيئ المجال لتلمس أنساق ضمنية تنتظم داخلها الأحداث وتتعدد الصيغ. وتجدر الإشارة إلى الصلة بين الخبرين وهما يتضدان في قصة واحدة تتوجه بالأساس لجمع أحداث قد تتفق موضوعياً كما في المثلين (١٠)، (١٣) اللذين يتوجهان للجمع بين خبرين متآلفين يكشف الأول بعضاً من سيرة أم خارجة، ويلتقط الثاني خبرين من أخبار غارات السليك بن السليكة، وقد انفصل الخبران موضوعياً على الرغم من اتفاق شخصيتيهما كما في الأمثال الأخيرة (١٩)، (٦٤)، (٨٧)، فيقدم المثل الأول خبر مثل جارية وإعجاب امرأة من الخثعم به، وهو يتوجه في خبره الثاني لسرد بعض من طبائع ولدهما، مثلما تقدم قصة المثل رقم (٦٤) في أحداثها خبرين منفصلين من أخبار لقمان بن عاد، وتقدم قصة المثل الأخير إنموذجاً مختلفاً يلتقط فيه خبران من أخبار طرفة بن العبد يتوزعان بين طفولته ومقتله من دون أن تضاء المدة الفاصلة بينهما. إن فاعلية نسق التتضيد وحيويته تمنح نص المثل فرصة لتطوير نظم صياغته وتأمين مساحة أوسع لإنتاج مناسبة سردية لاحتضان (صيغ الأمثال) التي ستعدهد هي الأخرى بتعدد وحدات نصل المثل وتعدد أحداثها، كما في المثل رقم (١٣):

١. توازن: السليك بن السليكة التميمي من أشد فرسان العرب وأكثرهم شعراً
٢. عملية التغيير: افتقر حتى لم يبق له شيء (سبب)
- خرج رجاء أن يصيب شيئاً. اشتمل الصماء في ليلة باردة (نتيجة)
- بينما هو نائم جثم عليه رجل قصد أسره
- السليك يقول: (إن الليل طويل وأنت مقمر)
- الرجل يؤذي السليك، يُخرج الأخير يده فيضم الرجل ضمةً ضرط منها
- السليك يقول: (أضرطاً وأنت الأعلى)
- يتحادثان ثم يتبين السليك فقر صاحبه، فينطلقان معا
- يصادفهما رجل قصته مثل قصتهما فيمضون جميعاً
- يصلون جوف مراد الذي باليمن وإذا نَعَمَ قد ملأ كل شيء
- السليك ينفصل عن صاحبيه ليستطلع حال الحي

يتبين بُعدَ رجال الحي إن طلبوا لم يدركوا  
يكيد برعاء الحي فيغني منادياً صاحبيه:

يا صاحبي ألا لا حي بالوادي  
إلا عبيدٌ وآمٌ بين أذوادٍ  
أنتظران قليلاً ريث غفلتهم  
أم تعدوان فإن الريح للعادي

٣.توازن جديد: صاحباً السليك يسمعان غناءه فيأتيانه، يطردون الإبل  
ويذهبون بها من دون أن يلحق بهم أحد.

٢.عملية التغيير: خرج السليك ومعه عمرو وعاصم للإغارة (نتيجة/ب)

مروا على بني شيبان وهم مخصبون

السليك يُغير على بيت يزيد بن رويم الشيباني

الشيخ يزيد وامرأته بفناء البيت، لم يلبث أن أراح ابن لهما إبله

الشيخ غضب وقال لابنه: هلا كنت عشيتها، قال الابن: إنها أبت العشاء.

قال الشيخ (العاشية تهيج الآية) ثم أرجعها إلى مرتعها حتى رتعت.

الشيخ يرجع إلى العشاء مغطياً وجهه بثوبه من البرد.

السليك يتبع الشيخ ثم يضربه فيطير رأسه.

٣.توازن جديد: السليك يصيح بالإبل فيطردها، يعاونه صاحباه عليها<sup>(١)</sup>

يهيئ نص المثل رقم (١٣) فرصة لملاحظة عدد من التغييرات الحاصلة  
على نسجه السردية، وهو يعمل على تطوير موضوعه منوعاً تفاصيل خبريه،  
ويشمل عدداً أكبر من (الصيغ) التي يكون السرد بتنوعه وانفتاح أفقه حاضناً  
لها. يلاحظ، منذ البدء، اعتماد الخبرين سبباً واحداً (افتقار السليك حتى لم يبق

(١) المفضل الضبي، أمثال العرب: ٦١.



له شيء) مثلما يعتمدان (توازناً) هو نوع من العرض أو تقديم الشخصية المركزية بما عليه صفتها وما عُرف عنها بما يؤمن المجال لحضور (الخبر) في قصة المثل بوصفه واقعةً أو تجربةً معلومةً يُعيد النص تنظيم وحداتها ويحدد مواقع صيغها، محققاً نوعاً من الصلة المضافة التي يسري بين طرفيها- خبريها- حكم (زعموا أن) وهي تعمل في وقت واحد استهلاكاً للنص المثل وصيغة وصل بين قسميه، فالنص بذلك يُقيم أكثر من صلة بين القسمين: موضوعية وإطارية، تُسهم الأولى بإضاءة صفة الشخصية وتعيين وحدات التغيير في تجربتها التي يقوم نص المثل على تنظيمها وإعادة إنتاجها، وتعمل الثانية على تنظيم نسيج السرد وهو يتحرك من خبر إلى آخر، بما يفسح مجال حلقات متتالية ويوسع حدودها لتضم قصصاً أصغر قد تعد محاولة لملء فراغ العمل، أو بحثاً عن التنويع<sup>(١)</sup>، الذي لا يكتفي السرد معه بإضاءة حدثه داخل حدود خبر معين كما في (القصة أحادية الحدث)، بل يعتمد قصصاً ثانوية تقوم معها قصة المثل بدور الإطار حسب تعبير شلوفسكي<sup>(٢)</sup>، وهي توحد أجزاء القصص الصغيرة وتنظم مجال عملها، وقد تعتبر بالإضافة إلى ذلك نوعاً من تعليق الحدث الأساس والانشغال بحدث آخر لا يتشكل إلا داخل حدود الحدث السابق، بما يُعد مسوّغاً مناسباً لتقديم أكثر من (صيغة مثل)، فالصيغ الثلاث الواردة في المثل رقم (١٣) تنتمي لتنوعات الخبر أكثر من انتمائها للخبر نفسه، وإذا كانت الصيغتان الأوليان (إن الليل طويل..) و(أضرطاً..) قد انبثقتا عن فعل يرتبط بالشخصية الأساسية لنص المثل (السليك بن السلكة التميمي)، فإن الصيغة الأخيرة (العاشية تهيج الآبية) لم تتبثق إلا نتيجة حوار بين شخصيتين ثانويتين (يزيد بن رويم وابنه) وهما بالأساس وليدتا تنويع يقدمه الخبر الثاني.

ويلاحظ على نص المثل عدم عنايته بما يكون بين خبرية من اتصال زمني، فهما من عموم أخبار الشخصية التي يمثل النص مناسبة لاستحضارهما معاً، ويمكن أن يُقدّم أيُّ منهما على الآخر من دون أن يؤثر في موضوعية قصة المثل أو يغيّر من قيمة حضور كل منهما، فالنص يتشكل بوصفه إطاراً

(١) ينظر: أوستن وارين، رينيه ويليك، نظرية الأدب: ٢٨٩.

(٢) ينظر: شلوفسكي، بناء القصة القصيرة والرواية.

عن: نظرية المنهج الشكلي، ترجمة إبراهيم الخطيب: ١٤٣.

سردياً مناسباً لتألف الخبرين ولخلق مسوغ موضوعي لتلاحمهما دونما رابط زمني معين، إنهما نقطتان، أي نقطتين، على منحنى حياة الشخصية، الأمر الذي يتطابق فيه المثل رقم (١٣) مع المثلين (١٠) و (٦٤) وهي تقدم بنصوصها الثلاثة إنموذجاً يخضع لعمومية التأليف واعتباطيته الزمنية، على العكس من نصي المثلين (١٩) و (٨٧) اللذين يلحق الخبر الثاني في كل منهما الخبر الأول زمنياً، وينبني عليه موضوعياً، وإن ظلت المسافة بينهما مجهولة إلا بما يقترحه موضوعا النصين من تواشج بين زمنيتهما، ففي نص المثل رقم (١٩) تكون المسافة الزمنية بين الخبرين هي عمر ابن جارية الذي تمتد زمنية الخبر الأول منهما من وقوع (جارية بن سليط بن حارث) على امرأة من خثعم بعد أن استحسنته المرأة في سوق عكاظ حتى فطام وليدها لراس ثلاثة أحوال ولقائهما في عكاظ أيضاً فدفعت المرأة الغلام إليه فسماه عوفاً، في حين يتوجه الخبر الثاني لذكر بعض من صفات عوف وبأسه وقد كبر وشب.

ويقدم نص المثل رقم (٨٧) إنموذجاً يُضاء فيه طرفا عمر الشخصية، طفولتها ومماتها، بما يقترح مسافة زمنية ممتدة بين الخبرين امتداد حياة الشخصية نفسها، إن المدة الزمنية المغفلة بين الخبرين تكشف عنها طبيعة الحدث ومستوى التلازم بين خبريه بما يفتح المجال لنوع من النبوءة والرصد لم يكن ليتضح في القسم السابق من النصوص، فارتباط الخبر الثاني بالأول، وانشغالهما بشخصية معينة أو بشخصيتين معينتين كما في نص المثل الآتي، يُهيئ للخبر الأول فرصة التنبؤ ورصد بعض أحداث الخبر الثاني، كما يُهيئ للخبر الثاني بناء على ما تقدم من كشف لشخصيته فرصة التنبؤ بنهاية إحداها ورصد خاتمة نص المثل على النحو الآتي:

### نص المثل (٨٧)

١. توازن: المتلمس أشعر أهل زمانه يُنشد في مجلس بني قيس بن ثعلبة.  
وطرفة بن العبد يلعب مع الغلمان.
٢. عملية التغيير: أقبل طرفة مع الغلمان يسمعون.  
(سبب)
٣. فقدان التوازن: المتلمس يُنشد:  
وقد أتناسى الهمَّ عند احتضاره  
بناجٍ عليه الصَّيعرية مُكدم

(صيغة مثل)

طرفة يقول: (استنوق الجمل)

المتلمس يغضب وينظر إلى لسان طرفة قائلاً:

ويل لهذا من هذا.

(نبوءة ١) (نتيجة) →

١. توازن: عمر بن المنذر بن امرئ القيس، عم النعمان، يرشح أخاه قابوساً  
ليملك بعده
٢. عملية التغيير: قدم عليه المتلمس وطرفة فجعلهما في صحابة قابوس  
وأمرهما بلزومه
- قابوس يجهد الشاعرين ولا يمنحهما أدناً صاغية (سبب)
- طرفة يهجو قابوساً (نتيجة)
٣. فقدان التوازن: قابوس يذكر عبد عمر بن بشر، ابن عمر طرفة، وكانت  
بينهما عداوة بهجاء طرفة له (سبب/ب)
- عبد عمر يُنشد هجاء طرفة لقابوس (نتيجة ب)
٤. عملية التغيير: قابوس يكتب لعامله على هجر أن يقتل المتلمس وطرفة  
أخبرهما أنه قد كتب لهما بحباء ومعروف، ثم أعطى كلاهما صحيفة  
المتلمس يدفع صحيفته لغلمان يقرأون عليه أمر قابوس فيلقي صحيفته في  
الماء. (نتيجة ب/٢)
- يقول لطرفة: أطعني وألق كتابك (نبوءة/٢)
- طرفة يعارض، حتى أتى به عامل قابوس فقتله<sup>(١)</sup>.

يُلاحظ تطور سمة النبوءة في نص المثل مع انفتاح النص على خبرين متواشجين، فإذا كانت المتتالية الأولى في نص المثل رقم (٨٨) من أمثال القسم الأول (القصة أحادية الحدث) قد قدّمت إرساداً لحدث لاحق هو هلاك الأخ

(١) المفضل الضبي، أمثال العرب: ١٧٤.

بلدغة الحية، كما تقدم، فإننا مع نص المثل رقم (٨٨) لنكون بمواجهة مستوى آخر من النبوءة والرصد يُعد فيه الخبر الثاني جميعه فضاء سردياً لتحقيق نبوءة الخبر الأول واكتمال دائرتها، فالويل الذي أُنذر المتلمس به طرفة من لسان طرفة إنما يتحقق بهلاك الأخير ونجاة المتلمس، وكان حرياً بهما أن يهلكا معاً، ولكن للسرد إرادته التي تقرر مع اقتراب الخاتمة إطلاق نبوءتها الثانية على لسان المتلمس أيضاً بصيغة الطلب هذه المرة (أطعني وألق كتابك)، لكن تمام النص لا يكون إلا بانحراف طرفة عن طاعة المتلمس لطاعة أمر السرد.

### ٣- القصة عنقودية الأحداث:

يدعونا هذا القسم من أقسام نصوص أمثال (المفضل الضبي) وهو يمثل نسبة (٧٠.٩%) إلى معاينة نص المثل بوصفه (منظومة خبرية) تتوجه عبر إطاري الشخصية والموضوع إلى مغادرة ما سعت الدراسة حتى الآن لكشفه وبيان أساليب صياغته: وهو إنتاج مجال سردي مناسب باعتماد واقعة معينة تمثل حاملاً خبرياً لصيغة المثل، يتحقق بينها وبين صيغة المثل من التلازم ما يشير إلى عمق الوشائج بينهما وبما يُعلن أهمية مزدوجة، فيروى خبر التجربة بمسوغ صيغة المثل، والصيغة لم تكن لتخلق مجال تداولها بغير الخبر، لكننا نلاحظ في قصص هذا القسم سعي النصوص لتقديم إنموذج توجه الخبر فيه عناية خاصة يمتد معها خارج دوره السابق، لتتراجع عندئذ صيغة المثل أمام هيمنة الخبر وأهمية حضوره وفاعلية نظامه السردي التي تجترح موقعاً خاصاً في كتاب (أمثال العرب)، ينحرف من خلاله لمدً أفق أحداثه وتنويع مجرياته ووقائعه باتجاه أيام العرب وملاحمها وغريب حوادثها التي لا تكتفي بخبر مجزوء أو حضور عارض، بل تشكل قابلية مضافة تتلاحم معها الأخبار وتتواشج الوقائع مؤيدة وحدة المظهر والنسيج الداخلي التي تمثلها ((ملحمة هذه الأيام وتنفي عنها صفة الثبات التي لاحقتها من تجزئتها وضعتها في مختلف الكتب))<sup>(١)</sup>، لتشكل وحدة النسيج عاملاً أول يُعدُّ نص المثل بامتداده وتنوع موضوعاته لاحتضان مادة روايات الأيام، بالإضافة إلى السمة الملحمية التي هيأت لنص المثل بثرائها وتشعب موضوعاتها، وباختلاف الأنساق السردية التي تتشكل منها بنيتها مثل الأسطورة والحكاية الخرافية والقصص المتعلقة بأعمال

(١) د. عادل جاسم البياقي، كتاب أيام العرب قبل الإسلام: ٣٢٠.

البطولة<sup>(١)</sup> مساحة أوسع: سردية وموضوعية، فهي فضلاً عن كونها أطول نصوص الكتاب- وتلك واحدة من سمات الملحمة التي يُشير أرسطو إلى ما يمكن أن يوتي فيها بفضل أسلوبها الروائي السردى من ((أجزاء كثيرة تفعل في وقت واحد))<sup>(٢)</sup>- تمثل أكثر مواده غزارة وأقربها إلى التاريخ الأسطوري كما مثلته على نحو خاص قصتنا لقمان والزباء<sup>(٣)</sup>، ويمكننا توزيع نصوص القصة عنقودية الأحداث إلى قسمين يضم الأول منهما نصوص الأمثال (٣٣)، (٣٨)، (٦٢)، (٨٣) وهي بانشغالها الكامل بشخصية معينة تعمل على تنظيم مجرى أحداثها على وفق ما تقترحه سمات الشخصية من قوة، أو غرابة، أو حمق ليرتفع النص ببناء أحداثه من تواتر متوالياته إلى نوع من التواشج يمثل منطقة بنائية وسطى بين كل من القسمين السابقين وهما يؤمّنان لمتتاليات أخبارهما تواتراً ملحوظاً والقسم اللاحق وهو يعمل بامتداد أخباره وانفتاحه على أيام العرب وملاحمها على إعادة إنتاج أخباره الصغار، كما ستبين الدراسة، في خبر واحد كبير.

إن نصوص أمثال سعد بن زيد مناة، وبيهس، ولقمان، ودغة، تقدم في كل خبر من أخبار أمثالها منظومة صغرى تنطوي في غالب الأحيان على أكثر من صيغة فالتشكيل العنقودي للأحداث يكون استجابة لتطلع النص للانفتاح على التجربة ومدّ خزين أحداثه على النحو الآتي:

ت	رقم المثل	صاحب المثل	الأخبار	صيغ الأمثال
١.	(٢٢)	سعد بن زيد مناة	١. خبر سعد وكبر سنه ٢. خبر سعد مع ولدين من أولاده ٣. رواية ثانية للخبر السابق	قد لا يقاد بي الجمل والله لا أرى سن الحسل والله لا أسرح فيها الوّة الفتى هبيرة حتى يجتمع معزى الفزر

(١) ينظر: د. أحمد أبو زيد، الملاحم كتاريخ وثقافة، مج (عالم الفكر) عدد خاص بالملاحم مج ١٦ ع ١/ ١٩٨٥.

(٢) أرسطو، كتاب أرسطو طاليس في الشعر، تح د. شكري محمد عياد: ١٣٦.

(٣) ينظر: د. عادل جاسم البياتي، كتاب أيام العرب قبل الإسلام: ٨٠.

ت	رقم المثل	صاحب المثل	الأخبار	صيغ الأمثال
٢.	(٢٨)	بيهس	١.خبر حمقه ومقتل أخوته ٢.خبر عودته إلى أهله وبعض حمقه ٣.خبر حمقه مع خاله	لكن بالأثلاث لحمًا لا يظلل لو خيرك القوم لاخترت يا حبذا التراث لولا الذلة دعوني فكفى بالليل خفيراً ألبس لكل حالة لبوسها.. مكره أخوك لا بطل
٣.	(٦٢)	لقمان	١.خبره مع زوجته براقش ٢.خبره مع أخته وولادة لقيم ٣.خبره مع لقيم ٤.خبر آخر مع لقيم ٥.خبره مع ابن بيض لتاجر	على أهلها تجني براقش هذا حرّ معروف وكنيت البارحة في حر منكر. ذنب صحر. كأن برحل باتت وبرحلها بات لقم أشبه شرج شرجاً لو أن أسيمراً في نظم سيفك ما ترى يا لقم لي الغادرة والمتغادرة والأفيل النادرة سدّ ابن بيض الطريق.
٤.	(٨٣)	دغة	١.خبر زواجها وولادتها ٢.خبر حسد النساء لها ٣.خبر رهان	نعم ويدعو أباه أحمق من دغة هين لين وأودت العين القوم ما طبّون

ت	رقم المثل	صاحب المثل	الأخبار	صيغ الأمثال
			زوجها عليها	

يبدو تلاحم الأخبار في هذا القسم ضرورياً بما يُشير إلى جانب مهم من جوانب توزيع صيغ الأمثال داخل الخبر الواحد وامتدادها بين مجموعة أخبار داخل النص الواحد، فإن أهمية حكايات هذا الصنف من الأبطال، سيما لقمان في هذا القسم والزباء في القسم اللاحق، بوصفها قطعاً متطورة من أساطير، كما يشير د. أحمد كمال زكي ((ظلّت تتردد صدًى للوجدان الجماعي، وكثير منها تسال بدوره إلى أيام العرب))<sup>(١)</sup>، تجلّى لتضم عدداً مهماً من صيغ الأمثال بما يدعونا لملاحظة الدور الذي تؤديه الشخصية بين قسم وآخر من أقسام البحث مستفيدة من مرجعها وما تسحبه وراءها من أسطورية التصور لتشتمل على عدد من صيغ الأمثال يواجها تسللها إلى قصص أخر في مرحلة متأخرة من مراحل كتب الأمثال<sup>(٢)</sup>، فالشخصية، بجملة أخرى تترك أثرها على ما يجتمع تحت ظلها من صيغ، تتساوى في هذا التصور شخصية المثل الأساسية، إنسانية أو حيوانية، كما سيبين القسم الأخير من الدراسة، وهي كلما امتد أثرها في الذاكرة والوجدان ازداد رصيدها من الصيغ، فالنص، هنا، يسعى لإقامة صلة أعمق بين الشخصية وما يُنتج من وقائع حياتها وتجاربها من صيغ إنما تُضاء بما تختزنه الذاكرة وما يؤثره الوجدان.

يقدّم القسم الثاني من (القصة عنقودية الأحداث) بنصوصه الثلاثة (٢٧)، (٥١)، (٦٠) نموذجاً لانفتاح نص المثل في كتاب المفضل يُمنح معه الخبر فرصة لكسر نظام سابق هو الترتيب المتواتر للحدث، الذي يمكن لمتاليتيه أن تحدد الخبر وتُشعر بمجال عمله وامتداده سواء وردت تامة ومجزوءة، أحادية أو ثنائية أو مزدوجة، لتتسنى لها الحركة في مجال جديد تنوب فيه الحدود بين

(١) د. أحمد كمال زكي، الفن القصصي في التراث العربي، مج (الآداب) ٧٤، ٨ سن ١٩٨٩/٣٧: ٤١.

(٢) نشير، على سبيل الملاحظة، للصيغة التي يقدمها نص المثل رقم (٦٢) في خبره الأول: (على أهلها تحني براقش)، وبراكش في الخبر زوجة لقمان، لكنها كما يذكر الميداني (ت ٥١٨هـ) كلبة لقوم من العرب، وفي قصة أخرى امرأة لبعض الملوك. ينظر: الميداني، مجمع الأمثال: ١٤/٢.

أخبار كل نص من النصوص، وتنتمى في شكل تملك فيه (الواقعة) من الأهمية ما يدفعها لتتقدم صيغة المثل نفسها. إن عدم التناسب البين بين طول النص، بوقائعه وتلاحم أخباره، وعدد الصيغ يدعونا للنظر إلى عناية كتاب (أمثال العرب) بالنص نفسه، وانشغاله بنقل الخبر على امتداده وتداخله مع (أيام العرب) عن تنظيم مجال خبري محدد لإنتاج صيغة المثل. إن ذلك يدعونا لملاحظة أثر الأيام على إنتاج الأمثال العربية، ما اختص منها بوقائع الجماعة وأخبار غزواتها على نحو خاص فمن الباحثين مَنْ يُرجّح هذا الأثر إلى الدرجة التي يعد معها ((أن الأيام هي التي أنطقت الرجال والنساء أمثالا تُعبّر عن تجارب قائلها، إن ذكروا، فهم من الذين كان لهم دور في تلك الأيام))<sup>(١)</sup>، إن نص المثل في هذا القسم يحقق انحرافين في وقت واحد: فني وموضوعي، يكون الأول بالخروج على محدودية الخبر ووضوح نظامه، ويتجلى الثاني بعنايته بالمحمول، أو الفضاء المنتج أكثر من عنايته السابقة بالخبر بوصفه مجالا لإنتاج الصيغة، فإذا كان الخبر في ما تقدم من نصوص قد مثل مناسبة سرديّة لتأمين موقع صيغة المثل في تجربة معينة، فإن الخبر في هذا القسم يتجسد بوصفه واقعة معلومة تملك لأهميتها ولخصوصية موقعها أن تفتتح فتضم عدداً من صيغ الأمثال، وعلى الرغم من كون رواية أيام العرب وذكر وقائعها تمثل الجانب الأبرز في جهود (المفضل الضبي) في الأخبار<sup>(٢)</sup>، سواء منها ما تعلق بأخبار داحس والغبراء التي نشبت بين عبس وذيبيان وذكر إنها دامت أربعين سنة، أو وقائع الحرب التي دارت بين المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة والحارث بن جبلة ملك الغساسنة، فإننا نلاحظ تباين الطرائق التي يرد بها الخبر، واختلاف الآلية التي يتصل بها مع سواه من الأخبار، فإذا كان ((الرواية يغلبون الجانب القصصي عند سردهم للحوادث على النسق التاريخي))<sup>(٣)</sup> فإن عنايتنا بالجانب السردى تدعونا لملاحظة خصوصية هذا النموذج بين نصوص أمثال (المفضل الضبي)، وهي تتفرق بين الخبر المختزل الذي لا يكاد يضم غير المتحاربين وذكر اليوم كما في نص المثل رقم (٧٥): ((زعموا أن سليحا

(١) عفيف عبد الرحمن، الأمثال العربية القديمة (مصادرها - توثيقها - أهمية دراستها) مجلة العربية

للعلوم الإنسانية - الكويت ع ٣١٠ ربيع ١٩٨٣: ٢٤.

(٢) ينظر د. زكي ذاكر العاني، دراسة تحليلية في أقدم كتاب في الأمثال، مجلة (المورد) مج ٢٤

ع ١٩٩٦/٨: ٨.

(٣) منذر الجبوري، أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي: ٧٧.



من قضاة طلبوا غسان في حرب دارت بينهم، فادركوهم بالقسطل، فقالوا: يوم كيوم القسطل، فذهبت مثلاً<sup>(١)</sup>، والخبر الطويل الذي يضم من التفاصيل ما يضيء جهد (المفضل الضبي) ويبرز عنايته بهذا الضرب من الأخبار<sup>(٢)</sup>، بما يقترح صلة معينة، عارضة نوعاً ما ولا تؤمن ارتباطاً تفصيلياً بين الخبر في القسم الأول وصيغة مثله كما في نص المثل السابق وما يخلق وشائج واضحة بين الخبر في القسم الثاني وصيغة مثله التي تثبت في الغالب عن تفصيل محدد واقع جزئية مثل: (جري المذكيات غلاب)، (لا تركض مركضا)، (رويدا يعلون الجدد) .. الخ التي ترد في معظم الأحيان حواراً لإحدى شخصيات الحدث المركزية بما يزيد من ارتباطها بالحدث واقتربها من الواقعة، في حين يمثل الأنموذج الأول (يوم كيوم) تعليقاً خارجياً عاماً يُراد منه الإشارة لعنف اليوم وقوة واقعه.

يمكن ملاحظة أثر الانحراف الأول (الفني) عبر صعوبة الفصل بين مكونات قصة المثل من الأخبار، وملاحظة الانحراف الثاني (الموضوعي) بتمام الوقائع المقدمة في نص المثل، وهي تسعى لإقامة مستوى من التكامل القصصي بين عناصرها، كما في خبر (ابنة الزباء)<sup>(٣)</sup>، بشكل خاص، ويمكننا النظر إلى تواشج الأخبار وتلاحمها، ومواقع صيغ الأمثال فيها، عبر المقترحات الثلاثة الآتية لقراءة النصوص، من دون أن ندعي نهائية هذه القراءة لصعوبة

(١) المفضل الضبي، أمثال العرب: ١٦٨.

(٢) من الأيام الواردة في كتاب (أمثال العرب): ١. يوم الفروق: ٩٨-٩٩

٢. يوم ذي حس: ٩٨

٣. يوم عراعر: ٩٨

٤. يوم ذي نجب: ٧٨

٥. يوم القسطل: ١٦٨

٦. يوم عين أباغ: ١٢٢

٧. يوم حليلة: ١٦٩

(٣) تثبت رواية المفضل الضبي صدر الاسم (ابنة) أو (بنت) خلافاً لعدد من الروايات اللاحقة التي تكتفي بـ (الزباء)، وفي رواية المفضل لاسم الملكة مطابقة للاسم الوارد في النقوش التدمرية وقد يكون هذا دليلاً، كما يُشير د. عبد المجيد عابدين، على أن رواية الضبي في بعض أجزاءها - على الأقل - مأخوذة من مصادر آرامية.

ينظر: د. عبد المجيد عابدين، الأمثال في النثر العربي القديم: ٣٨-٤١.

الفصل بين وحدات هذه النصوص إلا على أساس الفصل التقريبي بين حدث وآخر:

### المثل رقم (٢٢):

١. خبر داحس
٢. خبر إغارة قيس بن زهير على بني يربوع.
٣. خبر الرهان بين قيس بن زهير وحذيفة بن بدر.
٤. خبر الرهان: ترك الخداع من أجرى من مائة غلوة (صيغة المثل)  
جري المذكيات غلاب (صيغة المثل)  
إنك لا تركض مركضا (صيغة المثل)  
رويداً يعلنون الجدد (صيغة المثل)
٥. خبر كمين بني فزارة
٦. خبر مقتل عوف بن بدر على يد قيس بن زهير.
٧. خبر مقتل مالك بن زهير.
٨. خبر الربيع، ووقوع الحرب: وحسبك من شر سماعه (صيغة المثل)
٩. خبر مقتل جنيد بن علي يد مالك بن بدر.
١٠. خبر (الخاترة): اجتماع بني فزارة وثعلبة على بني عباس، وهزيمة عباس لهم.
١١. خبر توجه حذيفة مع رجاله ورجال بني ذبيان لبني عباس:  
اتق ماثور القول بعد اليوم (صيغة المثل)
١٢. خبر مسير بني عباس حتى وقوعهم باليمامة.
١٣. خبر رجل من الضباب أسرته بنو عبد الله بن غطفان.
١٤. خبر إغارة قرواش بن هني العبسي على بني فزارة ومقتله.
١٥. خبر ارتحال بني عباس عن بني عامر إلى بني تغلب.
١٦. خبر يمين الحصين بن ضمضم المري.
١٧. خبر غضب فزارة وحصن وبني عباس لمقتل الحصين.

١٨. خبر الصلح بين بني مُرّة وبني فزارة.<sup>(١)</sup>

### المثل رقم (٥١):

١. خبر كليب: أعز من كليب بن وائل (صيغة المثل)
٢. مقتل كليب وناقاة البسوس: تجاوزت شبيهاً والأحص (صيغة المثل)  
أشأم من ناقاة البسوس (صيغة المثل)
٣. خبر جساس بن مُرّة: أسته أضيق من ذاك (صيغة المثل)
٤. خبر الحارث بن ضبيعة: لا ناقاة لي في هذا ولا جمل (صيغة المثل)
٥. خبر بني تغلب مع مُرّة بن ذهل بن شيبان (صيغة المثل)
٦. خبر مقتل بجير بن الحارث: يؤ بشسع نعل كليب (صيغة المثل)
٧. خبر مقتل عمر بن أبان على يد أبي بجير
٨. خبر أسر كثيف.
٩. خبر مقتل عمر بن الزبان على يد كثيف: آخر البز على القلوص  
(صيغة المثل)
- أشأم من خوتعة (صيغة المثل)
- أنقل من حمل الدهيم (صيغة المثل)
١٠. خبر نذر الزبان: إيتِ فقد أنى لك<sup>(٢)</sup> (صيغة المثل)

### المثل رقم خبر (٦٠):

١. خبر ابنة الزباء.
٢. خبر حصارها دومة الجندل: تمرّد مارد وعزّ الأبلق (صيغة المثل)
٣. خبر جذيمة الأبرش وطلبه الزواج منها: لا يُطاع لقصير رأي (صيغة المثل)
٤. خبر مضي جذيمة إليها: وإنها لا يشق غبارها (صيغة المثل)

<sup>(١)</sup> المفضل الضبي، أمثال العرب: ١٠٩-٨١.

<sup>(٢)</sup> نفسه، ١٢٩-١٣٧.

ببقّة صُرْم الأمر (صيغة المثل)  
أشوار عروس ترى (صيغة المثل)  
لا يحزنك دم هراقه أهله (صيغة المثل)  
٥. خبر نجاة قصير: يا ضلّ ما تجري به العصا (صيغة المثل)

٦. خبر عمرو بن عدي اللخمي خليفة جذيمة وابن أخته وطلب الثأر من ابنة الزباء:

خير ما جاءت به العصا (صيغة المثل)  
أمنع من عقاب الجو (صيغة المثل)  
فأعني وخلاك ذم (صيغة المثل)  
لأمر ما جدع قصير أنفه (صيغة المثل)  
قد جئت بما صاء وصمت (صيغة المثل)  
بيدي لا بيديك يا عمرو (صيغة المثل)  
٧. خبر إعجاب جذيمة بعدي بن نصر وتوليته كأسه وإعجاب رقاس أخت جذيمة به

٨. خبر ولادة رقاس غلاماً سمته عمراً  
٩. خبر استطارة الجن لعمرو: أعطي العبد كراعاً فطلب ذراعاً (صيغة المثل)

١٠. خبر عودة عمرو إلى أمه: شبّ عمرو عن الطوق (صيغة المثل)  
وإقامته مع خاله إلى أن خرج إلى ابنة الزباء<sup>(١)</sup>.

يقودنا اهتمام نصوص الأمثال بتفاصيل الخبر والعناية بوحداثته الصغرى إلى ملاحظة حركة النصوص وتأمل قدرتها على الملاءمة بين أهدافها، بوصفها منظومات خبرية تحتضن الصيغ وترتفع بها، وخصوصياتها النصية وهي ((تزداد ثراء بتفاعلها مع سياقات ثقافية متغيرة))<sup>(٢)</sup>، فنصوص أمثال (المفضل الضبي) كما تشير الدراسة لم

(١) نفسه: ١٤٣-١٥٠.

(٢) د. عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية: ٩٩.

تختط لنفسها أنموذجاً محدداً شكّل قانون الكتاب وقالبه، بقدر ما وفرت لها عناية التأليف منطقة من الاختيار والتركيب تدرجت فيها النصوص فتباينت إمكانياتها السردية وأسهمت بمنح كتاب (أمثال العرب) خصوصيته: حلقة مؤثرة في سلسلة كتب أمثال العربية وإنموذجاً لافتاً من نماذج أدبها.

### تغييرات النصوص حركة السياق الثقافي وأثرها في بناء الأحداث

مثلما أثرت موجّهات الثقافة ومتغيراتها في الحياة العربية بمختلف أنشطتها الأدبية والفكرية، أثرت في نص المثل، وهو جانب مهم من جوانب الحياة، وغيّرت من نظم التأليف فيه مع دخول كتبه مرحلة شهدت تغييراً في سياق التلقي واستجابة لنوع من الموجّهات اقتضته طبيعة المرحلة وخصوصية عملها، لا بما خضعت له نصوص الأمثال من نظر في سياق (التلقي التاريخي)<sup>(١)</sup> بوصفها مرويات جاهلية عوملت معاملة مرويات سردية ونثرية أخرى كالقصص والخطابة ونثر الكهان، بل بما سحب هذا الضرب من التأليف إلى جهة الدرس اللغوي وإخضاعه لعناية تفسيرية وضعت نصب اهتمامها مقتضيات عصرها وحاجاته اللغوية أكثر من اهتمامها بالنصوص نفسها. الأمر الذي يمكن أن يُجيب عن سؤال التغير النوعي في مفهوم (المثل) نفسه بين كتاب (المفضل الضبّي) والكتب اللاحقة، باعتماد الأول نمطاً محدداً من صيغ المثل المعروفة، وتوخي إضاءة ما علّق بها من أخبار، إنما قامت في سبيل إحياء التجربة بالدرجة الأساس والتقاط تفاصيلها، وتوجه الكتب اللاحقة لتطويع نصوص الأمثال لغاية هي الاستقصاء والاستزادة اللغويين بما يجب ضمناً عن تحول بعض كتب الأمثال إلى مختارات شعرية أو نوع من المعاجم اللغوية. إن تغير السياقات وتباعد أهدافها يؤثر، بالضرورة، في النصوص وهي تستجيب في كل مرة لإيقاع مختلف يشمل بآثاره نظم التأليف وأساليبه مثلما يشمل عناصره ووحداته، والحدث واحد من العناصر التي خضعت لتغيرات كمية ونوعية، انسحبت معها عن أداء دورها الأساس كما تمثل في كتاب (المفضل الضبّي) لتشغل موقعا ثانوياً لا يتعدى عُشر نصوص أمثال الكتاب أو أدنى من ذلك تاركاً مكانه لحضور تفسيري يصيغ الكتب بصبغته ويخلخل مركزها

(١) نفسه.

القصصي، إذ إن الحدث، فضلاً عن محدودية وجوده، لا يتشكل إلا من خلال تعليق مؤلف الكتاب نفسه وهو يهشم الوحدات ويجزئها بما يحد من فاعلية حضورها السابق، فالحدث لم يعد يُطلب، في كتاب أبي فيد وأبي عكرمة على نحو خاص، لذاته أو لإضاءة تجربة المثل على أبعد تقدير بل بما يمكن أن يعزز من حضور الملفوظ الذي أصبح تبعاً لاختلاف الموجّهات مركزاً من مراكز هذا النوع من الكتب بما يحقق لصاحب الكتاب بوصفه عالم لغة بالدرجة الأساس، موقعاً يتحكم من خلاله ((تحكماً كلياً في شكل القص ولغته، أو بمعنى آخر، يتحكم في طريقة السرد وفي أبعاده اللغوية والدلالية والإشارية))<sup>(١)</sup> فيقَدّم جانباً من جوانب النص ويؤخر آخر، مشكلاً أكثر من مظهر لنص المثل وموجّهاً النصوص جميعها نحو الهدف الأساس للتأليف وغايته الأولى بما يمكن معه تحديد أنواع ثلاثة لصياغة النصوص هي:

#### ١. النصوص اللغوية.

#### ٢. نصوص الحديث النبوي الشريف.

#### ٣. نصوص الأحداث، أو تجارب المثل.

يشكّل القسم الأول جانباً مركزياً من جوانب كتاب أبي فيد وأبي عكرمة على نحو خاص، وهو يمكن أن يمتدّ ليشمل القسمين الأخيرين وإن توجه كل منهما وجهة مختلفة، يعتمد النص فيه على نحو كامل على ما يُقدّم من تفسير للفظ مفرد أو جملة تقوم بوصفها مثلاً، أو ما يعادل المثل تلنّظ على أثر حركة جديدة قامت بها فئة معلمي اللغة ورواتها منذ أواخر القرن الثاني بوصفها شواهد لغوية<sup>(٢)</sup>، وتتطلب من العناية والاهتمام ما يتطلبه المثل، فألفاظ مثل (المبسل)، (الفع)، (الرعاء)، (التعة)، (العرص)، (الوقبة)، وجمل مثل (ما به قلبه)، (لبيك وسعديك)، (نادم سادم)<sup>(٣)</sup>، تقوم في الكتابين مقام المثل وتعامل معاملة، وهي تعتمد من جانب آخر العناية اللغوية وجهاً من وجوه تقديم الأمثال وإنتاج نصوصها، فلا يُضاء من المثل في هذا الجانب إلا وجهه اللغوي بحثاً عن معنى أو تفسير واستشهاداً بما يناسب من الشعر لتقريب الصيغة وتأمين

(١) د. نبيلة إبراهيم، لغة القص في التراث العربي: ١٢.

(٢) ينظر: عبد المجيد عابدين، الأمثال العربية القديمة: ٥٧ وما بعدها.

(٣) أبو فيد مؤرخ السدوسي كتاب الأمثال: ٥٣، ٥٤، ٥٧.

وأبو عكرمة الضبي، كتاب الأمثال: ٤٦، ٤٨، ٥٩.

عملها مثل:

((بَدَت جنادعُهُ)) قال أبو فيد: سمعت أبا الدقيش يقول:

**قَد خَرَجْتَ جَنَادِعُـهُ**

**وَالشَّرُّ لَيْسَ وَاَدْعُـهُ**

والجنادع: دواب أمثال الجادج، تكون قريباً من الضَّب، فإذا خرجت تلك فهو عنده [كذا] دُنُوهُ<sup>(١)</sup> (وقولهم: ((لا تَبْلَمَ عليه))، أي لا تَقْبَحْ عليه.

وأصله: من أبلمت الناقة، إذا ورم حياؤها من شدة الضبعة، ومن قولهم: قد أبلم الرجل إذا ورمت شفتاه، ورأيت شفتي فلان مبلمتين. المعنى لا تشدد عليه<sup>(٢)</sup>.

لا تُعتمد في هذا القسم أخبار المثل أو منظومة أحداثها، ولا يُنظر في معظم الأحيان لقائله أو مناسبة قوله، بل يُكتفى بالمعنى والتفسير الذي يوجّه عنايته جهة تداول صيغة المثل (اللفظ والجملة) من دون أن يمنح جهة الإنتاج عناية تُذكر.

ويتداخل القسم الثاني (نصوص الحديث النبوي الشريف) مع القسم الأول من حيث عنايته اللغوية والتفسيرية، غير أنه يختص بأحاديث الرسول (ﷺ) مضيفاً لكتب الأمثال ركناً جديداً يستجيب على نحو واضح لجدة الموجهات وتغيّر السياقات الثقافية التي عملت على تأسيس نمط من العلاقة بين النص القرآني والحديث النبوي وبين آثار علماء الأمة، فإذا كان كتاب المفضل الضبي قد اعتمد بشكل كامل على موروث نص المثل، مقترحاً موقعاً معيناً لراوييه بين سلسلة رواة معلومين ومجهولين، فإن الكتب اللاحقة في مرحلة دراستنا اقترحت نوعين من المزوجة بين نص المثل، أو صيغته كما عُرِفَت في كتاب المفضل، وما كان بين أيدي مؤلفيها من نصوص - يدخل من ضمنها الحديث النبوي الشريف - مضيفاً موقعاً جديداً لراوي المثل ومنظماً مع تغيّر مفهوم (المثل) صورة أولية لمستجد الأمثال، عملت الكتب المتأخرة على تحديد مجال خاص لها، وهي خصيصة أخرى يُضيفها البحث للتمييز بين كتاب المفضل وما لحقه

<sup>(١)</sup> أبو فيد م.س: ٦٢.

<sup>(٢)</sup> أبو عكرمة م.س: ٩٥.

من كتب باعتماده الكامل على نصوص ماضية، وانفتاح الكتب اللاحقة على نصوص معاصرة لها، بغض النظر عن نوعية هذه النصوص ومستوى حضور (المثل) فيها.

إنها خصيصة يمكن أن تكشف عن أهميتها المرجعية التاريخية والابستمولوجية إذا ما نظر لها في إطار عصر التدوين (القرن الثاني والثالث الهجريين) وما اتبع فيه من عقائد ومعارف وتشريعات ورؤى<sup>(١)</sup> لم تتحدد بنوع معين من التأليف ولم تختص بمجال دون غيره، وهي تضيف لبحثنا ملاحظة ذات شطرين يصب الأول في حركية نص المثل - ومفهومه من قبل - وهو يخضع ضمن آلية تأليف كتب الأمثال لتغير حدوده واختلاف سياقاته، ويُشير الثاني إلى دور هذه الكتب وموقعها في الثقافة العربية التي تدعوها للاستجابة لتغير موجّهات هذه الثقافة بما يقلل من أهمية فكرة الهامش التي طرد إليها هذا النمط من التأليف طويلاً وينقله إلى موقع مركزي، لا على أساس نوع الكتب بل بحسب استجابتها لتغيرات السياق الثقافي.

ويمكن ملاحظة كتاب أبي عبيد بن سلام في هذا الباب بوصفه إنموذجاً لمنهجية لم تكن تتوفر في الكتب السابقة، عومل معها الحديث النبوي معاملّة خاصة فهو يضم أكثر من خمسة وتسعين حديثاً تقع معظمها في فاتحة أبواب الكتاب، في الوقت الذي اختلطت فيه الأحاديث النبوية في كتب أبي فيد وأبي عكرمة مع سواها من أمثال العرب وأقوالهم وغريب ألفاظهم، واقتصر وجودها على عدد محدود (حديثان في كتاب أبي فيد، وتسعة عشر حديثاً في كتاب أبي عكرمة).

ومن المهم الإشارة إلى طريقتي استضافة الحديث النبوي الشريف في كتب الأمثال، ففي الأولى يُقدّم في مفتح النص كما تقدّم صيغ الأمثال، معتمداً لأهميته ولخصوصيته اللفظية التي تتوجّه الكتب في معظم الأحيان لبيان معانيها كما في الأمثلة الآتية:

(وأخبرني أبو فيد، قال: بلغني أن النبي ﷺ قال:

((((نعم الحيُّ بنو مُدَلِّج، إذا أهلّوا عجوا، وإذا نَحَرُوا ثَجَّوا)))<sup>(٢)</sup>)

(١) ينظر: د. محمد عابد الجابري، التراث والحداثة: ٢١.

(٢) أبو فيد كتاب الأمثال: ٧٧.



(قال أبو عبيد: جاءنا الخبر عن النبي (ﷺ) أنه قال:  
إنما المرء بخليله، فلينظر امرؤ مَنْ يُخَالُ. ومع هذا إنه المثل السائر في:  
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

### فكلُّ قرينٍ بالمقارن مُقْتَدِرٌ

وهذا البيت لعدي بن زيد العبادي<sup>(١)</sup>.  
(وقولهم: "اطلبوا الخير من حسان الوجوه")  
يُروى ذلك عن رسول الله (ﷺ) الوجوه ها هنا: المطالب، أي اطلبوا الخير  
من أحسن المطالب، التي تحل بكم وتحسن بكم<sup>(٢)</sup>.  
وفي الطريقة الثانية يُعتمد الحديث لبيان معنى معيّن أو تفسير لفظ أو  
تحديد دلالة فهو يقع في نص المثل موقع الاستشهاد بالشعر وبعض ما نُقل من  
سير الخلفاء وأقوال العلماء، فالحديث النبوي بذلك يُسهم بتشكيل النصوص في  
وحدة تتسلاوى في هدفها مع وحدات أخر شعرية أو نثرية فضلاً عن خصوصية  
موقعها في الثقافة العربية. كما في الاستشهاد في الحديثين الآتين في كتاب أبي  
عبيد:

(الحرب خدعة)<sup>(٣)</sup>، و(ما صدقة أفضل من صدقة قول)<sup>(٤)</sup>.  
والاستشهاد بالأحاديث الآتية في كتاب أبي عكرمة:  
(إذا رأيت سواداً في الليل فلا تكن أجبن السوادين، فإنه يخافك كما  
تخافه)<sup>(٥)</sup>  
و(إذا سلك أحدكم طريقاً، فلا يرجع على حافرته)<sup>(٦)</sup>  
و(ارجعن مأزورات غير مأجورات)<sup>(٧)</sup>

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام، الأمثال: ١٧٨-١٧٩.

(٢) أبو عكرمة الضبي، كتاب الأمثال: ١٠٩.

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأمثال: ٣٧.

(٤) نفسه: ٤٠.

(٥) أبو عكرمة الضبي، كتاب الأمثال: ٧٢.

(٦) نفسه: ٥٨.

(٧) نفسه: ٢٨.

ويُقَدِّم القسم الثالث (نصوص الأحداث، أو تجارب المثل) جانباً من جوانب التغيير الذي لحق نص المثل ومناسبةً للحديث عن انفصال آخر في العناية والاهتمام بين كتاب (المفضل الضبّي) والكتب اللاحقة، لا يتحدد بقلّة عدد النصوص المعتمدة على أحداث أو تجارب، وهي مميّزة لا يمكن إنكار أهميتها، بل ينسحب على نوعية الحدث وآلية تشكيله السردية التي خضعت لتقطع واضح يفسح المجال داخل نص المثل لاستشهاد أو تفسير، وقد يُعتمد الحدث نفسه للاستشهاد على لفظ مُعيّن، وليس للإحاطة بالتجربة أو بيان مناسبة الصيغة والتعريف بقائلها، فالخبر في قسم مهم من أقسام الكتب لم يعد يستجيب لمثل هذه المحددات لحدائته النسبية ولانحرافه عن خصوصية الأثر الأدبي، وتراجع موقعه في النص، كما تقدّم في الفصل الأول، فضلاً عن السبب الأساس أي تحول هدف التأليف تبعاً لتغيّر سياقات الثقافة وموجهاتها.

تواجهنا في كتاب أبي فيد وأبي عكرمة مجموعة من النصوص المنطوية على حدث (تسعة نصوص في كتاب أبي فيد، وثلاثة في كتاب أبي عكرمة) تتباين في توجهاتها وأساليب صياغتها مثلما تباينت في أعدادها، ولعل من الجدير بالإشارة هو ما يحدث من تداخل وانتقال بين الأخبار والأحاديث والمعاني داخل النص الواحد، وهو جانب يعيد أمامنا فكرة الإملاء وأثرها في تأليف كتب الأمثال، ففي الوقت الذي تنتظم فيه النسائج السردية لكتاب المفضل حتى تتحرف في أخبارها الطوال بخاصة جهة أيام العرب، تتحرف الكثير من نصوص كتب أبي فيد وأبي عبيد وأبي عكرمة ومعها الكثير من نصوص الأصمعي وأبي زيد نحو كتب الأمالي بآلية تأليفها التي تعتمد انفتاح النصوص وتنقلها بين الموضوعات، واختلاف ما تنقله عن السلف فقهاء وعلماء لغة ورواة شعر، فضلاً عن عدم مراعاتها حدود إنتاج المثل الصياغية أو المفهومية.

نلاحظ أولاً الأخبار المنقولة وآلية النقل التي تعتمد التصريح بالمصدر فيما يخص الأخبار العامة والتعريفات، وإقامة سلسلة سند بالأحاديث النبوية الشريفة، وتجارب الخلفاء والصحابة، كما في نص أبي فيد (قد بلغ السيل الزبى)<sup>(١)</sup>، ونص أبي عكرمة (لا يفارق سوادي سوادك)<sup>(٢)</sup>، إذ يروي أبو فيد خبراً من أخبار قضاء الإمام علي بن أبي طالب بعد أن يورد الصيغة ويفسّر معنى كلمة

(١) أبو فيد، كتاب الأمثال: ٤٠-٤٣.

(٢) أبو عكرمة، كتاب الأمثال: ٧١.

(الزُبَيَّة) التي ذُكرت الصيغة من أجل بيانها وجلاء معناها، ثم يستشهد عليها بمقطعين شعريين، ثم يذكر بعد سلسلة سند حديث القضاء الذي يتوجّه بالأساس لكشف معنى (الزُبَيَّة)، الأمر الذي نجد مثيله في كتاب أبي عكرمة إذ تعتمد الصيغة ما يستشهد به من شعر أو نثر لبيان معنى (السَّوَاد: الشخص) فبعد أن يورد النص معنى الكلمة مباشرة يورد شعراً لزهير بن أبي سلمى، ثم شعراً لحسان بن ثابت، ثم شعراً لراجز، ثم يتوجّه لحديث الصحابي سلمان الفارسي (وحولي هذه الأساود) المتضمن حديث الرسول (ﷺ): (لَتَكُنْ بَلْغَةً أَحَدَكُمْ مِثْلَ زَادِ الرَّاكِبِ) ثم يلحق بحديث آخر (إذا رأيت سواداً... الخ) يوسع من معنى الكلمة ويستشهد على وجه آخر من وجوهه، ثم يُختتم النص ببيت للأعشى، ليفارق هذا الأسلوب في صياغة نص المثل بتعدد طبقاته واختلاف أهدافه أسلوب صياغة نص المثل كما لاحظناه في كتاب (المفضل الضبي).

لكننا ما نعدم أن نجد نصوصاً تتضمن تجارب خاصة إنما تروى لأجل إضاءة عمل الصيغة وتحديد مجالها كما في نصوص أمثال أبي فيد الآتية:

المثل رقم (١١): أنا إذا كراعي المعزى.

المثل رقم (١٤): عطر منشم.

المثل رقم (١٩): اليوم ظلم<sup>(١)</sup>

وفي كتاب أمثال أبي عكرمة:

المثل رقم (٩٦): هو على يدي عدل<sup>(٢)</sup>

تُلاحظ على هذا القسم من النصوص سمتا الاختزال والعناية بالخبر الذي يتضمن حدثاً معيناً لا ينقطع تتابع وحداته بالتفسير وطلب المعنى بل يؤجل ما يعتمد فيه من الشعر أو التفسير حتى تمام الخبر كما في إلحاق بيتي الأعشى وزهير في ختام نص المثل رقم (١٤)، وتأخير التفسير حتى اكتمال الخبر كما في المثل رقم (١٩)، وهو يستجيب، في انتظامه وتتابعه وعدم انقطاعه، لمعيار القسم الأول من أقسام نصوص المفضل الضبي (القصة أحادية الحدث) معتمداً في الغالب متتالية تامة أو مجزأة تضيء تجربة (الصيغة) وترتفع بها. مثلاً قدّم القسم الأخير من أمثال المفضل الضبي إنموذجاً فنياً خضعت فيه

(١) ينظر: أبو فيد، كتاب الأمثال: ٤٥، ٤٩، ٥١.

(٢) ينظر: أبو عكرمة، كتاب الأمثال: ١١٠.

آلية احتضان الخبر وطريقة الربط بين مجموعة أخبار ضمن النص لتشكيل خاص يقيم مستوى من التتضيد يقترب فيه بمعاونة موضوع ذي سمة بطولية من أيام العرب ووقائع أبطالها، يُقدّم هذا القسم أنموذجاً آخر يتوجّه كتاب أبي فيد بتوسعه والربط من خلاله، ربطاً موضوعياً، بين أكثر من مثل لما يمكن أن نطلق عليه سلسلة أمثال الحيوان التي ستكون مع مضي عقود التأليف جانباً ثرياً من جوانب المثل العربي الذي تتجاوز فيه الموضوعة - أي قصص الحيوان - حضورها كـ (موتيفة بلاغية ينتهي دورها بانتهاء الموقف الذي مثّلت فيه)<sup>(١)</sup> إلى الإسهام بإنتاج نمط من النسائج السردية القائمة على انفتاح التجربة الإنسانية ومراقبتها لما حولها، حيث تكون نصوص هذه الأمثال صدىً مهماً لمرحلة مبكرة من مراحل الملاحظة البشرية. وإذا كان القسم الأخير من أمثال المفضل قد توجّه فنياً وموضوعياً جهة الأيام، فإن هذا القسم يُقيم مع (الفاصوليات: قصص الحيوان) في الأدب العربي بوصفها نوعاً<sup>(٢)</sup> اتصالاً بيتاً يتعدى الإطار الوعظي لمثل هذا النوع من القصص إلى مستوى التمثيل والمشاركة الذي تنقسم فيه الشخصية الإنسانية الأهمية مع الحيوان كما تقدم في دراسة المثل رقم (٨٨) من أمثال المفضل الضبّي (كيف أعادك وهذا أثر فأسك؟) أو مستوى من الاختصاص الذي يُحدد لحيوان معين صفة تصبح في الغالب مدار أخبار نصوص أمثاله مثلما تصبح إطار وجوده في الفكر والأدب، والنص بهذا يحقق سمة أخرى يُعامل بها الحيوان معاملة الشخصية الإنسانية، فكما كان لحق دغة، أو حمق بيهس، على سبل المثال، موقع في المثل العربي بخاصة والأدب بعامة، كان لحق الضبع أو النسناس ما يوحد أخبارهما مع بني البشر، وهو ما تقدمه نصوص الأمثال (١٢) (١٣) (٦٠) من أمثال أبي فيد في توجهها وجهة موضوعية يجمع النسان الأولان منها أخبار الضبع، ويُقدّم الثالث خبراً في حمق النسناس. ويمكن ملاحظة آلية الأخبار وانتظامها قبل تحليل نصي المثلين (١٢) (١٣) كما في النقاط الآتية:

١. امتداد موضوع المثل (حمق الضبع) بين النصين إلى أكثر من خبر، تعتمد في أحداثها تأكيد الموضوع والتمثيل له.
٢. وفرة الأخبار (ثمانية أخبار).

(١) د. أحمد كمال زكي، الفن القصصي في التراث العربي: ٤٠.

(٢) نفسه: ٤١.

٣. لا تتطوي الأخبار جميعها على صيغ أمثال.

٤. انفصال الأخبار عن بعضها.

٥. اعتماد التعليل والتفسير للوصل بين الأخبار.

تقدم النقاط عبر تأكيدها تلاحق أخبار المثلين صورةً من صور التتضيد التي يتسع النسق معها أفقياً من خلال تنالي أخباره من دون أن يضيف لموضوعه إشارة نوعية تحرف اتجاهها أو تغير أثرها كما في نصوص الأيام والوقائع، بل إنها تسعى مع كل خبر جديد لتأكيد موضوعها الأساس والامتداد داخل حدودها، إلى الدرجة التي دعت أحد الباحثين إلى الإشارة إلى أن أول ظهور لقصص الحيوان في الأمثال العربية كان في كتاب أبي فيد السدوسي ((حيث تشكل قصص الأمثال التي أوردها حول حمق الضبع وطباعه الأخرى مجموعة فريدة يكاد ينفرد بها دون غيره من رواة الأمثال وجامعيها))<sup>(١)</sup> وهي في وفرتها وتباينها تفتح أمامنا مجالاً للتفكير بثناء الرصيد الموضوعي للمثل الذي سيبدو بأكثر صوره كمالات في مرحلة لاحقة من مراحل التأليف، إذ سيخلق الجهد الموسوعي في الجمع والتبويب مناسبةً للمؤاخذة بين النصوص والنظر المنهجي إلى الأمثال بنصوصها وصيغها وسلاسل أحداثها بوصفها وعاءاً للتجربة الإنسانية وواحدة من أقدم صور معارفها.

تضيء النقطة الثالثة أمامنا ملاحظة أساسية وهي تجمع أخباراً لا تتطوي على صيغ أمثال، مفادها عناية نصوص الأمثال، ومؤلفيها من قبل، بتتويع الوحدات القصصية داخل النص الواحد مما يؤدي إلى انفصال الأخبار وعدم تلاحمها، فالخبر، هنا، وحدة صغرى مكتملة بنفسها تشدّها نسائج تعليمية إلى وحدات مجاورة لتكوّن جميعها نص مثّل في موضوع معيّن، إن ما يعنينا بالدرجة الأساس هو تغير المسافة السردية بين أخبار نصوص كتب الأمثال، ففي الوقت

(١) عفيف عبد الرحمن، الأمثال العربية القديمة (المجلة العربية للعلوم الإنسانية) الكويت ع ٣١٠

ربيع ١٩٨٣: ٤٢.

الذي تتحدد فيه هذه المسافة وتتقي أو تكاد بين أخبار نصوص المفضّل الضّبيّ،  
مقدمة أكثر الأبنية استجابة لفاعلية أنساق بنائها، نراها تمتد وتتسع في كتب أبي  
فيد وأبي عبيد وأبي عكرمة، فاعتماد جمل التفسير والتعليل والاستشهاد يُشكل  
لازمة من لوازم بناء نصوصها كما يتضح في النصين الآتيين:

## المثل رقم (١٢)

(خامري حضا جر) (صيغة المثل)

تعليل ١: وإنما قليل للضبع...

استشهاد ١: وقال الراجز..

تعليل ٢: وإنما قيل للرجل الواهن (خامري حضا جر) و..

تعليل ٣: خبر (١)

ومما قالت العرب:

خبر (٢)

وزعموا إنها:

خبر (٣)

ونذكروا أنها:

خبر (٤) وهي التي أبصرت الظبية

خبر (٥)

١ ووجدت الضبع ثمرة

(صيغة ٢)

(صيغة ٣)

(صيغة ٤)

(صيغة ٥)

خبر (٦): سميعاً دعوت

في بيته يؤتى الحكم

حرّ انتصر

حدّث حديثين امرأة

ويقال فيها:

سلسلة أخبار الصنع

إن الضبع تأكل العظام، ولا تدري ما قدر استها (صيغة ٦)

تعلييل ٤: وهي مع حمقها

استشهاد ٢: ألا ترى الحطيئة..

استشهاد ٣: دعا رجل على شاء رجل..

### المثل رقم (١٣)

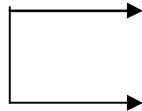
(عيثي جعار) (صيغة ١)

تعلييل ١: يقال ذلك للرجل المفسد

استشهاد ١: قال القحيف العقيلي..

خبر (١):

ختام السلسلة<sup>(١)</sup>



وسال سيل بالضبع فطرحها في البحر،

ففتحت عينيها وقالت: وذا ماء!

يُلاحظ الدارس على نصي المثلين، خلافاً لما تقدم في انتظام الأخبار في نصوص أمثال المفضل الضبي، توجهها لإحاطة أخبارهما بإطار من التعلييل والاستشهاد يكون محتواه الأداء القصصي لسلسلة أخبار الضبع بما يؤكد موضوعه الأساس (حمق الضبع) عبر تنصيد خبري لا يقدم ضمن مجال نصي مفتوح بعد عتبة استهلال بل ينبثق انبثاقاً عن تعلييل أو استشهاد، إذ إن الخبر في كتابي أبي فيد وأبي عكرمة على نحو خاص لا يحقق حضوره إلا عبر استجابته لغاية النص وهدفه بوصفه أثراً لغوياً يُضيء عدداً من صيغ الأمثال، التي لا تكون هدفاً بذاتها.

\*\*\*

---

<sup>(١)</sup> أبو فيد، كتاب الأمثال: ٤٧-٤٩.





## الفصل الثالث الشخصية

- الشخصية في نصوص الأمثال. (مدخل).
- شخصيات نصوص الأمثال العامة.
- شخصيات نصوص الأمثال الخاصة.
- الشخصية الرئيسة.
- الشخصية الثانوية.
- الشخصية الهامشية.
- نصوص أخبار الشخصية وصيغ أمثالها.



## الشخصية في نصوص الأمثال (مدخل)

تعدُّ الشخصية ركناً مهماً من أركان العمل السردى، وواحداً من عناصره الأساسية، تتجلى عبر أفعالها الأحداث وتتضح الأفكار وتتخلق من خلال شبكة علاقاتها حياة خاصة تكون مادة هذا العمل، فهي تمثل ((العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية))<sup>(١)</sup> التي لا يستطيع العمل التعبير عن مفهوماته عن مصير الإنسان وتحولات تجاربه إلا من خلالها، وهي تضطلع بأدوار مؤثرة مؤدية ((مختلف الأفعال التي تترايط وتتكامل في مجرى الحكى))<sup>(٢)</sup>، إن تشكّل نسيج السرد واتصال حلقاته معقود إلى درجة كبيرة بما يميّز شخصياته من نشاط وما ينمُّ عنها من أفعال وحوارات تتباين بتباين محمولاتها واختلاف مواقعها ومستوياتها، معبرة بذلك عن تباين عالم العمل السردى وتعدُّ مستوياته وعدم خضوعه لمقولات أو حقائق تعجز معها الشخصية إن تنمي حدثاً أو تدير صراعاً أو تنشئ حواراً وهي تقيم جدل علاقاتها مع سواها من الشخصيات، ومع عناصر العمل السردى الأخرى.

وبالنظر لأهمية الشخصية وخصوصية دورها فقد استقطبت الكثير من العناية النقدية على اختلاف مراحل واتجاهات العمل السردى، والروائي منه بخاصة، إلى الدرجة التي يمكن معها تعيين سمات كل مرحلة تبعاً لما تقيمه من صلة مع الشخصية وما تعبّر عنه من فهم لها وهي تشكّل علاقاتها مع الواقع، التي بقيت - هذه العلاقة - مركز الوعي النقدي في استيعاب فاعلية الشخصية وتحديد ما تتميز به من ملامح وسمات في استجابتها لـ (ازدواجية السياق) وهي ((تقدم عالماً متخيلاً في شيء من العلاقة المكتشفة مع عالمنا

(١) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي: ٢٠.

(٢) سعيد يقطين، قال الراوي: ٨٧.

التجريبي))<sup>(١)</sup> من دون أن تؤسس فهماً ثابتاً لعلاقتها مع الواقع أو تستجيب بصورة محددة منه، إذ أننا نكون بمواجهة نوعين من التصورات النقدية تشكلهما حساسية هذه العلاقة وفاعلية حركتها داخل النص الأدبي وخارجه، ويقتضيها نوعان من الوعي يتوجه الأول منهما لفحص النص الأدبي في ضوء ما هو خارجي، تاريخياً كان، أو نفسياً أو اجتماعياً، فيما يتوجه الثاني لفحص النص بوصفه كلاً متكاملًا يستمد حياته ويشكل حضوره مما تمنحه اللغة من فاعلية، إنهما التصور (ما قبل البنيوي) و(البنيوي)<sup>(٢)</sup>، يخلط الأول بين مفهومي (الشخص) و(الشخصية) ويحدد الثاني فهماً خاصاً لـ(الشخصية)، فقد سعى الأول طويلاً لتجسيد الإنسان كما هو موجود في الواقع، وبالطريقة التي يكون بها نتاج ظاهرة اجتماعية تسهم بتشكيلها مكونات متعددة وتتأسس على تصور ثقافي أو أيديولوجي فيما عمل الثاني على النظر إلى الشخصية بوصفها معطى من معطيات العمل الأدبي وواحدًا من أهم عناصره وأكثرها تميزاً ((مما جعل مفهومها تخيلياً لسانياً، فهو تخيلي لأن الشخصية تخلق بواسطة الخيال الإبداعي الروائي وهو لساني لأن اللغة هي تجسد الشخصية المبدعة))<sup>(٣)</sup>، وقد حافظ المجتمع على أهمية دوره في إنتاج (الشخص/ الشخصية) وهي تستمد مقومات وجودها وسماتها من واقع خارجي يُعدُّ العمل السردي معه تاريخاً لتحولاتها أو توثيقاً لصراعاها مع قوى مختلفة، فيما مثّلت اللغة المادة الأساس لتكوّن (الشخصية) وهي تدير صراعاً ضمن واقع نصي تتجلى فيه سماتها وتنظم مقوماتها التي تميزها عن سواها من الشخصيات.

وقد شكّلت الشخصية في نصوص الأمثال ركناً من أركان العلاقة بين هذه النصوص ومراجعتها الواقعية لما تنهض به من مهام بين حدي (الإخبار) و(التمثيل)، ففي الوقت الذي تعبّر فيه عن تاريخ تجربة زمنية تسعى لتمثيلها بما تقوم عليه النصوص من أنظمة وآليات، وهي مع تقديمها لتجربة الصيغة

(١) روبرت شولتز، البنيوية في الأدب، ترجمة حنا عبود: ٤١.

(٢) للتمييز ما بين التّصوّر ينظر:

أ. سعيد يقطين، قال الراوي: ٩٠.

ب. عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية: ٨٥.

ج. محمد سويرقي، النقد البنيوي والنص الروائي: ٧٠/٢.

(٣) د. إبراهيم جنداري، في مفهوم الشخصية الروائية، مجلة (الأقلام) ع ٢/٢٠٠١: ١١.

وايحائها بفضاء وقوعها لا تستغني عن دور الشخصية بوصفها العنصر الذي يتجسد ((في العمل السردى ضمن عطاءات اللغة التي يغذوها الخيال للنهوض بالحدث وللتكفل بدور الصراع داخل هذه اللعبة السردية العجيبة))<sup>(١)</sup>، وإذا كانت الشخصية في النصوص السردية عموماً وفي نصوص الأدب الواقعي بشكل خاص قد وُجِّهت لفحص هذه العلاقة من خلال معاينة تجسدها ضمن سياق اجتماعي مُعَيَّن ورصد مختلف تغيراتها خلال تغير مجرى الأحداث، فإنها تولد في نصوص الأمثال وتنمو وتتفاعل وترتفع بأهداف النصوص وتتجزز مهماتها في كشف تجربة صيغة المثل والتمثيل لها. وإذا كانت (الأمثال) قد عُدَّتْ صورَ معرفة تحمل، بين أهم ما تحمل، أطيايف التجربة الإنسانية وهي تنعكس أبنية وأنساقاً على مرآة العقل، فإن الشخصية تُعدُّ في مثل هذا التصور واحداً من أهم ملامح التجربة وأوضح أطيايفها، إنها العنصر الذي تتأط به مهمة الحركة بين مجالي (المرجع) و(النص) من دون أن يفقد خلال حركته وانتقاله صورته الأولى أو يغادر ملمحاً من ملامحه، فهو يحافظ على حراجة العلاقة التي تقام بين النص ومرجعه فتتكون له حينئذ صورتان: صورة تأريخية وأخرى أدبية<sup>(٢)</sup>، تعملان في إهاب واحد وتنتجان في امتزاجهما وتضافرهما مرتكزاً أساسياً من مرتكزات نصوص الأمثال، وهو ما دفع بعض الباحثين إلى عدم التسليم بتأريخية ما ترويه هذه النصوص من قصص وما يتخللها من وقائع وأحداث، وإن لم يتخلوا بشكل كامل عن النظر إلى ما تنم عنه من تاريخ فسميت لذلك بالقصص (شبه التأريخية)<sup>(٣)</sup> لتشير التسمية لما يمتزج فيها من حوادث التأريخ والخيال<sup>(٤)</sup>، مثلما هي الحال في معظم نصوص الأدب الشعبي الذي يتوجه في مختلف أشكاله لتأمين صلة حية مع واقع معلوم، وإن تعامل مع هذا الواقع في كثير من الأحيان تعاملًا حرًا ينفلت فيه من إرادة التاريخ أو حدود الجغرافيا ولا يحافظ على اشتراطاتهما إلا بمقدار.

(١) د.عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية: ٨٥.

(٢) ينظر: د.نبيلة إبراهيم أشكال التعبير في الأدب الشعبي: ٧.

(٣) ينظر: بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة د.إبراهيم الكيلاني: ٤٦٨/٣، ٤٧١.

(٤) ينظر: د.زكي ذاكر العاني، دراسة تحليلية في أقدم كتاب في الأمثال، مجلة (المورد) مج ٢٤

ع ١٩٩٦/٩.

إن حضور الشخصية التاريخية في نصوص الأمثال باسمها ولقبها وكنيتها، وبسماتها الجسدية وما عُرف عنها من نزوع واهتمامات يُعين على تأمين هذه الصلة والارتفاع برصيد كتب الأمثال على التقاط جانب من التجربة الإنسانية لإضاءة صيغها وبيان وقائعها للاقترب من (حقيقة) ما تروي وتوثيق تأريخيته بحضور الشخصية نفسها التي تُعدُّ بما تعزز به من معلومات وثيقة إنسانية تستحضرها النصوص للارتفاع بمصادقية روايتها، وإن خضعت الشخصية نفسها لأسطورية الحضور واستجابات في أداء تجاربه لهيمنة الخيالي وقوة تشكّله.

وإذا كان الاسم يُطلق على الشخصية على سبيل التعيين من دون أن يُسهم بإعطائها صفة لازمة، أو يؤكد شريتها أو خيريتها، لأن أية علامة يمكن أن تحل محله، كما أن أي ضمير من الضمائر يمكن أن ينهض بهذه المؤونة<sup>(١)</sup> فإن المهمة تأخذ بعداً آخر في نصوص الأمثال يؤدي خلاله اسم الشخصية دوراً أساسياً في بيان شخصيته، مثلما يعمل على تحديد المحور الإنساني لتجربة المثل وهو يُنمّي صلتها مع مرجعها الواقعي، إن الشخصية وتجربتها توثقان بما يُحدد للأولى من اسم وما يُكشف عنها من معلومات تسهم عبر كمّها ونوعيتها بتحقيق فاعليتها داخل النص مثلما تسهم عبر الطريقة التي تردُّ بها بإضاءة جانب أساسي من جوانب بنائه. بيد أن ذلك لا يمنع وجود نوع ثان من الشخصيات تكتفي النصوص في استحضاره، ومتابعة أفعاله بالجنس (رجل، امرأة) أو بالضمير، وقد يشترك هذا النوع من شخصيات النوع الأول فيؤدي عندئذ أدواراً ثانوية تدور في فلك الشخصيات الأساسية وتُكمل أفعالها، فينطوي النص عندئذ على تنوع في الشخصيات يُسهّل انفتاحه على مراجعه ويؤمّن له صلة مع واقع تجربته، مثلما تتعدّد داخله مستويات الشخصيات وتنبأين أهميتها. وقد يقوم هذا النوع من الشخصيات المغفلة بالمهمة كاملة فتبدو تجربة المثل عندئذ عامة لا ترتبط بشخصية معلومة ولا تنتمي ولو على سبيل التسمية إلى زمن مُعيّن، بما يعيد إلى الذهن الهدف الأساس للنصوص: التمثيل للوقائع المنتجة لصيغ الأمثال أكبر من تدوين وقائع تاريخية مجرّدة<sup>(٢)</sup>، فالشخصية في

(١) - ينظر: د. عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية: ٩٨.

(٢) - يشير زهايم إلى أن كتاب المفضل بفيض بالقصص التعليقية للأمثال، إذ يظهر فيه روح

الاتجاهين كليهما تُقدّم من خلال منطق الأحداث سواء استثمرت رصيذاً واقعياً يبلور أفعالها ويُسهّم بإنتاج نصوصها عبر منظومة أخبار يسحب كل خبر منها صيغة مثل أو أكثر بما يشير إلى أهمية حضور الشخصية وانفتاح تجاربها مثل (ضبة، امرئ القيس، النعمان بن المنذر، طرفة بن العبد..)، أو عُدتّ نتاجاً نصياً يُكتفى في سبيل تعيينه بالضمير، وينغلق على نص محدد لا يمتد إلى سواه، فهي تستمد حضورها من حضور الصيغة نفسها وتتعدّد صورها تعدّد الصيغ وامتداد شبكة الأحداث. تبدو من المهم هنا الإشارة إلى هيمنة البعد الخارجي على بناء الشخصية، فإذا كانت الشخصية في النص الأدبي لا تكتمل إلا بتضافر بعديها الداخلي والخارجي، أو الذاتي والموضوعي بما يمنحها صوتاً خاصاً تعلن من خلاله عن خفي رغباتها وكوامن أحاسيسها، فإن شخصية نصوص الأمثال تظل مهماً قدّم عنها من معلومات أحادية البعد لا تتكشف أهم سماتها إلا من خلال (الفعل) أو (الحوار)، وهي تتحرك داخل فضاء النص، أو وهي تعلن حضورها لسواها من الشخصيات ويمكننا تأسيساً على هذه الملاحظة الإشارة إلى نوعية تجربة صيغة المثل، وأثرها في حياة الشخصية، إذ تقوم واقعة الصيغة في معظم أحوالها على حادثة جزئية لا تحرف سلوك الشخصية ولا تغير من مجرى حياتها بعد انتهاء نص المثل، بل تعود لسابق سيرتها مع إضافة تجربة معلنّة إلى رصيد تجربتها، مع وجود نصوص معدودة تتعلق في معظمها بحوادث جلية أهمها موت شخصية أو عجزها، ومن أجل اكتمال تجربة المثل ودوران دائرته فإن الشخصية التي تموت أو يصيبها العجز هي شخصية (ثانوية) نلمس آثار ميّتها أو عجزها على سلوك الشخصية (الرئيسية) التي تحدث تفاصيل واقعة المثل على مرأى ومسمع منها كما في شخصيتي (ضبة بن أد بن طابخة، والأخ) في نصي مثلي المفضل الضبي رقم (١) ورقم (٨٨) إذ يموت كل من سعيّد، بن ضبة في المثل رقم (١)، وأحد الأخوين في المثل رقم (٨٨) ليفسحا بموتها المجال لتطور الحدث وتشعبه بما تقوم به الشخصية الرئيسية من أفعال.

ويمكننا مواصلة النظر في نوعية الشخصية ومستوى حضورها للوقوف على جانب من جوانب نصوص أمثال المفضل الضبي وتبيين حيويتها وفعاليتها

---

الأديب الذي يهتم بالقصص المسلية.

ينظر: رودولف زلهام، الأمثال العربية القديمة: ٥٢

تعاملها مع عناصرها السردية التي تنظم وتتواشج في سبيل تعيين أدبيّة كتب الأمثال، فإن النصوص التي تنطوي على شخصيات متعينة ومسماة تنقسم بدورها قسمين تستحضر الشخصية في القسم الأول من خلال نص واحد فهي وليدة تجربة مفردة، فيما تمتد شخصيات القسم الثاني على مدى أوسع من التجارب والخبرات فهي تنتقل عبر عدد من النصوص بما يمنحها من خلال سعة مساحتها السردية وامتداد علاقاتها مع الشخصيات فرصة لكشف سماتها على نحو واضح وتأمين صلة أقوى من الصيغ بما يمكن تسميتها بـ (صيغ أمثال الشخصية) قبل أن تكون عامة لما تشمل عليه من صفات أو ما تنتج منه من مواقف ترتبط على نحو مباشر بشخصياتها كما في صيغ أمثال (لقمان) على سبيل المثال.

يكشف المدخل السابق أن نصوص الأمثال أسوةً بنصوص الأدب السردية لا تنطوي في جانبها القصصي على صورة واحدة للشخصية تنتقل بين مختلف وقائع صيغتها وتتجسد على الرغم من تباين تجاربها، بل إنها تقدم في سمة سردية مهمة في سماتها صوراً متعددة تقتضيها نوعية التجربة وخصوصية أدائها، يمكن إجمال تلك الصور بالنقاط الثلاث الآتية:

### ١- شخصيات نصوص الأمثال العامة:

إنها الشخصيات التي تُعدّ تمثيلاً إنسانياً، أو إجراءً تعتمد النصوص في تقديم وقائعها من دون أن تميّزه أسماء أو ألقاب أو صفات سوى اشتراكه في تجسيد واقعة صيغة المثل. إنها شخصيات مبتكرة، وليدة نصوص لا تنطوي على خبرة شخصية بذاتها فهي تستجيب في حركتها لمنطق الحدث ونمط التجربة.

### ٢- شخصيات نصوص الأمثال الخاصة:

إنها الشخصيات التي ترد داخل نص المثل بالاعتماد على صورها التأريخية، فالنصوص تقوم على صيغها ووقائعها على تجربة معينة وخبرة تميّز الشخصية وتعرف بها، لذا فهي تقدّم بإسمها وما عُرف من صفاتها، وفي أحيان أخرى يمتد النص إلى ما يقوّي حضورها ويوثّق تاريخيتها شعراً أو نثراً. وهي تختلف عن شخصيات النقطة اللاحقة في كونها تستحضر خلال نص واحد لا يمتد إلى سواه.



### ٣-نصوص أخبار الشخصية وصيغ أمثالها:

وهي نصوص تقوم بالأساس على شخصية مُعيّنة تتوفر على حصيلة من الخبرة وتتوّج التجربة مما يهيئ لها إنتاج مجموعة من الصيغ تُعرف على نحو مباشر بها: أمثال لقمان، أمثال الزبّاء، أمثال امرئ القيس..

يُمكن عبر تأمل الصور الثلاث للشخصية ملاحظة قدرة نصوص الأمثال على تنويع علاقتها بمرجعها وتأمين حيّز سردي مناسب لإنتاج نوع من الشخصيات يحتكم إلى فضاء الصيغة ومجال تجربتها بما يحقق لها نوعاً من (التعريف) عبر الصيغة نفسها، فالشخصية التي تملك إسمًا ولا تتميز بسمات خاصة تفيد، ضمن الفضاء العام للنصوص، مما تنطوي عليه الصيغة من خصائص إنسانية: نفسية أو جسدية تمنح الشخصية حضوراً يختلف عن حضورها في النوعين الآخرين، فالشخصية هنا تمثل على نحو شبه كلي إجراءً نصياً تمثل فيه واقعة صيغة المثل تمثيلاً خيالياً، لا يُعنى النص معه بكشف اسم الشخصية أو إضاءة ما تتمتع به من سمات. إن الشخصية تضيء عبر تنوعها وتباين حضورها جانباً من أدبية هذه النصوص وهي تسعى للارتفاع بتجارب صيغ أمثالها إلى مستوى معلوم من الوقائع، تتشكل عبر الصورة الأولى بوصفها وقائع نصية تستعين بالتمثيل لتأصيل ما هو واقعي، وتتعامل في الصورتين الأخيرتين مع الواقع تعاملًا مختلفاً يتغير معه نوع (المعلومات) المقدّمة وكميّتها تبعاً لامتداد المساحة التي تشغلها الشخصية وتعدّد صيغ أمثالها، فمهما بُعد الزمان بصيغة المثل وانفصلت عن وقائع تجاربها تظل محافظة على السمة الواقعية لإنتاجها سواء بما يُقبض لها من صلة مشابهة مع تجربة راهنة أو بما تكتنزه من خبرة ماضية تمثل شرطاً من شروط تداولها.

### ١-شخصيات نصوص الأمثال العامة:

يستمد هذا النوع من شخصيات نصوص الأمثال أهميته من توجهه لإنتاج نماذج إنسانية مفترضة تقوم بمهمة تمثيل وقائع صيغ الأمثال وتشخيص أحداثها من دون أن تعتمد في سرد وقائعها على مرجع معلوم تكشفه داخل النص إشارات مُعيّنة ومعلومات سواء ما تعلّق منها بالشخصية نفسها (الاسم والسمة وما عُرف عنها من نزوع واهتمامات) أو ما ارتبط بواقعة مُعيّنة (أيام العرب وتواريخ أحداثها).

إن افتراضية هذا النوع من الشخصيات تدعو الباحث لتأمل صلة نصوص الأمثال بواقع التجربة وفضاء إنتاجها، فإذا كانت نصوص الأمثال لا تقوم بغير تأمين مثل هذه الصلة التي لا تتميز من دونها خبرة ولا تتشكل تجربة، فإن نصوص هذا النوع لا تحدد أيّاً من العلامات التي تنتمي إلى مرجع معلوم فتظل نتيجةً لذلك وقائع نصيّة شبه منقطعة عن وقائع تجاربها ذلك لأن الصيغ نفسها نتاج تجارب معلومة تتوجه النصوص لتمثيلها بافتراض تجارب جديدة بعد أن سقطت وقائعها، وثائق أحداثها، فتقوم عندئذ بمعالجتها معالجة نصية مكتفية بمحمولات أخبارها فهي تنشئ من العلاقات السردية بين عناصرها ما يوحي عبر اكتمال تجاربها (النصية) بـ (تأريخية) أحداثها وهي بذلك تؤسس لأدبيّتها عبر إنتاج واقع بديل قوامه حضور النص بمختلف عناصره واكتفاؤه، ويمكن تحديد سمات هذا النوع ومميزاته بين النص والصيغة والعنصر مدار بحثنا (الشخصية) بالنقاط الثلاث الآتية:

#### ١- قصر نصوص الأمثال.

#### ٢- اعتماد صيغة مثل واحدة في الغالب لكل نص منها.

#### ٣- اعتماد الشخصيات غير المعروفة.

يلاحظ تلازم النقاط السابقة وترابطها فإن الصيغة المفردة تقترح في معظم الأحيان مساحة سردية محددة يتجنب النص خلالها تنويع حوادثه فهو يُعتمد بوصفه (جملة تعريف) تكشف محمول الصيغة وتضيء تجربتها أكثر من اعتماده "جملة خبرية تخبرنا عن حادث وقع في وقت مضى.."<sup>(١)</sup> مما يتطلب حضور شخصيات غير معروفة تستدعيها واقعة الصيغة وتستوجب وجودها فهي تستمد تعريفها من صيغة المثل نفسها وتكتسي بما يدل عليه الصيغة من سمات (البخل، الحمق، الحكمة..)، من هنا يمكن النظر إلى أساليب (تعريف) الشخصية داخل نصوص هذا النوع بما يقوم بينها وبين عناصر النص الأخرى من علاقات قد تنحسر أو تغيب سوى علاقة أساس هي علاقة الشخصية بصيغة مثلها إذ تُعدّ الصيغة تشبيهاً بالشخصية (كالطاحنة)، أو تعليقاً على سلوكها (تنهانا أمانة عن الغي..)، (يداك أوكنا وفوك نفخ)، أو قولاً منقولاً من أقوالها

<sup>(١)</sup> - ينظر، د. عفيف عبد الرحمن، الأمثال العربية القديمة، (المجلة العربية للعلوم الإنسانية) الكويت ع ١٠ م ٣/ ١٩٨٣: ٣٤ و: جورج صديق، سيكولوجية الأمثال العربية، مجلة (المعرفة) السورية ع ٢٠٤: ١٧.

(صكاً ودرهماك لك)... (صغراهن مراهن)، (عرفنتي نسأها الله).

ويسعى النص في ذلك كله للتأثير لواقعة السردية من أجل أن يمنحها موقعاً مناسباً لا ضمن نصوص الأمثال وانتظام وقائعها فحسب، بل ضمن عادات العرب وتقاليدها، إن النص يهيئ بجملة أخرى موقعاً عرفياً لشخصيته يُضاء معه جانب محدد من جوانب حياة إنسان المثل كما في النص الآتي:

"كان الناسُ يتبايعون على طلوع الشمس وغروب القمر من صبح ثلاث عشرة ليلة تخلو من الشهر:

أتطلع بعد غروب القمر أم قبله، فتبايع رجالان على ذلك، فقال أحدهما: تطلع قبل غروب القمر، وقال الآخر: يغيب القمر قبل طلوع الشمس، فكان قوم الذين تبايعوا مع الذي قال إن القمر يغرب قبل طلوع الشمس فقال الآخر: يا قوم إنكم تبغون عليّ، فقال له قائل: إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر، فذهبت مثلاً." (١)

إن الشخصية ترتبط عندئذ ارتباطاً مباشراً بصيغة مثلها، وتعرف بها، فنقول على سبيل تحديد الشخصية: الطاحنة، أو البغي، أو صاحب الفرس، أو صاحب السقاء، إذ لا تكون لها سمة مميزة غير اتصالها على نحو مباشر بالصيغة وانبثاقها عن تجربتها على النحو الآتي (٢):

رقم المثل	الشخصية	الصيغة
٨٥	الطاحنة	كالطاحنة
٤١	البغي	صكاً ودرهماك لك، لا أفلح من أعجلك.
٧٦	البغي	تتهانا أمانة من صغراهن مراهن الغي وتغدو فيه.
٣٣	صاحب السقاء	يداك أوكنا وفوك نفخ.

ونظراً لغياب السمات الخاصة للشخصيات الرئيسة في هذا النوع من النصوص فإن الشخصيات الثانوية لا تمثل غير حافز يقوم بمهمة توجيه أو تكليف الشخصية الرئيسة للقيام بعملها، وهي لا تتطوي بالضرورة على سمات تعريفية ولا تشغل مساحة سردية مميزة. وفي أسلوب آخر يُلاحظ تعريف الشخصية بالاعتماد على شخصية ثانوية تكون معلومة ومسماة غير أنها لا

(١) -المفضّل الضبّي: أمثال العرب: ١٢٤.

(٢) -الأمثال في كتاب المفضّل الضبّي: ١٧٣، ١٢٤، ١٦٨، ١١٧.

تؤدي دوراً مركزياً في واقعة صيغة المثل، كما في نص المثل رقم (١١) إذ تدور تجربة الصيغة في بيت رجل هو جار "معاوية بن سنان بن جحوان بن عوف بن كعب بن عيشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم" <sup>(١)</sup>، إن الدور الثانوي للشخصية لم يمنع النص من إيراد سلسلة نسبها الطويلة بينما بقيت الشخصيات الثلاث (الرجل وصديقه وزوجها) مبهمّة، تُعرّف بما يكون بينها وبين الشخصية الثانويّة المُعرّفة من صلة.

وفي أسلوب ثالث يقوم تعريف الشخصية على بيان انتسابها وذكر قبيلتها على نحو عام أو مفصل بينما تظل هي نفسها غير معلومة كما في نصي المثلين (٤٦)، (٦٥): "زعموا أن رجلاً من جهينة رمى رجلاً من القارة وهم بنو الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر -فقتله، فرمى رجل من القارة رجلاً من جهينة، وكان القارة فيما يذكرون أرمى حيّ في العرب، فقال قائلهم: قد أنصف القارة من رامها فأرسلها مثلاً" <sup>(٢)</sup>، "زعموا أنه كان لرجل من طسم كلب فكان يسقيه اللبن ويطعمه اللحم ويسمنه ويرجو أن يصيد به أو يحرس غنمه، فأتاه ذات يوم وهو جائع فوثب عليه الكلب فأكله ففيل: سمّن كلبك يأكلك" <sup>(٣)</sup>.

إن النص يسعى في سبيل بيان صيغته والتمثيل لها إلى الإفادة مما عُرف بعض قبائل العرب، كما في نصّ المثل (٤٦) (القارة أرمى حيّ في العرب)، وهو يخلق بذلك فضاءً مناسباً لعمل صيغته من دون أن يمنح شخصياته ميزة تذكر، فالشخصيّة تستمد حضورها من رصيد قبيلتها وما عُرف عنها، وقد ترتفع بعض قصص هذا الأسلوب إلى الأقوام البائدة وتتصل كما في نص المثل رقم (٦٥) الذي يُقدم شخصية من قبيلة (طسم) <sup>(٤)</sup>، مما يضيء انشغال النص بواقعه الأدبيّة في تمثيله لصيغته تمثيلاً لا يُتوخى فيه تاريخ التجربة ودقة وقوعها بقدر توجهه لبيان واقعها النصية التي تفتح أفق الصيغة وتوسع مجال حياتها.

---

(١)- نفسه: ٥٩.

(٢)- نفسه: ١٢٧.

(٣)- نفسه: ١٦٠.

(٤)- ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون: ١٨٧.

يمكننا بناءً على ملاحظة النوع الأول باختلاف صورته تأكيد أهمية حضور الشخصية في نصوص الأمثال، فإذا كانت الشخصية في بعض الأنواع السردية، كما ذهب توماشفسكي، ليست ضرورية لصياغة المتن الحكائي "فهذا المتن باعتباره نظام حوافز، يمكن أن يستغني كلياً عن البطل، وعن خصائصه المميزة"<sup>(١)</sup>، فإن قصة المثل وعلى الرغم من أهمية أحداثها إنما تقوم بوصفها نشاطاً لشخصية تكون صيغة المثل عصاره خبرتها التي تدور، لعمقها ولدقة صياغتها، بين الناس، فقد تغيب سمات الشخصية ومميزاتها الخاصة من دون أن يؤثر ذلك على موقعها في التشكيل السردى لوقائع الصيغ وتجارب أناسها، مما يدعو إلى تأمل (فاعلية الإسناد) بين تجربة الشخصية وصيغة مثلها في موقعها خارج النص وداخله، إن ملاحظة هذه الفاعلية تضيء بالدرجة الأساس دور الشخصية بوصفها عماد التجربة ومركز وجودها، فإذا مثلت التجربة خارج النص دور المسند إليه والصيغة، ناتج التجربة، دور المسند، فإنها مع استعادتها داخل النص تؤدي دور المسند وتقوم الصيغة بدور المسند إليه كما في الجدول الآتي:

الإسناد	خارج النص	داخل النص
مسند إليه	تجربة الشخصية	صيغة المثل
مسند	صيغة المثل	تجربة الشخصية

إن ما يحدث من تغير في موقعي الإسناد بين التجربة والصيغة بين دور الشخصية وهي تؤدي أفعالها في الحياة، خارج النص، أو عبر إعادة إنتاج تلك الأفعال باستعادتها داخله، سواء على وجه الحقيقة أو الخيال، إذ أن نص المثل الذي يتشكل على هدي الصيغة وفي سبيل التمثيل لها لا يتجاوز ارتباط صيغته بالتجربة، أو انبثاقها، بجملة أخرى، عن شخصية بعينها. إن أسبقية القصة على المثل، حسب تصور رودلف زلهاييم في دراسته للأمثال العربية القديمة تتطلب موقفاً خارجياً وهي "تحتوي على المغزى من القصة، أو تشرح موقفاً معيناً، لا يفهم إلا من سياق القصة"<sup>(٢)</sup>، هذا الموقف الذي سيؤدي دوراً أساسياً في

<sup>(١)</sup> -توماشفسكي، نظرية الأغراض، عن: مختلفون، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلايين

الروس: ٢٠٧.

<sup>(٢)</sup> - رودولف زلهاييم، الأمثال العربية القديمة: ٧٠.

استعادة القصة، أو التمثيل لها، بما يتناسب مع صيغة المثل التي تُعدُّ، عندئذ، مركزاً في عملية إنتاج نصوص المثل.

## ٢- شخصيات نصوص الأمثال الخاصة:

تتفتح نصوص هذا القسم في إفادتها من مراجع شخصياتها إلى الدرجة التي تتعدّد معها صورها وتباين مهماتها محققة لكل منها (رتبة) داخل النص تقوم على ما تتمتع به الشخصية من مستوى وما يُكشف عنها من معلومات، متدرجة كما يأتي:

### أ- الشخصية الرئيسة:

وهي الشخصية التي يستند النص إلى تجربتها في تقديم وقائع صيغه وتمثّل في قوة حضورها مركز الحدث وأساس حركته، وهي تستمد سماتها من واقع معلوم تتفصل فيه عن شخصيات النوع السابق في كونها تُقدّم داخل النص باسمها وكنيتها ولقبها، وقد يمتد النص ليشمل بإضاءته صفاتها الجسدية والمعنوية.

### ب- الشخصية الثانوية:

وهي الشخصية لا يميّزها حضور خاص ولا يعتني النص بصفاتها وملامحها الجسدية والمعنوية بل تدور الشخصية الرئيسة وتتصل بها اتصالاً مباشراً يُنمّي الحدث عبر تلاحم أفعالهما ويوسع المساحة الإنسانية للنص، ولا تكون التجربة إلا بما يقع بين هاتين الشخصيتين من تعارض أو اتفاق.

### ج- الشخصية الهامشية:

وهي الشخصية التي تقع في آخر المشهد فتتساوى في حضورها مع عناصر تكميلية أخرى يعتمد عليها النص في تجسيد وقائعه من دون أن تكون لها ميزة أو سمة أو اتصال مباشر بالشخصية الرئيسة لنص المثل.

وبناءً على ما تقدّمه النصوص فإن الشخصيات المذكورة لا تنتظم انتظاماً هندسياً ولا تعتمد صورةً تتكرر على مدار نصوص الكتاب، بل إن نوعاً من الفاعلية يلمس في حضورها تؤمّنه حيوية حركتها وتباين أهميتها بين النصوص

وهي تسعى لتشكيل صور التجارب والخبرات التي تمثل صيغ الأمثال رصيدها وعنوان دوامها، فقد يُكتفى بشخصية رئيسة واحدة كما في نص المثل رقم (١٣) الذي يتجلى بوصفه النقاطاً لجانب من تجارب (السليك بن السلكة التميمي)، بينما يفتح آخر على أكثر من شخصية رئيسة تكاد تتساوى في مقدار المعلومات المعطاة عن كل منها، كما في شخصيات نصي المثلين (٥)، (٨) إذ تمثل شخصيات (عمرو بن عمرو، ودختوس بنت لقيط، وعمير بن معبد) صوراً لتعدد الشخصيات الرئيسية في نص المثل الأول، مثلما تمثل شخصيتا (نقن والريب) صورتين للشخصية الرئيسية في الثاني، فالنص يُقدّم بوصفه ناتج خبرة تسهم ببلورتها أكثر من شخصية، تتم عنها (الصيغة) وتكشف محتوى تجاربها.

تنوزع شخصيات نص المثل رقم (٥) بين رئيسية وهامشية متجاوزة حضور الشخصيات الثانوية، إذ أن النص يشمل شخصياته الثلاث بأنماط متساوية من التعريف تقدمها معلومات (الاسم والكنية واللقب، والصفة الجسدية منها والمعنوية) التي تكشف رتبها وتحدد موقعها كما في الجدول الآتي:

الشخصية	رئيسية	ثانوية	هامشية
عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم دختوس بنت لقيط بن زرار بن زيد بن عبد الله بن دارم عمير بن معبد بن زرار الخادمة	---	---	---

تتجسد الشخصيات الرئيسية الثلاث عبر تقديم خصائصها التعريفية على النحو التالي:

١- عمرو بن عمرو: الاسم: عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم

الكنية: أبو شريح

الصفة:

أ-جسدية: كبير سنّه

ب- معنویّة: أكثر قومه مالاً وأعظمهم شرفاً:

٢- عمير بن معبد: الاسم: عمير بن معبد بن زرارة

### الصفة:

### أ-جسدية: شاب.

ب- معنویّة: قليل المال.

٣- دختوس: الاسم: دختوس بنت لقيط بن زرارة بن زيد بن عبد الله بن دارم.

الصفة: — —

أ-جسدية: --

ب- معنویّة: ابنة عم عمرو بن عمرو.

ابنة عم عمير بن معبد

ويُلاحظ اعتماد النص صيغتي مثل (الصيف ضيَّعت اللبن، هذا ومثقة خير) ترددان على لساني شخصيتين من بين شخصياته الرئيسية (عمرو بن عمرو، ودختوس) في تأكيد مركزية حضورهما، مثلما يُلاحظ اختصاص شخصية (عمرو بن عمرو) بوجه من وجوه التكريم تقدّمه (الكنية) فتريد من أهمية موقعه داخل النص. إن الكنية ترتفع برصيد الشخصية وتحقق لها حضوراً مضاعفاً تملك معه أكثر من نمط من أنماط التعريف، فالكنى "ليست ببساطة مجرد أسماء أساسها الابن الأكبر للشخص بل هي أشكال من المخاطبة للتشريف أو الشهرة"<sup>(١)</sup>، ومن المهم الإشارة إلى أن حضور الكنية في نصوص الأمثال لا يمتد محيطاً بالشخصيات الثلاث (الرئيسية والثانوية والهامشية) بل يرتفع بخصوصية ارتباطه ببعض الشخصيات الرئيسة التي تكون بدرجة ما مركز التجربة فيُضفي عليها ملمحاً من الإجلال يستثمر من خلاله النص السردي تقاليد التسمية وأعرافها في الحياة العربية، من دون أن يقلل ذلك من أهمية الشخصية الرئيسة الثالثة التي مثلت فضلاً عن حضورها الخاص نقيضاً للشخصية الأولى في صفاتها الجسدية والمعنوية:

## شباب

شيخ

(۱) - فدوی مالطی - دو جلاس، بناء النص التراثی: ۱۹۶.



## كثير المال      قليل المال

مثلاً عبّرت عن تغيّر المرأة وتقلّب أهوائها مما أفقدها الحاجة في عزّ تطلّبها، بيد أنها تدافع، ربما في النقائه من النص لكشف قوّة رغباتها الجديدة، عن اختيارها. بينما نلاحظ تفاوت حضور شخصيات نص المثل رقم (٨) بين رئيسية وثانوية وهامشية على النحو الآتي<sup>(١)</sup>

شخصية	رئيسية	ثانوية	هامشية
تقن بنت شريق	--		
الريب بن شريق	--		
الضرة		--	
الحميت		--	
أبوه		--	
سفيان بن شريق		--	
الحي			--

تتجسد قدرة النص في التعامل مع شخصياته، كما تقدّم، من خلال تباين ما يُعطى من (معلومات) حول كل منها تدفعها لشغل مواقع متفاوتة، وتهيئها وإن على نحو غير مباشر لتأدية أدوارها. ومن المهم الإشارة إلى أن بعضاً من الخصائص المعنوية للشخصية لا تقدّم منفصلة عن أفعالها، بل إن الأفعال في الغالب تسهم بكشف خصيصة معنوية تحدد محتوى الشخصية وتضيء دوافعها، وهي صورة من صور تلاحم الوصفي بالسردى وعدم انفصال مهماتها في نصوص الأمثال، كما سنلاحظ ذلك في الفصل اللاحق، فالنص يهتم بما توفّر له من مساحة سردية ببيان سمات شخصياته، الرئيسة منها على نحو خاص، مثلاً يتوجّه لبيان أفعالها. وإذا كانت نصوص السرد العربي المعروفة على اختلاف أنواعها: ألف ليلة وليلة، المقامات، السير الشعبية، كليلّة ودمنة، البخلاء، قد عملت على تقديم صور تعبيرية عن شخصياتها هيّئت لها في معظم الأحيان مقاطع وصفية منفصلة<sup>(٢)</sup>، فإن نصوص الأمثال وبما عين لها من

(١) -المفضّل الضبي، أمثال العرب: ٥٦.

(٢) -ينظر أ. د. عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة: ٦٣

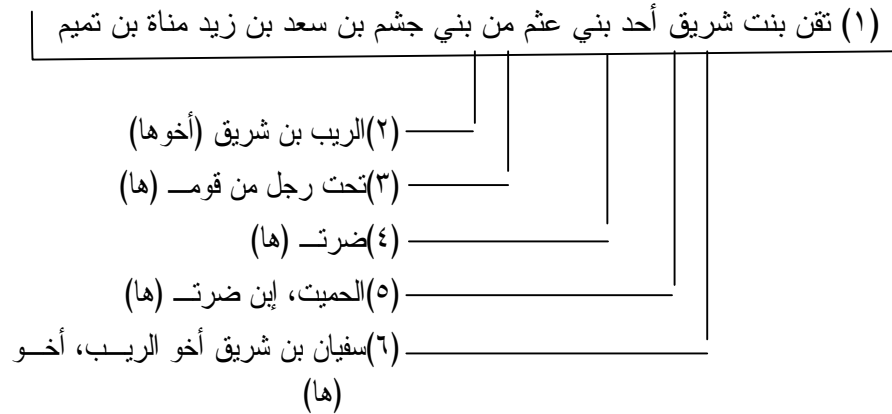
ب - سعيد يقطين، قال الراوي: ٩٢

ج-حاتم الصكر، البئر والعسل: ٢٩

د. أحمد بن محمد أمبيريك، صورة بخيل الجاحظ الفنية: ص ٥٣ - ٧٢

أهداف تقف معها في المنطقة الحرجة بين الواقع والأدب، وبين التجربة وإعادة إنتاجها بمصطلح البحث، تقتضي تعاملًا خاصاً مع الشخصية لتظل معه أكثر عناصر البنية السردية اتصالاً مع واقع تجربتها مرجع إنتاجها، فهي تعمل تحت تأثير حساسيتها هذه على تمثيل خصائص شخصياتها تمثيلاً سردياً تدمج (صفة) الشخصية خلاله مع (أفعالها) وهي تُعدُّ في معظم الأحيان سبباً للفعل لما لصيغ الأمثال من دلالة على الطباع الإنسانية وهي تقيم في اختلافها وتنوعها أرضاً خصبةً للتجارب والغير.

من هنا يكون توزيع الشخصيات إلى مستويات أمراً قائماً يجسده وضع الشخصية وفاعلية مشاركتها في واقعة النص، إذ يُلاحظ تدرج التسمية بوصفها أولى المعلومات التي تحدد بها النصوص شخصياتها، تبعاً لتدرج أهمية الشخصيات وارتباط الرئيسة والثانوية جميعها بشخصية مركزية تمثل وحدها المستوى الأول من مستويات حضور الشخصية، مع العلم بأن الشخصيات الرئيسة لا تنتمي جميعها إلى المستوى الأول على الرغم من تقارب المعلومات المعطاة عن كل منها، إذ أن تحديد المستوى يعتمد بالأساس مركزية حضور الشخصية وفاعلية دورها، كما يمكن ملاحظة ذلك على حضور شخصية (تقن بنت شريق) في نص المثل رقم (٨) التي يُستمد من مركزية حضورها حضور باقي الشخصيات التي تتدرج في ارتباطها بها على النحو الآتي:



هـ. د. ودیعة طه النجم، الجاحظ والحاضرة العباسية: ص ص ١٧٤ - ١٩٩

وهي سمة يُمكن ملاحظتها في معظم نصوص الأمثال التي تتوجّه لتقديم واقعة محددة من حياة شخصية تنبثق عن تجربتها صيغة المثل، مثلما يُلاحظ عليها ضعف حضور الشخصيات بين مستوى وآخر لتغدو مع شخصيات المستوى الأخير مجرد تسمية عامة لا يميزها جنس أو ضمير فتندفع إلى آخر المشهد مكتفيةً بدور (هامشي) يكمل النص ويوسّع من فضاءه فلا طاقة لها للإسهام بتحول الحدث أو كشف عناصره لمحدودية المعلومات المعطاة عنها، كما يُلاحظ مع (الحي) في نص مثلنا:

(ثم لحق الحي وهم سائرون، فقال: مَنْ أَحْسَّ من بكرٍ أوركَ ضل من إبلي؟ فيقولون: ما رأيناه)

يُلاحظ مع المثل رقم (١٣) أسلوبٌ آخر في تقديم الشخصية وإضاءة سماتها يمثل منطقةً وسطى بين النصوص السابقة التي تكشف جواب محددة من الشخصية لا تتجلى فيها، رئيسة أو ثانوية، إلا بما يتناسب مع حضور التجربة ويدخل ضمن حدودها الزمانية والمكانية، وبين شخصيات النوع اللاحق التي تعتمد وقائع عامة تتجاوز حضور التجربة وتوسّع من حدودها الزمانية والمكانية بما يؤثر على بناء النصوص أنفسها كما أشار الدكتور إحسان عباس "فإن الأمثال حول الأحداث يضبطها سياق متسلسل، بينما تجيء الأمثال حول "الأبطال" في صورة "عناقيد مفرقة" ليس فيها وحدة الحكاية"<sup>(١)</sup>، إن تفرقة عناقيد النصوص إلى (حبّات) في تحوّلها من العناية بالحدث إلى العناية بـ (الأبطال) أسلوب يتطلّب مساحة سردية أوسع لتجلية الشخصية وكشف خصائصها بمختلف "الترسيات الحكائية والأسطورية التي تراكمت بفعل العملية الخيالية الإبداعية"<sup>(٢)</sup> كما سنلاحظ ذلك في المبحث اللاحق.

إن ما يهمننا هو ملاحظة دور (العناصر) في التأثير على طرائق صوغ النصوص ونظم بنائها بما يهيئ لها إمكانية متباينة لمد جسور مع واقع خارجي تتحكم عبرها بنوع الصلة المقامة معه ومستوى المسافة الفاصلة بينها وبين مراجعها الواقعية. إن نصوص مبحثنا تعتمد من وضوح الشخصيات ما يُعدّ مركزاً من مراكز منتالياتها وهي تسعى في سبيل تحقيق مركزيتها لتقديم أكثر ما يمكن من المعلومات كما في نص مثل رقم (١٣) وهو يوسّع من مساحة

(١) -المفضّل الضبي، أمثال العرب، مقدمة الدكتور إحسان عباس: ٤١.

(٢) -سعيد يقطين: قال الراوي: ٨٧.

شخصية (السليك بن السلكة التميمي) على النحو الآتي:

١- الاسم: السليك بن السلكة التميمي أحد بني مقاس: الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة.

٢- الصفة:

أ. جسدية: من أشد فرسان العرب

أجودهم عدواً

كانت أمه سوداء

ب. معنوية: أنكر فرسان العرب وأشعرهم

أدلُّ الناس بالأرض

٣- اللقب: يدعونه سليك المقانب، والمقنب ما بين الثلاثين إلى الخمسين.

٤- من أقواله: زعموا أنه كان يقول: اللهم إنك تهیی ما شئت لما شئت، اللهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً، ولو كنت امرأة كنت أمة، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة، فأما الهيبة فلا هيبة<sup>(١)</sup>.

إن الغزارة النسبية في المعلومات توفر للشخصية وضوحاً يُمكنها من الانتقال بين حبات النصوص في تراكيبها (عناقيد متفرقة)، فالسليك يظل شخصية رئيسة في متتاليته نص المثل تنمو من خلال أفعالها الأحداث وتنشعب:

الشخصية	رئيسة	ثانوية	هامشية
السليك	--		
رجل (١)	--		
رجل (٢)	--		
الرعاء	--		
السليك	--		
عمرو	--		
عاصم	--		

متتالية (١)

متتالية (٢)

(١)-المفضل الضبي، أمثال العرب: ٦٤ - ٦١.

			يزيد بن رويم
			الابن
			الزوجة

إن اعتماد رصيد الشخصية من المعلومات فاتحة للنص يؤمن حضوراً نوعياً لها، تظل محافظة معه مهما اتسع نشاطها وتعددت تجاربها على صورتها الأولى، أو سماتها المقدّمة عبر نمط التعريف المذكور، إن المعلومات المعطاة تعين، وهي تؤسس نوعاً من (الرصيد) الإنساني، على فهم أفعال الشخصية وتسوّغ انتقالاتها، إن وظيفة ما يُمنح من معلومات بجملة أخرى وظيفة مركبة، تقدم ما ينبغي من الوضوح للشخصية داخل النص وتشير، في الوقت نفسه، إلى حضور خارجي بغض النظر عن فعلية وجوده أو عدمه يحقق اثنتين من خصائص واقعة المثل: مصداقيتها التجريبية وسبقها الزمني للحادثة التي تستحضر الصيغة معها.

ومثلما تلاحظ على النص عنايته التفصيلية بشخصيته الرئيسة يُلاحظ ما يعتمد منه من تسوية في تعامله مع شخصياته الثانوية إلى درجة يُستخدم بها (التلخيص) في سبيل عدم تكرار فقرتين متشابهتين تضمان شخصيتين من شخصياته كما في شخصيتي الصلوكين في نص مثلثا، الأولى بحضورها التفصيلي المتضمن الفعل والحوار، والثانية بتحديد حضورها من خلال ما وقع بينها وبين الشخصية السابقة من مماثلة:

(ثم قال له السليك: مَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا رجل افتقرتُ فقلتُ لأُخرجنَّ فلا أرجعنَّ حتى استعني فأتي أهلي وأنا غنيّ، قال: فانطلق معي. قال: فانطلقا حتى وجدا رجلاً قصته مثل قصتهما، فاصطحبوا جميعاً...) (١).

إن اعتماد المقطع السابق (التلخيص) في تقديم شخصيته الجديدة يُسهم في تحقيق وظيفتين من وظائفه، الأولى هي التقديم العام لشخصية جديدة، والوظيفة الثانية هي عرض الشخصيات الثانوية التي لا يتسع النص لمعالجتها معالجة تفصيلية (٢)، مما يعزّز من تراتبيه الشخصيات ويحقق لمستوياتها حضوراً ملموساً تؤدي كل منها، تبعاً لمستواها الخاص، وظيفة داخل نص المثل.

(١) -المفضّل الضبّي، م. س: ٦٢.

(٢) ينظر: سيزا قاسم، بناء الرواية: ٥٦.

### ٣- نصوص أخبار الشخصية وصيغ أمثالها:

إذا كانت الشخصية قد تجسدت في النقطتين السابقتين بوصفها عنصراً يُنتج داخل نص المثل بما يتماشى مع واقعة صيغته أحياناً، أو بما يُستفاد من محدودية أخباره خارج النص أحياناً أخرى، فإن (نصوص أخبار الشخصية وصيغ أمثالها) تتوّجه بالأساس لتنظيم تجارب نوع خاص من الشخصيات يملك حضوراً مسبقاً ممتداً في إرث الجماعة الحكائي، مثلما يحمل العديد من التعلقات الأسطورية التي يصعب معها حصر تأريخيته أو الوقوف على مرجعية مُعينة له، إذ يكون مسوّغ حضوره داخل النصوص هو ما أثر عنه من صيغ ارتبطت بشخصياته لما اشتهر عنها من سمات جسدية أو معنوية أو ما تناقل من أخبار وقائعها، بما يهيئ لنصوص الأمثال، مثلما هيأ لنصوص سردية غيرها، مادة ثرية لصوغ متتالياتها.

بناءً على ما تقدم يمكن أن نحدد، بدءاً، انفصلاً أساسياً بين النوعين مفاده اقتصار شخصيات النوع الأول على صور مُعينة تحيا تداخل نصوص الأمثال وتتنوع وقائعها بتنوع الصيغ وتعددها، بينما تشكل شخصيات مبحثنا حضوراً مختلفاً يستمد وجوده من قوة وجود خارجي تشكلت الشخصية فيه لعمقها وامتداد ظلالها من مجموعة مترابكة من الطبقات إلى الدرجة التي يشعر معها دارس هذا النوع من الشخصيات أنه إزاء عدة أشخاص يحمل كل منهم الاسم ذاته، كما في شخصية لقمان<sup>(١)</sup> التي تسحب وراءها خليط ظلال آشورية وفرعونية وسريانية وعربية، وليس بينهم لقمان الذي ورد ذكره في القرآن الكريم أو حتى لقمان صاحب النور، إذ أن القصة نفسها يُرجّح إنتاجها بين ٦٥٠-٥٠٠ ق.م كما يُشير الأستاذ أنيس فريجه<sup>(٢)</sup>، بما يمنح نصوص الأمثال وهي تختص بجانب مُعين من الجوانب العديدة لتلك الشخصيات، ميزة مهمة تسهم من خلالها بصياغة وجه من وجوه ثراء النص السردى العربى، فالشخصية التي يتشكل حضورها في الميثولوجيا وتتردد أصدائها في الحكايات الشعبية والمسامرات

(١)- ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ١٨٤، ١٨٧، ٣٦٥

و: د. إحسان عباس، مقدمة (أمثال العرب): ٤٣

و: محمود سليم الحوت، في طريق الميثولوجيا عند العرب: ١٨٤

(٢)- ينظر: أنيس فريجه، أحيقار، حكيم من الشرق الأدنى القديم: ١٥١

تتبعث حيّةً، واضحة الملامح، في كتب الأمثال التي تعمل في إعادة إنتاجها على وفق نظام سردي كما في كتاب (المفضل الضبي) وبحسب صيغ أمثالها التي تعدّ، هذه المرّة، مفتاح حياتها وربما استلهمت هذه النصوص جانباً مُعيّناً من جوانب الشخصية، وسمّة من سماتها تتجلى بوصفها (حافزاً حراً Motiflibre)<sup>(١)</sup>، يُسهم بصياغة نصوص الشخصية مهما امتدت وقائعها وتعدّدت صيغ أمثالها، كما في شخصية (امرئ القيس) التي تكتفي نصوص كتاب أمثال المفضل الضبي بما تناقل عنها من عجز مع النساء، هذه الشخصية التي كانت سعة أخبارها وتضاربها مسوّغاً للارتقاع بها إلى مصاف الأسطورة إذ إن "امرئ القيس، إن يكن قد وجد حقاً. فإن الناس لم يعرفوا عنه شيئاً إلا اسمه هذا، وإلا طائفة من الأساطير والأحاديث تتصل بهذا الاسم"<sup>(٢)</sup>، نراه يتجلى مع كل نص (مثنائاً مفركاً يفتقد أهم ما يُطلب في الزواج وما من أجله تتزوج المرأة)<sup>(٣)</sup> وقد تستثمر النصوص في بناء نسائتها السردية ما عُرف عن الشخصية من أخبار بوصفها مرجعاً حكائياً تشترك فيه مع نصوص السرد العربي، مثلما تشترك فيه مع كتب تاريخ الأدب العامة، فهي بذلك، تعمل على إعادة إنتاج جانب من المتخيل العربي في عملية تمثيل سردي عمادي (صيغ أمثال الشخصية) ومادتها (ما عُرف من أخبارها)، وربما واجه الباحث سؤال حول أهمية ما تؤديه كتب الأمثال، وكتاب الضبي منها على نحو خاص، إذا كانت المادة موجودة كلاً أو تفصيلاً قبل هذه الكتب، سيمثل السؤال فرصة لتأمل النظام الأدبي بوصفه طريقة لأداء العقل، فالمادة التي طُرحت سابقاً سواء ما تعلّق منها بشخصية امرئ القيس أو بسواه تهبيء الإمكانية لإنتاج تأليف متنوعة، تبعاً لقدرة العقل وقابليته على اقتراح سبل جديدة للتأليف، فالواقعة النصية هنا تتفتح، في وجه من وجوه ثراء كتب الأمثال، في إمّتها من مياه مُتعدّدة في سبيل توطيد صيغ أمثالها بوصفها ثمار تجارب جماعية.

ويمكن الإجابة عن اختصاص نصوص أمثال المفضل الضبي من حياة

(١)- يظهر (الحافز الحر) كوحدة أنماط تصوّرية، تملك معنى مستقلاً بالنسبة لمجموع القصة التي تعمل فيها.

ينظر: د. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: ٦٩

(٢)- طه حسين، في الأدب الجاهلي: ١٩٦

(٣)- د. الطاهر أحمد مكّي، امرؤ القيس حياته وشعره: ٦٣

امري القيس وأخباره بجانب علاقته بالمرأة وما نتج منها من صيغ أمثال باهتمام الكتاب الواضح بالعلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة -وفي الغالب الجنسية- الأمر الذي لفت اهتمام معظم الباحثين الذين تطرقوا لدراسة الجانب الموضوعي من الكتاب، وفحص منظوره للعصر الجاهلي وطبيعة علاقاته الاجتماعية على نحو خاص<sup>(١)</sup>. بيد أننا نلمس مقدار الخسارة التي مُني بها هذا النوع من الأدب بتركيزه، لغاية ما، على جانب محدد من العلاقات الإنسانية التي كان يمكن لها أن تُقدّم بتشابكها والتحام عناصرها صورة بانورامية للعصر الجاهلي -بغض النظر عن حقيقة وقائعها، إذ إنها تعالج، بجملة الدكتور عبد المجيد عابدين، أمثالا تصوّر في صياغتها وموضوعها نزعة جاهلية<sup>(٢)</sup> -مثلما توفر بنشعب موضوعاتها وغازرة تفاصيلها فرصة مهمة للارتقاء ببناء نصوصها.

يُلاحظ على نصّي صيغ أمثال (امري القيس) (٣٩)، (٤٧) اعتمادها الخبر المذكور مسوغاً لإضاءة واقعتي الصيغتين (أصبح ليل، ومرعى ولا كالسعدان) مع إضافة مناسبة صيغة المثل (اليوم خمرٌ وغداً أمرٌ) في ختام النص الثاني في خبر مختزل. إن اعتماد النص تقديم صفة الشخصية وتحديد بعض شؤونها مع النساء يُسهم بإنجاز صورة مُعيّنة لها لا تتغيّر بتغير النصوص والصيغ، بل إن الصيغ تعتمد على ما يقوم بين الشخصية وباقي شخصيات النصين، وهي شخصيات نسائية، من علاقات مركزها الصفة المعلنة بما يُسهم بإنتاج أفق محدد لتجربتها داخل نصوص الأمثال.

يتضح ذلك أكثر عبر تحول النص في تقديمه صفة الشخصية من (الإخبار) إلى (الحوار) لتأكيد حضورها بين الاستهلال والمتن، فإذا كانت جملتنا استهلال النصين تقومان على ما يُنتقى من صفات الشخصية وسمات حياتها فإن الحوار يعتمد مواجهة (الصفة) والشعور بها عبر الشخصيات أنفسها وهي تقع تحت وطأتها وتعاني من ربقتها كراهية ونكراناً، بما يتطلب

(١)- ينظر: أ. رودولف زلهام، الأمثال العربية القديمة: ٥٣

ب. الفضل الضبي، مقدمة الدكتور إحسان عباس: ٤٢

ج. د. زكي ذاكر العاني، دراسة تحليلية في أقدم كتاب في الأمثال، مجلة (المورد) مج ٢٤

ع ١٣/ ١٩٩٦

(٢)- ينظر: د. عبد المجيد عابدين، الأمثال في الشعر العربي القديم: ٣٦.



توجّه النص لاستضافة بعض ما أُنْثِرَ عن الشخصية وتطويعه لصالح واقعة صيغته كما في النص رقم (٣٩) وهو يُعمّق أثر صفة شخصيته الرئيسة عبر الحوار الآتي:

"فلما أصبح قال لها: قد رأيت ما صنعت الليلة، وقد عرفتُ إن ما صنعت ذلك من كراهية مكاني في نفسك، فما الذي كرهت مني؟ قالت: ما كرهتك، فلم يزل بها حتى قالت: كرهت منك أنك خفيف العجزة، ثقيل الصدر، سريع الإراقة، بطيء الإفاقة.." (١).

تحدّ هيمنة الصفة المحورية في نصّي (امرئ القيس) من فاعلية الشخصية وتتمطّ علاقاتها مع سواها من الشخصيات، على الرغم من تعدّد صيغ أمثالها، على العكس مما يشغله حضور شخصية (لقمان) من مساحة تتعدّد خلالها الصفات وتتداخل الأخبار إلى الدرجة التي يُلْمَسُ بعضُ التناقض في تقديمها سببه اختلاف الأخبار وهي تصور القوة والحكمة مثلما تصوّر الضعف والوهن، من دون أن تفصل بينها فواصل سردية زمانية أو مكانية يمكن أن تُشير لتغير أحوال الشخصية وتسوّغ التباين الحاصل بين صفاتها، بما يؤكد جانباً من حضورها (الإشكالي) في الأدب العربي القديم، لقدمها البالغ، وتعدّد صورها، وتناقض صفاتها أحياناً بين المظان المختلفة: الأسطورية والشعبية والدينية، وقد لعبَ ذلك دوراً في تقسيم شخصية لقمان إلى مراحل تنسم في كل منها بصفات خاصة، فقد زعم (Heller) أن شخصية لقمان مرّت بثلاث مراحل:

أولاً. مرحلة جاهلية: وفيها يتراءى لقمان الأسطوري.

ثانياً: مرحلة قرآنية: وفيها يبدو لقمان بصورة يسودها الصلاح والحكمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ (٢)

ثالثاً. مرحلة متأخرة: وهي المرحلة التي نسج فيها ولفق قصص كثيرة يخص الشخصية.

ويؤكد د. شوقي ضيف عدم صحة تقسيم (Heller) لأن لقماناً، حسب

(١) -المفصل الضيّ، أمثال العرب: ١٢٣.

وينظر: د. الطاهر أحمد مكّي، امرؤ القيس، حياته وشعره: ٦٣.

(٢) -لقمان/ ١٢.

تصوره، ليس شخصاً واحداً يمكن تقسيم وجوده إلى مراحل، بل شخصيتان، الأولى تعنى بها كتب الأمثال، والثانية تعنى بها كتب الفقه والتفسير<sup>(١)</sup>، إن توزع أخبار شخصية (لقمان) بين النصوص (٦٢، ٦٤، ٦٦)<sup>(٢)</sup> بتعددتها (ثمانية أخبار) وتباين حصيلتها من الصيغ: النص الأول (تسع صيغ) النص الثاني (أربع صيغ) النص الثالث (صفر) يفتح مجالاً متسعاً لاحتضان عدد وافر من الشخصيات التي مثلت شخصية (لقمان) مسوغاً لاستحضارها كما في النص رقم (٦٦) الذي يجعل من (لقمان) مناسبة نصية لخلوه من الصيغ، إذ يتشكل الخبر وتنوع وحداته بما يكون بينها وبين الشخصية الرئيسية من تلازم واتصال، وهو يهيئ فضلاً عن ذلك فرصة مثلى لاستحضار صفات لقمان الإعجازية بعد أن كُبر، على لسان جاريته التي تعدّ لحكمتها وذكاء ردودها، وهي تعيش واقعة اختبار بالغة القدم مع قوم من (العمالقة) البائدة<sup>(٣)</sup>، صدى لشخصية مركزية مثل شخصية (لقمان) التي يمكن ملاحظة صفاتها الإعجازية المُقدّمة خلال منظومة أخبارها.

تقودنا النقطتان السابقتان (تعدد أخبار الشخصية وتناقضها أحياناً، وانفتاح النصوص لاستحضار عدد وافر من الشخصيات الثانوية والهامشية) إلى النظر في إمكانية الشخصية على النهوض بمهمتي النص الأساسيتين: الإخبار والتمثيل، وهي تتحرك بتعدد صورها على مساحة سردية متسعة تمكنها من تجاوز هيمنة صفة معينة، كما في نصي (امرئ القيس) بل إنها تحقق من الأهمية لشخصياتها الثانوية ما يمنحها فرصة التعبير عن نزواتها ورغباتها، أي إن النصوص تعمل على بلورة صفات هذه الشخصيات، لا الشخصية المركزية حسب، وهي تمدّ شبكة علاقاتها مع الشخصية الرئيسية، وفيما بينها بدرجة أقل، مما يسمح بتشكيل مستوى أول يستمد فاعليته من حضور شخصية (لقمان) التي بقيت حتى في حال انسحابها عن الحدث، كما في النص رقم (٦٦)، مركز حركته.

بخلاف نصوص أمثال أيام العرب حيث تظهر الشخصيات وتختفي تبعاً لإرادة (الحدث) وهو يُقيم بُعدَه المركزي في بناء النصوص، تقدّم نصوص

(١) -د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي: ٤٠٦.

(٢) -المفصل الضبي، أمثال العرب: ١٥١، ١٥٧، ١٦١.

(٣) -الجاحظ، البيان والتبيين: ١٨٧.

أمثال الشخصية صورةً مقربةً لشخصية محددة تُسهم الأخبار بامتداد أحداثها، وتواشج متتالياتها، بإضاءة صفاتها وتجليه وقائع صيغتها. يغدو الحدث في نصوص أمثال الأيام كلما تداعت الوقائع واتصلت النسائج نقطةً مولدةً ينشغل النص بمتابعة آثارها على الناس والأشياء، ليكون النص عندئذٍ صدًى لواقعة محددة، بينما تسعى أخبار الشخصية وصيغ أمثالها إلى خلق مساحة سردية خاصة تمارس فيها الشخصية وجودها شبه المستقل ضمن فضاء الكتاب العام، إنها تُقدّم مثل لوحة فسيفساء كبيرة كل قطعة صغيرة منها ترصد صفةً من صفات الشخصية من دون أن تتظر لما يكون بين صفات القطع الصغيرة من تناقض واختلاف ضمن حضور الشخصيات بتباين مواقعها وتواتر علاقاتها، وإنتاج الصيغ التي تُضيء مهما ابتعدت عن الشخصية الرئيسة سمةً معينةً من سماتها، كما في الجدول الآتي:

#### نص رقم (٦٢)

الشخصية	رئيسة	ثانوية	هامشية	الصفة	صيغ الأمثال
١. لقمان ٢. تقن أخوتها	--			صاحب غنم لا يطعم لحوم الإبل	على أهلها تجني براقش.
١. لقمان ٢. أخته زوجته زوج أخته	--	-- --		ذو أدب ودهاء	هذا حرٌّ معروف..
١. لقمان ٢. لقيم صحرا	-- --	--		لقيم: من أحزم الناس وأكبرهم.	ذنب صحر..

الشخصية	رئيسة	ثانوية	هامشية	الصفة	صيغ الأمثال
١٩٠ (٥٠) لقمان لقيم	-- --			الغزو إذا اشـتـد الشتاء	كان برحل بانتت. برحلها بانتت لقم. أشبه شرح شرجا.. في نظم سيفك ما ترى.. لي الغادرة والمتغادرة...
١٩١ (٥١) لقمان ابن بيض التاجر ابنه	--	--	--	قطع الطريق	سدّ ابن بيض الطريق

#### نص رقم (٦٤)

١٩٢ (٥٢) لقمان عمرو بن نقن كعب	-- -- --	-- -- --		الخداع والمكر	رُميت فرميت..
١٩٣ (٥٣) لقمان المرأة عمرو	-- --	-- --			لا فتى إلا عمرو. إحدى حظيات لقمان أضرطاً آخر اليوم

## نص رقم (٦٦)

١٩	لقمان الجارية أمة ثمانية من سادة العماليق	--	--	--	حدة البصر. كثرة الأكل. دقة الرماية. القوة.
----	--	----	----	----	---

يكشف الجدول عن فاعلية أداء شخصيته الرئيسة والثانوية، حيث تسهم الأخيرة بتطوير الحدث وتنظيم تغيراته وهي تُقيم علاقةً متكافئةً مع الشخصية الرئيسة، فيُقدّم النصان (٦٤)، (٦٦) مثلما يُقدّم الخبر رقم (٢) من النص الأول فرصةً للارتفاع بحضور الثانوية، وهي تفكر وتعمل في سبيل تحويل أفكارها إلى وقائع تُغيّر من مجرى النصوص، لتكون مع الخبرين (٣) و(٤) من النص نفسه بمواجهة شخصيتين رئيسيتين هما (لقمان) و(لقيم) اللتان تجسدان بتوازن الفكر والتجربة بينهما صورة لرغبة شخصية سابقة هي أخت (لقمان) التي تمنّت أن يكون لها ابن يحمل صفات خاله. إن نصوص أخبار الشخصية، بذلك، تتسع باتساع شبكة علاقات شخصيتها الرئيسة، من دون أن يؤثر ذلك في وضوح الشخصيات الثانوية ويقلل من قدرتها على التعبير عن رغباتها، وإذا كان الحدث قد امتدّ بين السبب والنتيجة، كما لوحظ في الفصل السابق، فإن شخصيات هذه النصوص تولد وتنمو نتيجة رغبة شخصية سابقة تسهم على نحو واضح بتطور مجرى الحدث وخلق نوع من التوازن بين شخصياته.

\*\*\*



## الفصل الرابع الفضاء

- عن الفضاء في السرد العربي القديم (مدخل)
- الزمان والمكان في صيغة المثل. (مقترَب دلالي)
- الزمان في نصوص الأمثال:
- درجة الصفر (من زمن الرواية إلى زمن المروي)
- الحلقة الزمنية الوسطى
- الزمانية والسببية
- المكان في نصوص الأمثال
- التعبير المباشر عن المكان
- التعبير غير المباشر عن المكان





## عن الفضاء في السرد العربي القديم (مدخل)

إذا كانت نصوص الأمثال تتطوي في جانب مهم من جوانبها على (حدث) يُقيم تجربة المثل، ويحدد موقع صيغته، فإن هذا الحدث لا ينتظم خارج حدود (فضاء) معيّن، مهما اختلفت نوعية هذا الفضاء، أو تباينت المساحة التي يشغلها داخل النص، فهو يشكل حيز تحقق الفعل، ومجال تجسده في زمان ومكان معلومين، يعمل النص بوصفه واقعة لغوية على بلورته داخل نظامه السردية، محافظاً على درجة إسهامه في تأمين المجال المناسب للأحداث؛ والفضاء في العمل الحكائي يظل (تمثيلاً ذهنياً) <sup>(١)</sup> يتجلى بما يُوفر له من (حيّز) داخل النص، ويختلف تبعاً لاختلاف قابلية النصوص وفاعلية عناصرها وهي تقيم ما يمكن من علاقات فيما بينها في سبيل إضاءة وقائعها وتجسيد تجارب صيغ أمثالها.

يمكن ملاحظة أثر الفضاء في النص الأدبي، وتبين أهمية موقعه، وقدرته على التعبير عن وعي النصوص من خلال استجابته لمنطقها، وتأثره بنظرتها للتجربة الأدبية وللعالم في وقت واحد، بما يحققه من تمثيل يتغير بتغير النصوص وتحوّل نظرتها وهو يسعى لـ (إدماج الحكيم في فضاء المحتمل) <sup>(٢)</sup> بما يتجاوز التصور الذي يرى الأدب، كقاعدة عامة، يلح "على بعض التجسيد الزماني، ويتيح للتمثيل المكاني أن يظل غير محدد تماماً" <sup>(٣)</sup>، فالفضاء بجملة أخرى، يُعين على توجيه نصوص الأمثال، وبلورة أثرها على الرغم من بساطة حضوره فيها، بما يملكه من موقع جوهري في العملية الأدبية، وهو يتأثر بنمط المعارف والموجهات وتبدل السياقات التي تخضع لها تلك العملية،

(١) - سعيد يقطين، قال الراوي: ٢٤٠

(٢) - د. حميد الحمداني، بنية النص السردية: ٦٥

(٣) - بوريس أوسبنسكي، شعرية التأليف، ت. سعيد الغاني وناصر حلاوي: ٨٥

بما يشير لحساسية موقعه وقدرته على أن يلمع في السردية العربية لحيوية هذا الترابط، عبر تجليه في مختلف أنواعها، ومن خلال ما يرتفع به من أثر يكشف، بالضرورة، عن منطق النصوص، مثلما يسهم بإضاءة ركن من أركان معرفة عصر معين التي يمثل النص الأدبي، مهما اختلف نوعه، أحد تجلياتها المهمة، فقد خضع الفضاء في (ألف ليلة وليلة) على سبيل المثال لمؤثرات عصر إنتاج الحكايات، مستجيباً في وصف (البيئة) كما تشير د. سهير القلماوي لمؤثرين قويين "أما المؤثر الأول، وكان الأقوى والأعم، فهو مؤثر الحياة الحاضرة للقاص، وأما المؤثر الثاني فكان ما برز في أذهان الشعب من أخبار التاريخ العام عن عصر الإسلام الذهبي"<sup>(١)</sup>، إن للمعرفة في تشكيل فضاء (ألف ليلة وليلة) وهي تتوجه جهتي الحاضر: واقع إنتاج النص وأفق منتجه، والماضي: ما تشكل من أطراف عصر ذهبي تمثل الذروة فيه خلافة (هارون الرشيد)، دوراً في تنويع الفضاء وإضفاء طابع الغرابة عليه وصولاً (لاصطناع الحيز المستحيل، والحيز البعيد الذي لم يره أحد قط)<sup>(٢)</sup> اللذين ينبعان من تضافر المعارف والقدرات الممكنة منها والسحرية في خلق نماذج خاصة من الفضاء. مثلما تكشف مقارنة الفضاء ضمن نماذج النوع الواحد عن مقدار المهمة التي يضطلع بها للإسهام في التعبير عن محتوى رسالة النص الأدبي وفاعلية الإبلاغ فيه، إذ تبيّن مقارنة الفضاء بين مقامات الحريري والهمذاني تغيير الأطر الزمانية- المكانية، واختلاف تمثيلها في كل منهما من ناحية احترام التسلسل المنطقي التي يكون نص الحريري فيها أقرب للزمان الطبيعي، على الضد مما في مقامات البديع التي تتجاوز تنقلات شخصياتها الحد المنطقي بحركتها عبر زمن يتعدى القرنين مما لا يتلاءم والنظرة الواقعية للزمن، ومن ناحية اختلاف تجليات المكان في عمل كل منهما ففي الوقت الذي تنحصر حركة بطل البديع وراوييه بين المدن الواقعة ضمن حدود الدولة البويهية، تتفتح تنقلات شخوص الحريري من المدن الواقعة تحت الهيمنة السلجوقية حتى مصر الفاطمية<sup>(٣)</sup>، مما يهيء المقام للحديث عن مسوغات تباين

<sup>(١)</sup> سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة: ٢٢٨.

<sup>(٢)</sup> د. عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة: ١٣٦.

<sup>(٣)</sup> ينظر: مشتاق فالح، البنى الوظيفية في مقامات الحريري (رسالة دكتوراه): ص ص ١٠٤ -

الفضاء في نصوص السرد العربي في مراحلها المختلفة، وقدرته على التعبير عن تطلعات تلك النصوص وتغيير أهدافها.

إن تباين أهمية الفضاء في أنماط السرد العربي القديم يدعونا للسؤال عن دوره في حلقة مهمة من حلقات تشكيل السردية العربية، نصوص الأمثال بخصوصية موقعها وهي تمثل عبر معاينتها لما حولها مرحلة من مراحل وعي التجربة وإعادة إنتاجها بما تتطوي عليه من خصوصية تتطلب ملاحظة النصوص وهي تشكل فضاء أحداثها عبر إشارات مختزلة للمكان، ولا تمنح تبدلاتها الزمنية عناية خاصة<sup>(١)</sup> بل إنها تعلن في الغالب بما يتركه النص من (ثغرات)، أو ما يقدمه من (تلخيص) لمدد زمنية مجهولة في أفضل الأحوال، وعلى الرغم من ذلك فإن الزمان والمكان يظلان مقولتين إجرائيتين تسهمان في ضوء مفهومية عامة يقترحها العصر وتقتضيها أنماط معارفه، بتأمين موقع خاص لنصوص الأمثال في السرد العربي القديم من خلال ما يقدمه هذا السرد من تباين العناصر واختلاف الآليات.

إن ارتباط كل من الزمان والمكان في نصوص الأمثال بالحركة والانتقال في الوحدات السردية يدعو لملاحظة نقطتين أساسيتين تتوجه الأولى للنظر إلى (التغير) وفحص قدرته وهو يُحرّك أحداث النصوص وينوع في وجهتها، على إضاءة عناصره الزمانية والمكانية، إذ إن ما يصادفنا من تحول في الأحداث وانتقال بين متتالياتها نابع من تصور يقوم على أن الزمان، في هذه النصوص، لا يجلب التغير، وإنما التغير، بجملة (نيقولاوي برد يائيف)، وهو الذي يجلب الزمان، ف ((الزمان ليس إلا حالة من حالات الأشياء))<sup>(٢)</sup> مثلما يبدو المكان موضعاً لتجلي الحدث أو مظهراً من مظاهره، إن الزمان والمكان بجملة أخرى يتجليان في نصوص الأمثال بمقدار ارتباطهما بالحدث ومستوى تعبيرهما عن مراحل الصراع والتحول فيه.

وتتوجه النقطة الثانية للنظر إلى ما يكون بين عنصري الزمان والمكان من تلازم يُعدّ سمة سردية من سمات نصوص الأمثال، فهما يتصلان في وحدة

<sup>(١)</sup> ينظر: إشارة ((كاسكل)) W. caskel للزمان والمكان في حديثه عن قصص أمثال المفضل

الصبي: ((المكان والزمان، لا يُحددان في الغالب، والجو العام للقصة، لا يتضح وضوحاً

تاماً)) نقلاً عن: رودولف زلهام، الأمثال العربية القديمة: ٥٣.

<sup>(٢)</sup> نيقولاوي برد يائيف، العزلة والمجتمع، ترجمة فؤاد كامل: ١٢٢.

لا تتفصل هي مُتّصل الزمان المكاني أو المكان الزماني، وهما في حالة حركة دائمة<sup>(١)</sup>.

إن نصاً سرديّاً مثل نص المثل يقوم بالأساس على تهيئة سبل الحكي الممكنة من أجل إضاءة تجربته وكشف محمول صيغته، يتطلب نظراً خاصاً في معالجة فضاء أحداثه فهو لا يعتمد الوقفات السردية المميزة كما في (ألف ليلة وليلة) وهي تنتقل بنسيج حكاياتها من السرد إلى الوصف بغية تحقيق جماليات فضائها بما يمنح المكان أبعاده المختلفة التي ترتفع بالخصائص البنائية للعمل، ولا يُعطي زمان أحداثه من الأهمية ما يُعطاهما الزمان في (المقامات) أو (السير) وهي تُلخّص أزماناً وتوسع مدى أزمان، بل يفتح مجالاً مباشراً لحضور الحدث ويهيئ المقام لبلورة (الصورة السردية) التي تقوم بالأساس على التحام الوصف بالسرد في تقديم عنصريهما، فإذا كان عنصر الزمان يتبدى من خلال السرد، وعنصر المكان يتبدى في خلال الوصف، فإن (الصورة السردية) هي نتاج امتزاج الوصف بالسرد<sup>(٢)</sup> وهي ما يمكن ملاحظة حضوره في مجمل نصوص الأمثال، وقد خضعت سمات الفضاء فيها لهيمنة الحدث وفاعلية تجسده.

### الزمان والمكان في صيغة المثل (مقترَب دلالي)

تؤمن صيغة المثل، بدءاً، علاقةً صريحةً مع الفضاء بقسميه: الزمان والمكان، فهي، قبل أي شيء آخر، أنموذج الخبرة البشرية في قالب لغوي، وبيان التجربة في أفق ثقافي، والمثل يتميز بقدرته على التعبير المختزل عن المحتوى الزماني للتجربة الإنسانية، وقابليته على التقاط أثر المكان فيها، وهو يُعلن علاقته بالفضاء عبر التركيب اللغوي لصيغته على نحو مباشر مستفيداً مما توفره الخبرة البشرية لإدامتها وتأكيد حضورها في ما ينتج من صيغ، فإن الشعور بالفضاء في حده الأدنى ((يفترض نمطاً من النضج الفكري والقدرة على التأمل))<sup>(٣)</sup>، ليرتفع هذا الافتراض عبر تنويعات النصوص وتجلياتها

(١) د. علي عبد المعطي محمد، تيارات فلسفية معاصرة: ٣٠٨-٣٠٩.

(٢) ينظر: د. شجاع العاني، البناء الفني في الرواية العربية في العراق، ج ٢ (الوصف وبناء المكان):

١٧.

(٣) كوفي بريل، العقلية البدائية، ترجمة، د. محمد القصاص: ٢١.

اللسانية بما يوفره عنصر الزمان والمكان من إمكانية تسمح ((بالبحث في فضاءات تتعدى المحدود والمجسد، لمعانقة التخيلي، والذهني، ومختلف الصور التي تنتسج لها مقولة الفضاء))<sup>(١)</sup>، فالبنية الزمانية التي تقترحها صيغة المثل (وتقترح من خلالها) تضم داخل حدودها نسيج علاقات يؤمّنها عدد من العناصر التي تؤدي وظيفة جزئية في كشف (زمنية) المثل بحسب أفق إنتاجها، وصيرورتها وهي تتحرك بما يمنح ((الزمان بعده الحقيقي باعتباره، وفي آن معاً، إطاراً للفعل وموضوعاً للتجربة))<sup>(٢)</sup> مثلاً يُحقّق للمكان حضوراً ينمّ داخل صيغة المثل عن نمط الخبرة وهي ترتفع بتماسّها بما حولها، موسعة من إدراكها لمجال حياتها، لتقيم ما يمكن من الصلة بين محمول تجاربها وصيغها، خلاصات وعيها لعالمها، فالتجربة تقدّم في صيغة المثل بوصفها ناتجاً لفاعلية تماس الإنسان بما حوله من أناس وموجودات، وصورة لجدل العلاقة بين الإنسان ومحيطه، مهما اختلفت درجة التعبير عن الوقائع، أو تباين مستوى تجلّيها في النصوص، في الوقت الذي تقوم الصيغ بوصفها نصوصاً صغرى تحتكم إلى أداء لسانی خاص وتتطوي على قيم جُمليّة مميزة، على تأمين نوع من الصلة الدلالية مع نصوص الأمثال تتعدى دور عنوان أو مناسبة النص إلى إضاءة مجال عمل النصوص وتنظيم معانيها.

إن اشتغال النصوص بمجال الإخبار والتفسير أدى بها إلى ضرورة الارتباط بـ/ أو البناء على صيغ معيّنة فهي بمجملها تمثّل كنائي يتوسل السرد لكشف دلالة وإضاءة معنى، الأمر الذي يلاحظ معه أحياناً تعدد القصص بوصفها تفسيرات لصيغة واحدة، فقد يتغيّر المحمول بتغيّر كتب الأمثال وتحوّل سياقات إنتاجها مع الثبات النسبي للحامل، كما يلاحظ أحياناً التغيّر النسبي للصيغ بين الكتب في زيادة أو نقصان مساحتها اللغوية، أو تغيير وجهتها النحويّة مع الحفاظ على وضوح أفقها الدلالي في كل صورة من صورها.

تواجهنا، في مرحلة دراستنا، مجموعتان من الصيغ تستفيدان على نحو مباشر من (الفضاء) في التجربة، فهما تقومان بالأساس على ناتج الخبرة والملاحظة لتحديد الإنسان المثل موقعاً في (التاريخ) يكشفه موقعه في (الصيغة) ويستند إليه، إذ تبدو الصيغة خلاصة لحدث تقع في المركز منه موضوع

(١) سعيد يقطين، قال الراوي، ٢٤٠.

(٢) نفسه: ١٦١.

الزمان، في المجموعة الأولى، بشمولها واتساع نمط الخبرة الذي تقوم عليه، وتقوم المجموعة الثانية على ما يتجلى فيها من سمات مكانية مباشرة أو غير مباشرة تضيء عبر فاعلية صيغها ووعي إنسان المثل لعالمه، محيط علاقاته المتسع اتساع الخبرة نفسها.

نلاحظ في المجموعة الأولى اشتغال الزمان (أو أحد لوازمه) مركزاً دلاليّاً ينظم عمل الصيغ ويوجّه أثرها كما في الجدول رقم (١):

الصفحة والسطر	صيغة المثل	الكتاب
١٤/١٢٣	أصبح ليل	(أمثال العرب)
١٠/١٥٩	أضرطاً آخر الليل وقد زال الظهر	للمفضل الضبي
١/١٢٦	أعن صبح ترقق	
٧/٦٢	إن الليل طويل وأنت مقمر	
٥/١٢٤	إن يبيع عليك قومك لا يبع عليك القمر	
١٣/٧٥	حتى يجتمع معزى الفزر	
٤/١١١	دعوني فكفى بالليل خفيرا	
٧/١٣٨	رب عجلة تهب ريثاً..	
٢/٤٨	سبق السيف العذل	
٨/٥١	الصيف ضيعت اللبن	
٦/١١٧	عرفتني نساءها الله	
٤/١٤٠	عش رجلاً تر عجباً	
٤/٧٥	قد لا يقاد بي الجمل	
٩/٧٥	لا أسرح فيها ألوة الفتى هبيرة	
٧/٧٥	والله لا أرهاها سن الحسل	
١/١٥٤	وبرحلتها باتت لقم	
٨/١٢٧	اليوم خمر وغداً أمر	

الصفحة والسطر	صيغة المثل	الكتاب
٥/٦٥	أبقى من حجر	(كتاب الأمثال)
٥/٧٩	إذا طلع سهيل، رفع كيل	أبو فيد السدوسي
١٥/٧٩	إذا طلع سهيل على أثباجها	
٩/٦٥	أسرع من نكاح أم خارجة	
١/٤٤	أمر قضي بليل	
٧/٥٥	أوشم البرق	
٢/٨٩	قد تبين الصبحُ لذي عينين	
١/٥٨	كريت ليلتي هذه كلها	
١٣/٥٨	كرينا الليلة	
١/٧٤	لا أفعل ذاك ما سمر ابنا سمير	
٥/٧٤	لا أفعله حتى تجز الظباء	
٤/٧٤	لا أفعله ما حنَّ بعير	
٤/٤٥	مشتري سهر بنوم	
١٠/٥١	اليوم ظلم	
١٠/٨٠	يوم عماس	
١/١٢٨	أخذ الدنيا بحذافيرها	(كتاب الأمثال)
١/٢٨	إنِّي لآتيه بالعشايا والغدايا	أبو عكرمة الضبي
١١/١١٦	ذات يوم	
٣/١٢٠	ماله طارف ولا تلبد	

يوجهنا الجدول لتحديد صورة أولى للتعامل مع (الزمان) في صيغة المثل العربي، تقوم على ما تعتمد الصيغة من نمط التجربة، والملاحظة، والخبرة، لتنظم، بعدئذ وعي الصيغة نفسها في انفتاحها على مختلف التجارب الإنسانية، مع وجوب شرط المشابهة، محققة نوعاً من العلاقة التي تكشف على نحو أولي فاعلية الأثر الزمني للأمثال وهي تتحرك بين مجموعة من الدوائر الدلالية التي

توسع بالضرورة من مجال اللفظة بانتقالها من حقل فينومينولوجي يقوم على معاينة الظاهرة لحقل لغوي تنتظم فيه ضمن فاعلية خاصة تسهم بكشف مستوى من وعي (الفضاء) عبر منظومة التجارب والعلاقات التي تشف عنها الصيغ وهي ترتفع بصفة (الإيجاز) محققة واحدة من غاياتها البلاغية، ممتدة بأقل ما يمكن من الكلمات إلى أغراضها، فتبدو في اتساع دلالتها واختزال ألفاظها أقرب إلى (الإشارة) في إحاطتها بموضوعها<sup>(١)</sup>.

إن الصيغ السابقة تحقق حضوراً للزمان ما يقوم على ما توفره خبرة لغوية معينة من رصيد دلالي فـ ((اللغة هي التي تعبّر عن كون الزمن يُشكل، بحضوره المستمر، خلفية التجربة))<sup>(٢)</sup> مثلما يكون محط اهتمامها في النظر إلى موضوعاتها بما يُضيء اتجاه الصيغة وينمط حركتها وهي تؤدي وظائفها على مستوى الكلمة أو الجملة فيما يخص الصيغة، أو يتعدى ذلك إلى نص المثل نفسه، هذه الوظائف التي تسهم أولاً بتعيين نوعية الأثر اللغوي بوصفه (صيغة مثل)، وتقوم ثانياً على ربط هذه الصيغة برباط زمني موضوعي بما يماثلها من التجارب. نختار، على سبيل الملاحظة، من بين صيغ الجدول الصيغ الثلاث الآتية:

١. أمرٌ قُضي بليل.

٢. اليوم خمرٌ وغداً أمرٌ.

٣. إن يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر.

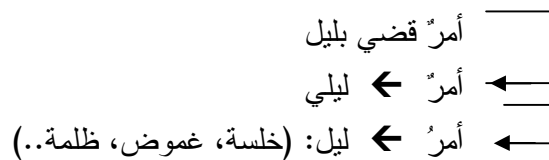
تنقسم الصيغ الثلاث بحسب بنائها اللغوي إلى مركّبات ثلاثية: اسمية، ظرفية، وشرطية وهي تتوجّه جميعها لتنميط الموضوع الزمنية للإشارة إلى تجارب أمثالها وتحديد عمل صيغها مستثمرة المنحى الدلالي للكلمة في حال كونها دالاً (عبر قيمة خلافية صوتية وتركيبية تميّزها عن غيرها) وفي حال كونها مدلولاً (عبر الوظائف التي تؤديها على مستوى الكلمة، أو الجملة، أو

<sup>(١)</sup> تنبّه العلماء العرب لما بين الإيجاز والإشارة من صلة فقد عقد (ابن سنان الخفاجي) في كتابه (سر الفصاحة) مبحثاً للإيجاز سماه (الإشارة) يقول فيه: ((أن يكون المعنى زائداً على اللفظ، أي أنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة)) - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تحقيق عبد المتعال الصعيدي: ٢٤٣.

<sup>(٢)</sup> محمد سويرقي، النقد النبوي والنص الروائي: ١١/٢.



النص<sup>(١)</sup>، ففي الصيغة الأولى (أمرٌ قضي بليل) يتشكّل المركّب الأسمي من مكوّن + (فعل ماضٍ (م.م) + حرف جر + مفردة مجرورة) ليتجلى الزمان بمعانيه الدالة على الظلمة والخفاء التي تفتح للصيغة أفق عملها، فشبه الجملة المتكوّنة من (حرف الجر + ليل) تؤسس دلالتها على معنى الظرفية في الحرف - ببيئة أن يحسُن في موضعه حرف الجر في<sup>(٢)</sup> - ليعيّن معنى الظرفية، بذلك، صفة الأمر المقصود فهو (أمرٌ ليلي) يتوخى فيه السترُ وعدمُ المكاشفة، مستفيدةً قبل ذلك من مجهولية الفاعل، وقد تفتح الصيغة في إفادتها من دلالة الزمان كما تكشف الصورة التي وردت عليها في (مجمع الأمثال) (أمرٌ نهار قضي ليلاً) بما يفيد وضوح الغاية وغموض التنفيذ وسريته فهو ((يُضرب لما جاء القوم على غرةٍ منهم ممن لم يكونوا تأهبوا له))<sup>(٣)</sup>، نلاحظ كيف يكون بمقدور الصيغة الخروج على حدود تفسيرات كتب الأمثال لتحقيق حضوراً أوسع وانفتاحاً أشمل لدلالة الصيغ. إن الصيغة تضيء مجال استخدامها مرتفعةً من الجزئي والمحدود (الظرفي) في التجربة، إلى منح هذا المجال صفةً تكون ملازمةً له وكاشفةً لنوعه، فالليل، كما هو معروف، واحد بمعنى الجمع، أي أن (الأمر) يستقي معناه وصفته من معنى الليل جميعه، فهو يستبعد على نحو صريح نقيضه كما استبعدت الصيغة الواردة في كتاب (أبي فيد) لفظة (نهار) بما تسحب من مكاشفة ووضوح بتمام معنى الصيغة ووضوح مفادها معتمدةً (أمرًا) نكرةً لإمكانية استيعابه ما لا ينتهي من (أمر) تتطلب (الليل) فضاءً لوقوعها:



وفي الصيغة الثانية يتشكّل مركّب العطف من: مكوّن + حرف عطف + مكوّن، يعمل رباط العطف على (المقابلة) بين المكونين (اليوم خمر ← غداً

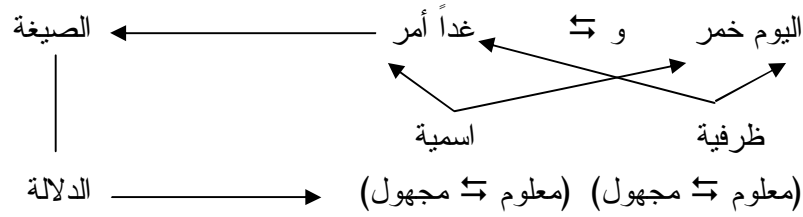
<sup>(١)</sup> منذر عياشي، اللسانيات والكلمة: ٤١.

<sup>(٢)</sup> ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح محمد محي الدين عبد الحميد:

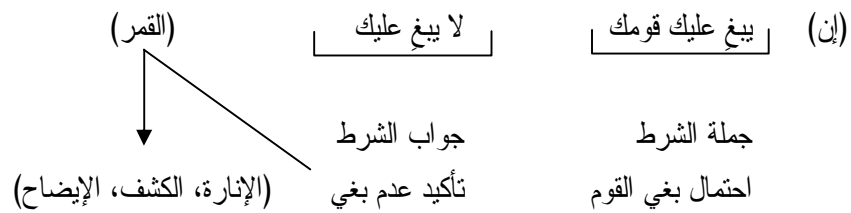
١٠٤/١.

<sup>(٣)</sup> الميذاني، مجمع الأمثال: ٣٠/١.

أمر) التي تفيد دلالة التسويف والتأجيل بين (اليوم) و (غداً) الطرفين المعلومين، الأول بتحقيقه ووقوعه، والثاني بمجهوليته واحتمال ما يحدث فيه، من هنا كان (الخمير) بمعلوماته ودلالته على اللهو ونفض اليد مقابلاً لـ (أمر) غير المعلوم والذي لا تتضمن الصيغة رغبة مسألتة أو كشف مخبوءه وهي تنظم نوعين من العلاقات يعملان في أفق دلالي واحد، الأولى ظرفيه والثانية اسمية يمكن بيانهما كما في المخطط الآتي:



وفي الصيغة الثالثة (إن يبيع قومك لا يبيع عليك القمر) يتشكّل المركب الشرطي من أداة الشرط + فعل الشرط + جوابه، ويتجلى الزمان عبر أحد لوازمه (القمر) وهو بحضوره في جواب الشرط يُبطل عمل الليل الذي يعني هنا (البيغي) كما عني في الصيغة الأولى الستر وعدم الوضوح، فالقمر، كما تكشف حياة الصحراء، هو دليلها ونور ظلماتها، وهو في الوقت نفسه علامة العدل والحكم المنصف بين أبنائها، فإذا احتمل الحكم بين البشر شيئاً من اختلال الميزان، فإن حكم (الزمان) المُدرَك عن طريق الخبرة، لا يبغي فيه ولا اختلال:



أما من الناحية المكانية فإن صيغ الأمثال تعتمد في جانب أساسي من جوانبها على خبرة خاصة لا يبدو معها المكان ظرفاً منفصلاً عن وقوع التجارب والأحداث بل إن له من الأثر ما يشير إلى أهمية دوره في التجربة نفسها، كما في الجدول رقم (٢):

الكتاب	الصيغة	الصفحة والسطر
(أمثال العرب) المفضل الضبي	أزمت شجعات بما فيهن	١٥/٦٨
	أضرطاً وأنت الأعلى	١١/٦٢
	أعركنين بالضيفير	١٦/٥٦
	أينما أوجه ألق سعداً	٥/٥٠
	ببقة صرم الأمر	٢/١٤٥
	تجاوزت شبيثاً والأحص	١٠/١٣٠
	سدّ ابن بيض الطريق	١/١٥٦
	عوف يرناً في البيت	١٠/٧٠
	في كل واد بنو سعد	٧/٥٠
	لكن بالاثلاث لحماً لا يظلل	٧/١١٠
كتاب الأمثال أبو فيد السدوسي	أبقى من حجر	٥/٦٥
	البئر جبار	٦/٥٢
	في بيته يؤتى الحكم	١٩/٤٧
	في كل أرض سعد بن زيد	٩/٨١
	قد أرض فلان أرضه	٩/٨٢
	قد بلغ السيل الزبي	٨/٤٠
	لا حر بوادي عوف	٩/٧٣
	أحمق لا يتوجه	١٠/٩٥
	أرض لا يطير غرابها	١/٧٣
	أعطاه ما قطع البطحاء	١٠/١١٠
(كتاب الأمثال) أبو عكرمة الضبي	ضاققت به بلادي	١/٩٣
	ضقت به ذرعاً	٥/٧٤
	فوق كل طامة طامة	١٣/٨٣
	ماله مال ولا عقار	١١/١٠٩

يتشكّل المكان رابطة واضحة تجمع بين صيغ الجدول وتوحّد توجّهاتها في النظر إلى محيط تجاربها، فلا تكتفي هذه الصيغ بالتعامل مع الحدود الجغرافية

لأماكن وقوع أحداثها، بل تمتد إلى تأكيد جوهرية إسهامها فيها وإضاءة جدلية العلاقة بين الأماكن والأفعال التي أولتها الصيغ من العناية ما حقق لها تنوعاً ملحوظاً، فلا ينبثق المكان من ملاحظة تولّدها لحظة زمنية عابرة بقدر ما يقدم من الصلة مع صيغ الأمثال في مراقبتها لمحيط تجاربها ما يؤكد وجوده عنصراً فاعلاً من عناصرها، مشيراً إلى مستوى الوعي القائم على الملاحظة والتأمل الذي تسهم صياغة المثل بتجسده وبيان أهميته، وإذا كان الأدب على مختلف وجوه إبداعه قد أولى المكان عنايةً بيّنة فإن صيغ الأمثال تتشكل أنموذجاً خاصاً من التعامل الأدبي مع المكان نظراً لانبثاقها عن نمط المعرفة القائمة بالدرجة الأساس على ملاحظة العالم، عالم لغة المثل ومحيط تجسدها بما فيه من ثوابت ومتغيرات، والمكان بلا شك واحد من العناصر التي يتخلق وعي الإنسان وتتشكل تجاربه عبر تماسه معها، فهو بذلك ليس وعاءً مجرداً لوقوع الحدث، أو حيزاً للحياة فحسب، بل صورة مهمة من صور وجودها، وهو يمثل في صيغ الأمثال ملمحاً لحضوره في السرد العربي القديم لتجسده عن علاقة إلفة واعتناء تمكنه من تشكيل وجه قريب من وجوه الحياة في الأدب، مثلما يشكل صورة الخبرة وبيان حضورها لما انطوى عليه من سمات وعي خاص، قائم على التجربة، تنظمه الصيغ وترتفع به، بتعيينه مرةً وترك التعيين أخرى؛ إن أبرز ما يصادفنا من أساليب احتضان المكان داخل صيغ الأمثال هو اعتماد الأماكن (المتعينة) والمثل من هذا الجانب يُعدّ وجهاً من وجوه الذاكرة التي نقع فيها على ما اندرس من أماكن أو تجارب أو ممارسات، مما يُهيء لاستعادته نمطاً حياتياً يقوم بالأساس على التشبيه بتجارب مستمرة، فالضفير، وشبيث والأحص، وبقة، ووادي عوف، وأماكن أخرى تستحضر بأسمائها وقد تختص الصيغة بوحدة من صفاتها، تشكل حضوراً معرفياً يكون عماد التجربة ومفاد مثلها، على العكس مما يُستحضر من أماكن غير متعينة، وإن اعتمدت الصيغة صفة من صفاتها، فالأرض، والطريق، والزبيّة، والبطحاء مواقع عامة تشير لانتباهة كلية، طبيعية في الغالب، مقترحة مجالاً دلاليّاً متسعاً كما في الصيغ الآتية:

١. أبقي من حجر.

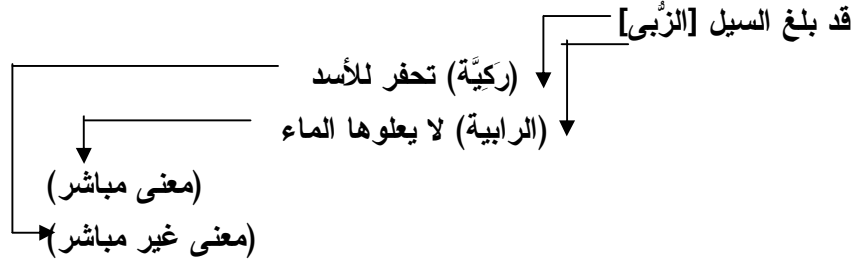
٢. أرض لا يطير غرابها.

٣. قد بلغ السيلُ الزبي.

الأولى بدلالاتها على البقاء، والثانية على الكثرة، والثالثة على بلوغ الأمر منتهاه.

إن تحديد دلالة الصيغة على الرغم من عدم تعيينها مكانياً يرتبط بالخبرة التي تتجاوز في بعض الأحيان تفسيرات كتب الأمثال، فإذا كانت الملاحظة تقوم في الصيغتين الأوليين على صفة محددة يضيؤها التفسير: (البقاء في الأولى، والكثرة في الثانية) فإن الصيغة الثالثة تستثمر صفة المكان متجاوزة مستواها اللغوي العام، إلى مستوى من الممارسة أكثر عمقاً، فـ (الزُبَيَّة) كما تُرى في كتاب (أبي فيد مؤرّج السدوسي):

((غير القُترة، الزُبَيَّة تُحفر للأسد فيُصاد فيها، وهي ركية بعيدة القعر، إذا وقع فيها لم يستطع الخروج منها لبعد قعرها))<sup>(١)</sup>، إن دلالة الصيغة على (بلوغ الأمر منتهاه) تقوم في كتاب أبي فيد على نوع (الزُبَيَّة) وأهميتها التي تميزها عن (القُترة والناموس والبُرأة) التي تحتقر على موارد الوحش (غير الأسد)، كأن السيل يمر بمصائد الحيوان جميعها ثم يصل الزُبَيَّة التي لا يبلغها لعمقها وبُعد موقعها غير السيل العظيم، بيد أننا نلاحظ في مجمع أمثال الميداني اعتماد أصل اللفظة في تفسير الصيغة ((هي حفرة تُحفر للأسد إذا أرادوا صيده، وأصلها الرابية لا يعلوها الماء، فإذا بلغها السيل كان جارفاً مجحفاً))<sup>(٢)</sup>، نحن إذن، أمام توجيهين، تفسيرين للصيغة يجمعهما الميداني ويكتفي أبو فيد بأحدهما، بما يفتح من دلالة اللفظة (والصيغة من بعد) على بُعدين من أبعاد المعنى: مباشر يتوخى معنى اللفظة، وغير مباشر يتوجّه لاستخدامها في مجال معيّن، كما نلاحظ على النحو الآتي:



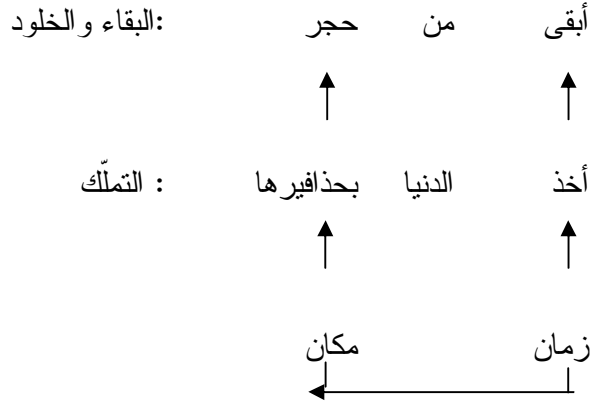
إن اعتماد غير المُتعيّن في صيغ الأمثال يُهيئ الصيغ للانتقال في تماسها من المكان أو المحيط بسعتيها وشمولهما إلى (الوسط) بارتباطه بالموضوع، وافتراضيته، ونظام عناصره الذي يُسهّم الزمان بإننتاجه. إن المكان يتشكل عبر

<sup>(١)</sup> أبو فيد مؤرّج السدوسي، كتاب الأمثال: ٤١.

<sup>(٢)</sup> الميداني، مجمع الأمثال: ٩١/١.

مجموع مكوناته التي تستثمر الصيغ خصائصها معلنةً رصيد أناسها من الخبرة والملاحظة، وقدرتهم على إعادة إنتاجها في صيغ مؤثرة، كما في الصيغة الأولى (أبقى من حجر) التي يتواشج كل من الزمان والمكان في فتح أفق دلالتها، إن البقاء والخلود يخترقان المكان لانتقاء علامته وتأمين رمزيته، وهو ما تتجزه بإيجاز بالغ صيغة (أفعل) التي تسعى إلى تعيين أنموذجها عبر عزله عما سواه، لتمثلي الصحراء بحكمة الحجر التي لا تعباً بالزمان، مشيرةً إلى مستوى من التلازم الفاعل بين كل من الزمان والمكان في إنتاج الصيغ وتنظيم مجالات دلالتها، فلم يكن الشعور بالظاهرة ليتجزأ إلى مجموعة من الملاحظات يمكن معها الفصل بين صيغ الزمان وصيغ المكان، فإن صيغة مثل (أبقى من حجر) تعتمد مثل هذا الترابط الزمكاني المبني على وعي التحول والثبات، ففي الوقت الذي تتغير فيه الأشياء بفعل الزمان يبقى الحجر بإشارته الواضحة ودلالته المكانية صورة للوجود الذي تبدو الحوادث عنه وهو ملموم.

إن الشعور بالمكان (المتعين منه وغير المتعين) ينتظم تحت منظور زمني تفصح عنه الصيغ وتؤمن حركة علامتها بما يُشير إلى نوع من القياس القائم على الربط بين المكان والزمان، وهو ما يُضيء أفق الصيغة ويجمع في محتواها الدلالي بين طرفي الفضاء كما في صيغة (أخذ الدنيا بحذافيرها)، فالدنيا امتداد زمني يُقاس في الصيغة بما هو مكاني (الحذافير: الجوانب والأطراف) موحداً أثر الفضاء في الصيغتين مع اختلاف محمول كل منهما:



وقد يمتد هذا التلازم في سبيل إضاءة حقول التجارب وميادين وجودها لا لنقلها نقلاً حرفياً إلى صيغ الأمثال، فقد تحضر الأشياء بأسمائها والأزمنة بمحدداتها لكنها، على الرغم من ذلك، تسهم بخلق فضاءها الخاص الذي يبدو فيه

كل من الزمان والمكان مرآة تعكس إحداها صورة الأخرى، ومناسبة تستتطق أثرها.

## الزمان في نصوص الأمثال: درجة الصفر (من زمن الرواية إلى زمن المروي)

تقوم البنية الزمنية في نصوص أمثال (المفضل الضبي) على درجة صفر معينة تعتمد النصوص بوصفها نقطة انطلاق السرد وبؤرة حركته، وهي تشكل المحور الأفقي للزمان الذي يؤكد موقعاً تتحرك منه النصوص وتوثق تجارب صيغها، إنه الموقع الذي يتخذ من (الاستهلال) مركزاً سردياً يُنظر من خلاله لمتنوع زمان نصوص الأمثال، وملاحظة محورها العمودي الذي يعمل على تنظيم ترانجية خاصة لزمنية نص المثل تقوم على سلسلتي الحوادث والصيغ، ينظم الاستهلال موقعاً أولياً لزمنيته بوصفها ((الطابع الذي يأخذه كل ما يتحقق في الزمان))<sup>(١)</sup> حسب تعبير جان بويون، لينظر عبر هذا الموقع من (حاضر) الراوي إلى ماضي ما يروي، معيّن تحققات أحداثه الزمانية وارتباط صيغ الأمثال بها أو انبثاقها عنها، إذ تقترح (زعموا أن) مستويين من الزمان - كما اقترحت من قبل نوعين من الارتباط بجهتي الاستهلال الـ (ما قبل) والـ (ما بعد) - يقوم الأول على تحديد موقع الراوي نفسه وهو يشكل حاضر النص الذي سيفتح عبر (زعموا أن) باباً للولوج إلى ماضي التجربة الذي يشكل باختلاف وقائعه المستوى الثاني للزمان، فالزمان كما يبين بول ريكور، لا يغدو زماناً إنسانياً إلا بتمفصله من خلال نمط حكائي معين، وإن الحكوي لا يكتسب دلالاته إلا ضمن الشرط الزماني الذي يتحقق من خلاله<sup>(٢)</sup>.

يعمل الاستهلال في نص المثل بتعدد مستوياته وأبعاده على إقامة نقطة يُستحضر فيها زما النص: زمن الرواية وزمن المروي، فجملة الاستهلال تتبني أساساً على فعل ماض يولد أفعالا ماضية تتعدد تعدد أحداث النص وتتوزع توزع صيغها، وعلى الرغم من وضوح هذا الماضي وقوة حضوره فهو لا يتجسد إلا من خلال موقع حاضر الرواية الذي لا يصرح النص به على نحو

(١) سعيد يقطين، قال الراوي: ١٦٠.

(٢) ينظر: نفسه: ١٦٤.

مباشر، فليس ثمة حلقة تسبق (زعموا أن) وتتهيء لها بصوت راوٍ معلوم أو غير معلوم، إلا ما يثبت السند في أول الكتاب من سلسلة ثلاثية يكون آخرها (المفضل الضبّي) الذي يقتضي نظام الإسناد أن ينطلق السرد، في كل نص لاحق، منه: (قال الطوسي: أخبرنا محمد ابن زياد ابن الإعرابي أبو عبد الله عن المفضل الضبّي قال)<sup>(١)</sup> من دون أن يحتكم هو نفسه لهذا الماضي، فقول المفضل في ختام سلسلة الإسناد يحيلنا إلى جملة مقول القول التي تتطلب صوتاً راهناً يروي نصوص الكتاب مثلما يُنسّق أحداثها وينظم وحداتها السردية، من هنا يتجلى دور الاستهلال في تثبيت (الماضي) عتبة لاستعادة رواية ما حدث، وما روي من قبل بزعم رواة عديدين يستهل المفضل الضبّي روايته بزمنهم الذي يستحيل بين يديه إلى زمن مروي بعد أن كان زمن رواية، ليتفرق زمن الاستهلال وهو يشكل درجة الصفر إلى خمس صياغات تقوم على تأمين مجال الفعل الماضي (التام أو الناقص) الذي يهيمن على استهلال نصوص المفضل جميعها وينظم صياغته على النحو الآتي:

١. زعموا أن + فعل ماضٍ تام (٤٥) مثلاً.
٢. زعموا أن + فعل ماضٍ ناقص (كان) (٣٠) مثلاً.
٣. فعل ماضٍ ناقص (٧) أمثال.
٤. فعل ماضٍ تام (٤) أمثال.
٥. أما الافتتاحية (٢) مثلاً.

يتوجّه السرد بعدها إلى العناية بالمحور العمودي للزمن لمعالجة الحدث بانحرافاته وتوقفاته في سبيل إضاءة صيغ أمثاله وتأمين مجال حضورها داخل النصوص، وبناءً على ما سبق تفتتح أحداث هذا المحور حركتها الزمنية ابتداءً من درجة الصفر التي يتصل عندها المحوران مكونين زاوية هي نظام الحركة الزمنية في نصوص أمثال المفضل الضبّي.

### الحلقة الزمنية الوسطى:

تتوجّه نصوص أمثال المفضل الضبّي لكشف تجارب صيغها وبيان وقائعها باعتماد (زمن داخلي) ينتظم على أساس ما يقترحه الحدث وما تتطلبه

(١) المفضل الضبّي، أمثال العرب: ٤٧.



التجربة، فالزمان من هذا الجانب، مكوّن سردي يخضع، أسوة بمكونات السرد الأخرى، لغايات النصوص وأهدافها ويتأثر، بما يُحدد له من موقع في العملية السردية، بسبل أداء النصوص وأساليب عملها، وهي تتوجّه، في الوقت نفسه، لإضاءة (زمن خارجي) تشير من خلاله لموقع الحدث في سلسلة لا نهائية من الأحداث، وموقع التجربة في سلسلة لا نهائية من التجارب، إن النصوص تُؤثر بانتظام زمنياً فتفتح مجال عملها والتوسيع من دائرة خبرتها، مُستعيدة تجارب بالغة القدم ومحاور أحداثاً لا زمان معلوماً لوقوعها، وعلى الرغم من توجّهها لتحديد مواقع حكاية لتجاربها في منحى الزمان التاريخي، فإن فاتحة زمنية مثل (في الدهر الأول) أو (في الجاهلية) تقوم مقام (كان يا ما كان) في الحكاية الشعبية وتعمل عملها، وهي تفتح لمروياتها مجالات زمنية لا نهائية تسمح لها بالحركة الحرة بين عالمي الحدث الواقعي والخيالي، بمعقولة الأول وإمكانية وقوع حوادثه، ولا معقولة الثاني واستحالة وقوع حوادثه، إنها تقترح بذلك مسوغاً لتجسيد الفضاء المستحيل، إذ يتفق سرد نصوص الأمثال مع الحكاية الشعبية في جانب مهم من جوانب الصياغة الزمنية لنصوصها وهو انحرافها عن تحديد مجال زمني معلوم في الوقت الذي يتطلب السرد ذلك، فهي غالباً ما تمتد خارج التعيين التاريخي مستبدلة معلومية الزمان بماضٍ مطلق وإن ارتبط في بعض الأحيان بمؤشر زمني:

شخصية أو حدث أو عادة متبعة، فيبدو (الزمن الخارجي) بناءً على ذلك ممتداً خارج حدود زمنية النص نفسه من دون أن يحقق حضوراً تاريخياً واضحاً. يمكننا ملاحظة تنويعات زمنية تقوم مقام حلقة وسطى بين جملة الاستهلال (زعموا أن) وأحداث نص المثل، وتؤدي دوراً خاصاً في تحديد تاريخ للتجارب والأحداث تتوزع على النحو الآتي:

١- في الدهر الأول:

المثل رقم (٣٣): زعموا أن قوماً كانوا في جزيرة من جزر البحر في الدهر الأول..

المثل رقم (٦٧): زعموا أن رجلاً مضى في الدهر الأول..

٢- في الجاهلية:

المثل رقم (١٧) كان مرباع مالك بن حنظلة في الجاهلية في زمان صخر بن نهشل بن دارم لصخر..

المثل رقم (٣٢) زعموا أن رجلاً في الجاهلية..

٣-فيما مضى:

المثل رقم (٨٨) زعموا أن أخوين كانا فيما مضى..

٤-طلوع الشمس وغروب القمر:

المثل رقم (٤٠) كان الناس يتبايعون على طلوع الشمس  
وغروب القمر..

٥-الوقائع والأيام:

المثل رقم (٢٧) وكان من أمر داحس وما قيل فيه من  
الأشعار..

المثل رقم (٤٥) زعموا أن سليحاً من قضاة وغسان  
احتربوا..

إذا ما استثنينا النموذجين الأخيرين اللذين يقومان على قياس الزمن التاريخي للنصوص على زمان بعض العادات التي كانت قائمة في وقت ما، أو على بعض الوقائع والأيام التي تعتمد في نصوص الأمثال بشكل خاص، وفي نصوص الأدب الجاهلي بشكل عام، بوصفها معالم زمنية يُحدد تاريخ حدث ما بحسب اقترابه منها أو ابتعاده عنها، فإن النماذج المتبقية تثير عدداً من الأسئلة تتوجّه جميعها للاستفهام عن الخصوصية الزمنية لأحداث نصوصها، وتاريخية هذه الأحداث التي يمكن أن تضاع بجمل مثل (في الدهر الأول) أو (في الجاهلية) أو (فيما مضى)، التي تتطلب أن يكون الدهر دهوراً مقسمة في الأولى، والتي تحدد موقعاً جاهلياً للمثلين (١٧) و (٣٢) وحدهما في الثانية، في حين تعمل الجملة الثالثة على النظر إلى ما مضى من دون أن تحدد تاريخاً واضحاً يعضد أحداثها غير ما ينم عنه النص من ماضٍ أسطوري في إشارته لمرحلة خاطب الحيوان فيها الإنسان وتقاسم معه الأمن والثروات.

وتلاحظ معادلة الاستخدامات المذكورة في بنيتها اللغوية — (الظروف المبهمة) التي لا تشير على الرغم من وظيفتها الزمنية، إلى وقت معلوم فهي تمتد للدلالة على (قدر من الزمان غير معين نحو: أمد، وأبد، وحين، ووقت، وزمان)<sup>(١)</sup> مما يوسع من تجارب الأمثال ويفتح نصوصها على مدى زمني

(١) الشيخ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية: ٤٥/٣.

تتقاطع فيه مع قصص العربي الأولى التي تكشف بواكير خبرته.

إن التنويعات الزمنية السابقة لا تشكل أفقاً تاريخياً يُضاء معه (الزمن الخارجي) لنصوص الأمثال بقدر توجهها لإنتاج حلقة تتوسط بين الزمنين المعالجين في المبحث السابق (زمن الرواية/ زمن المروي)، وتستمد من الزمان التاريخي أهميتها من دون أن تعين مرحلة معلومة لوقوع أحداثها، إن النصوص تبذر بتنويعاتها تلك بذرة زمنية تقوم على ما يقترحه زمان الواقعة من إشارات قد تبتعد حتى (الدهر الأول) أو تقترب مقترنة بزمن عادة أو تقليد، على الرغم مما يكون بين (الدهر) و (الزمان) في العربية من مشكلة واتفاق<sup>(١)</sup>، لتوفر فضاءً قادراً على إضاج البذار الزمنية للتجربة التي تتطلب كما يقدم مفتاح الحكاية الشعبية مدى زمنياً شاملاً تستعاد فيه الحوادث والتجارب وتستتبط المواعظ والحكم، إن دور الحلقة الوسطى يقوم بالأساس على تهيئة المجال للزمن الداخلي، زمن النص الذي يتشكل كما تقدم بانتظام الحوادث والصيغ على المحور العمودي.

### الزمانية والسببية:

إذا كانت الزمانية، بحسب ما تقدم، هي الطابع الذي يأخذه كل ما يتحقق في الزمان، فإن النصوص السردية تقترح طرائق متعددة لانتظام زمنيتهما وتوجيه عناصرها وهي تسعى لتقديم ترتيب مقنع لأحداثها، فتعمل في سبيل ذلك على توفير سمتين تناط بهما على نحو مباشر مهمة ترتيب الأحداث وانتظامها في نسق مُعين هما الزمانية والسببية<sup>(٢)</sup> يصعب أن تتواشج الأحداث ويمتد الحكي من دون توافرها فإن ((الحكي لا يكتسب دلالاته إلا ضمن الشرط الزماني الذي يتحقق من خلاله))<sup>(٣)</sup>، وهو يُنشئ عالماً يتجسد ويرتقي بما يتجلى فيه من حضور للسمتين السابقتين، وما يؤثرهما السرد به من فاعلية تميز النصوص عن بعضها وتمنحها أهمية متفاوتة.

ومن المهم ملاحظة طبيعة التفكير الزماني في المرحلة التي نهضت نصوص الأمثال على كشف تجارب أناسها والاستعانة بنمط خبراتهم في توفير مادة سردية مناسبة لإنتاج صيغها، فالزمن كما يُستدل عليه من انتباهات الشاعر الجاهلي

(١) ينظر: د. محمد أحمد الشحاذ، لغة الزمن ومدلولاتها في التراث العربي: ٤٦.

(٢) ينظر: روبرت شولز، السيمياء والتأويل، ت سعيد الغانمي: ١١٠.

(٣) سعيد يقطين، قال الراوي: ١٦٤.

زمنان: طبيعي واجتماعي، يتصل الأول بحركات الكواكب وتغير الليل والنهار فهو زمن عياني يقوم على ما تتطلبه الطبيعة من ارتباط وما تقتضيه من ملاحظة تتغير بتغير الموقع الجغرافي ونوعية الحياة، ويتصل الثاني بالمتغيرات والثوابت التي توجد داخل الزمن السابق كالناس والملوك والوقائع، فهو زمن حدثي يتميز عن الأول بعدم ثباته وشدة تماسه مع حياة الإنسان وواقع تجاربه<sup>(١)</sup>.

ويمكن تلمس أثر طبيعة التفكير الزماني على النصوص وهي تعمل على ربط إشارات زمنها الداخلي بالزمين الطبيعي والاجتماعي اللذين يكتنفان نشاط إنسانها ويبلوران، إلى حد، وعيه.

إن سؤال الزمان يفتح في نصوص الأمثال على حصيلة التجربة بين ماض زائل وحاضر مرصود ومستقبل متأمل، وقد تغيب الحدود وتماهى الأزمان في زمن واحد هو زمن التجربة التي يتخلق على أساسها السرد وينمو مشكلاً أحداث نصوصه، كما تقدم في الفصل الثاني، على وفق متواليات حدثية تقوم بالدرجة الأساس على حضور السمتين السابقتين: الزمانية والسببية وتعاضدهما إلى الحد الذي تؤدي معه كل منهما إلى الأخرى أو تشعر بهما، فالسببية تعتمد، في نصوص دراستنا على نحو خاص، عنصراً زمنياً يكون نواة لحركة زمنية في أفق السرد، مثلما تنطوي الزمنية على عنصر سببي يمثل علة لما بعده وسبباً موجباً يندفع معه السرد خطوة إلى الأمام، بناءً على هذا التصور يمكننا دراسة المظهر الزماني ضمن الحدود القصصية السابقة التي تجلت عبرها النصوص وتشكلت وقائعها كما يأتي:

١-الزمان في القصة أحادية الحدث.

٢-الزمان في القصة ثنائية الحدث.

٣-الزمان في القصة عنقودية الأحداث.

تنبغي الإشارة قبل التوجه لدراسة زمنية النصوص في محورها العمودي إلى أن كل متتالية حدثية تقترح بنيتها الخاصة التي يمكن أن تمتد امتداد النصوص، أو تكتمل مع متتالية محددة فتجاور بنية أخرى داخل النص، قد تحتوي العناصر نفسها بغير زيادة أو نقصان، وقد تزيد أو تنقص مع اختلاف

<sup>(١)</sup> ينظر: ت. ج. دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ت. محمد الهادي أبو ريدة: ١٥٣ ود. حسام الألوسي، الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم: ٥٥ وما بعدها.

نظام تشكلها الذي تتخلق بموجبه بنية زمنية جديدة.

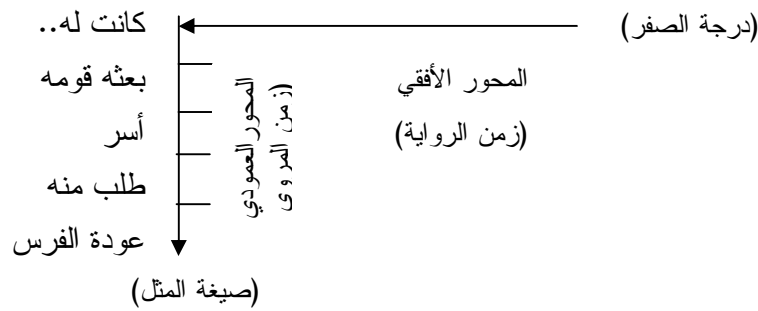
نلاحظ من القسم الأول (الزمان في القصة أحادية الحدث) نصي المثلين (٣٢) و (١) اللذين يقومان على متاليتين مختلفتين، تامة في النص الأول، ومزدوجة في النص الثاني وهما يقدمان أنموذجين زمنيين يعتمدان، أسوة بنصوص الأمثال، تضافر الأسباب والنتائج التي تتحدد معها بنية زمنية تامة في النص الأول، وتتجاوز في ظلها بنيتان زمنيتان، في النص الثاني، تختص كل منهما بمتوالية من متواليتي النص.

يستهل النص رقم (٣٢) حركته السردية بتنظيم محور أفقي يحتوي بالإضافة إلى درجة الصفر حلقة الوسطى مكوناً نمطاً زمنياً أنموذجياً يقتضي تحويلين: \*الأول: من زمن الرواية إلى زمن المروي: (زعموا أن) رجلاً (في الجاهلية).

\*الثاني: من زمن المروي (العام والمطلق) إلى زمن الواقعة: (في الجاهلية) (كانت له فرس...)

ليبدأ بعدها بناء زمنه عبر انتظام متتالية أحداثه في خمس انتقالات تتلائم فيها السببية والزمنية في تقديم محوره العمودي الذي يمتد بتطور الأحداث وتنوعها، وهو هنا يقوم على أساس بيان تجربة تشكلها متتالية تامة تقوم بإضاءة منحني زمني يعتمد، فضلاً عن تعيين الأولوية وأسبقية الوقوع، على اقتراح مساحة زمنية للأحداث ابتداءً من زمن الواقعة (الفعل الماضي الناقص وما يليه) حتى صيغة المثل التي تقوم مقام خاتمة النص<sup>(١)</sup>:

زعموا أن: رجلاً في الجاهلية

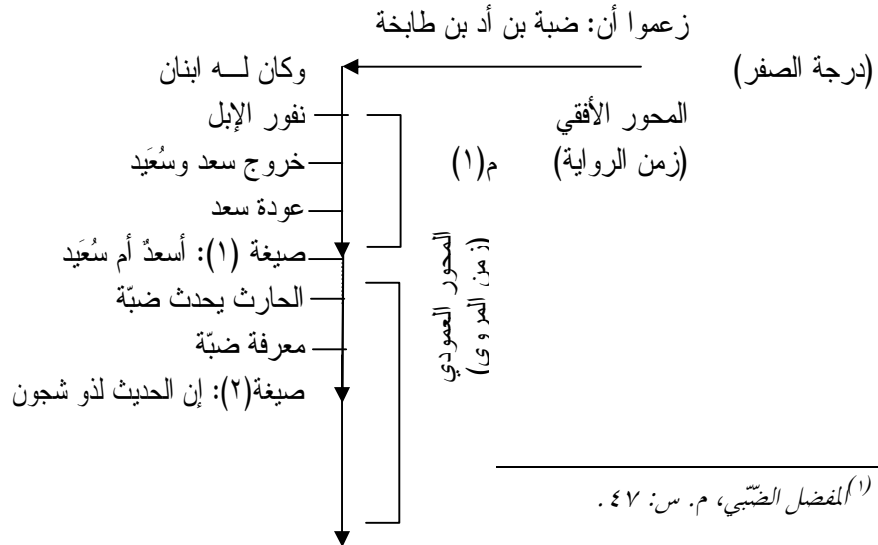


<sup>(١)</sup> المفصل الضبي، أمثال العرب: ١١٧.

عرفتني نسأها الله

أما في النص رقم (١) فإن توزيع الأحداث بين متاليتين يقدم أنموذجاً مختلفاً ينطوي على بنيتين زمنيتين تكفي كل منهما بنفسها، وتتصل اللاحقة اتصالاً سببياً بسابقتها، ويخضع المحور العمودي في مثل هذا الأنموذج لمجموعة من (الثغرات) التي لا يذكر السرد في نصنا ديمومة ما يسقط من زمن أو مدته، بل يعمل على تحديد موقعه فاصلاً بين بنيتيه ليقوم على تأكيد الحدث والربط بين عناصره مهما امتد الزمان بين أحداثه فجملته مثل (ثم أتى على ذلك ما شاء الله أن يأتي..) تعمق أثر البنية الأولى، وتفتح المجال، بما تفيد من ترتيب، لما بعدها من أحداث.

أما من جهة ما تختص به كل بنية من البنيات فنلاحظ انغلاق الأولى على (الليل) مجالاً زمنياً لا يُقاس باعتماد زمان طبيعي معلوم فحسب، بل يخضع لشعور متصل بالفقدان، فللزمان الشعوري دور في تأمين مظهر طبيعي واحد يضم البنية جميعها، بعكس البنية الزمنية اللاحقة التي تستغرق أحداثها زمناً أطول وتتفرق إلى أربعة مواقف هي: (السير، والتعرف، والقتل، واللوم) يضمها جميعاً زمن (الأشهر الحرم) من دون أن يحدد النص يوماً معيناً أو شهراً معلوماً منها، وهي سمة كثيراً ما تواجهنا في نصوص الأمثال، إذ إن ميل النص لانفتاح مجاله الزمني يتوجّه، فضلاً عن دلالاته، إلى التوسيع من مجال التجربة لتبدو صورة سردية لحياة أكثر مما هي تدوين آني لوقائع معلومة، يمكننا أن نتأمل المخطط الزمني لنص المثل السابق كما يأتي<sup>(١)</sup>:



م(٢) — قتل الحارث

— اللوم

صيغة(٣): سبق السيف العذل

تُقدِّم المتوالياتان، كما قدمت متوالية النص السابق، واحدةً من السمات الأساسية في زمنية نصوص الأمثال وهي المعالجة الحركية للزمان، إذ إن هذه النصوص تعمل على تعيين تغيرات زمنها من خلال تغير الأفعال نفسها، وهي ملاحظة يمكن أن تشير لمستوى أولي في التعامل مع الزمان داخل النص السردي، فهو لا يُمنح من الخصوصية ما يُضيء تفاصيله المختلفة، بل يُقدِّم، في هذا النوع من النصوص، بوصفه نمطاً حركياً يساعد على دوران عجلة السرد وينبثق عنها، فإن أفعالاً مثل: نفر، خرج، عاد، قُتل، تنظم ترتيباً يُعين الدارس على ملاحظة التغيرات الزمنية للحدث، على الرغم من اعتمادها جميعاً صورة الفعل الماضي فالترتيب هنا يُنشئ نوعاً من التلازم الزماني الذي يمد النص بالفاعلية الزمنية لأحداثه، وهو ما يُلاحظ بوضوح على (الزمان في القصة ثنائية الحدث) التي تقوم بالأساس على العناية بزمان أحداثها وتحديد المنحى الطبيعي لها مرتفعةً بمستوى تعاملها مع الزمن، فإن اعتماد حدثين مختلفين من منحى حياة الشخصية يتطلب إجراءً زمنياً قادراً على احتواء هذين الحدثين والمؤلفة بين عناصرهما فضلاً عن اعتماد مسوغ محدد يكون بمثابة النول الذي تلف عليه خيوط السرد، من هنا يمكن ملاحظة حضور أكثر وضوحاً للزمان الطبيعي الذي يتحرك داخله حدثا النص الأساسيان، ويهيئان المجال للأحداث الصغيرة (التتويج) للظهور والمشاركة بإدامة أفعال السرد. إن نصوص أمثال أم خارجة، والسليك بن السليكة، وجارية بن سليط، ولقمان بن عاد، وطرفة بن العبد تعنى بزمان أحداثها عناية تمكنها من المؤلفة بين الوقائع المعتمدة في النص من جانب، وتوجيه ما تنطوي عليه من صيغ توجيهاً يتناسب مع موقع الحدث وأثره في منحى حياة الشخصية من جانب آخر، وهي تعتمد في سبيل ذلك ما يمكن أن تسميه (المؤشر الزمني) الذي يمكن أن يكون مكاناً أو واقعةً أو حدثاً، لكنه يتوجّه لأداء وظيفة عمادها الربط الزمني بين العناصر وخلق فضاء لانتظام وحداتها القصصية كما في نصوص الأمثال (١٠) و (١٩) و (٨٧)، إذ يكون في المثل الأول زواج (أم خارجة) مؤشراً لحركة زمنية على الرغم من كونه صفة ميّزت الشخصية ومنحتها موقعاً خاصاً، نلاحظ طريقة

تعامل النص مع الموضوع على كشف بُعده الزماني ثانياً، فانتقال (أم خارجة) بين أزواج عدة يقتضي زمناً يقيسه السرد بما تلد لكل منهم (ولدت لعمر بن تيممة ثلاثة، وولدت لبكر بن عبد مناة ثلاثة، وولدت لمالك بن ثعلبة اثنين)، ويكون سوق عكاظ في المثل رقم (١٩) مؤشراً زمنياً يلتقي فيه (جارية بن سليط) امرأة ويواقعها ثم يتواعدان لرأس ثلاثة أحوال في عكاظ، فلا يكتفي (عكاظ) بكونه مكاناً لنشاط معين، بل يُسهم بثوابت زمنه بتحديد زمنية نص المثل وتعيين انتقالاتها، مثلما تكون حياة (طرفة بن العبد) في المثل رقم (٨٧) مؤشراً ترهّن به زمنية النص، فزمان النص، المذكور منه والمحذوف، يعمل داخل حدود حياة طرفة ابتداءً من استماعه للمتلمس وهو طفل يلعب مع الغلمان حتى نجاة المتلمس وقد أسنَّ يومها وهلاك طرفه، إن ترهين النصوص وإضاعة جانبها الزمني يتطلب تأمين مدى أكثر سعة لمواضيعها ليكون بمستطاعها تعيين زمنية النص بطريقة غير مباشرة تقترحها موضوعة (المؤشر الزمني) على اختلاف أنواعها وأساليب تجليها في النصوص، أو بطريقة مباشرة من خلال اعتماد لوازم الزمان الطبيعي وعناصره اعتماداً مباشراً، من دون أن يعني ذلك أننا سنكون بمواجهة زمن تفصيلي، تخضع فيه الأحداث لعناية زمنية دقيقة، لكن على الرغم من ذلك يبدو الزمان في هذه النصوص أكثر وضوحاً وأشد ارتباطاً بالأحداث مما هو عليه في سابقتها.

تقوم درجة الصفر الزمني في نص المثل رقم (١٣) وهو يعتمد بعض تجارب (السليك بن السلكة التميمي) على تقديم مستوى أفقي يتسع لعدد من الصفات والخصائص التي تهيء لحضور الشخصية داخل نص المثل، من دون أن يحدد جانباً معيناً من الصفات فهو يجمع بين صفات الفروسية (أحد بني مقاعس، من أشد فرسان العرب، أنكرهم، أشعرهم) والصفات الجسدية (كانت أمه سوداء، يدعونه سليك المقانب، والمقنب ما بين الثلاثين والخمسين، وصفات الصعلكة (أدل الناس بالأرض، أجودهم عدواً، لا تعلق به الخيل) في مقام واحد، بالإضافة إلى ملفوظ الشخصية الذي تمنح معه حضوراً مهماً تتكرر صيغة الاستهلال (زعموا أن) فيه مرتين، تتوجه الأولى لتعيين زمن الرواية والإعداد لزمن المروي الذي يفتح بملفوظ الشخصية نفسها، لتستمر بعدئذ حركة المستوى العمودي بانتقالاتها الزمنية المختلفة، مؤشرة في كل انتقال منها مظهر الزمان الطبيعي المرتبطة به، ومن المهم الإشارة إلى مستوى من التلازم الحاصل، في هذا النوع من النصوص، بين الحدث وزمان وقوعه، نظراً لما يتطلبه الموضوع (حياة الصعلكة وغاراتها) من



استغلال لظروف مناخية يصادفنا في حدثي النص منها (ليلة من ليالي الشتاء باردة مقمرة، مرّ على بني شيبان في ربيع والناس مخصبون في عشية فيها ضباب ومطر، انطلق وقد أمسى وجنّ عليه الليل) التي يمكن أن توميء لقابلية النص السردي على استيعاب التجربة وتهيئته اشتراطات أحداثها في سبيل خلق تباين ملموس بين نص وآخر يعتمد بالأساس نوعية التجربة ونمط أحداثها. يمكن أن نلاحظ مخطط النص على النحو الآتي:



ونلاحظ في القسم الثالث (الزمان في القصة عنقودية الأحداث) قدرة نص المثل على الارتفاع بفاعلية الزمان فيه وتحقيق مستوى من الانتظام الناتج من تشكيل حلقات النص ومتتالياته التي لم تعد تخضع، في الغالب، لاشتراطات

موضوعية معينة، بل إنها تلتقط من بين تجارب شخصياتها وأنماط وجودها مواقف يدخل فيها عنصر التتابع الزمني مرتقياً خلال حركات الحوادث والمواقف، وفي كل صورة منها بحسب تعبير د. عبد المجيد عابدين لفظ يُعين على هذا الترقى الزمني، الذي يتعدى مؤداه ما يشير إليه د. عابدين من مدلول لفظي<sup>(١)</sup>، إلى الإسهام بإنجاز انتظام أكثر وضوحاً يلمع باتساع حلقاته للزمان بوصفه فعل تراكم نوعي يستند إلى رصيد النص من تجارب شخصيته ومقدار التباين والتنوع بين تجربة وأخرى. إن الزمان في هذا القسم لا يحافظ على انتظام سلسلته وتتابع حلقاتها، كما في القسمين السابقين، مهما امتدت بينها الساحة المغفلة متوجهاً لإنتاج زمنيته بوصفها تعييناً جدلياً للوقائع والتجارب والأحداث، مرتفعاً عن زمنية الفرد التي تبدو معياراً لنصوص الشخصيات إلى تواسج حيوات يلاحظ بأوضح صوره مع النصوص التي تستفيد من رصيد حوادث أيام العرب ووقائعها، حيث تشهد العوالم الزمانية والمكانية التي تقع فيها الأفعال انفتاحاً ملموساً، مثلما يشهد الانتظام (الأكرونولوجي) للزمان هزات واختلالات تسهم بإضافة خصيصة سردية لهذا القسم من النصوص، وتعين أثراً مهماً لحركة الزمان في نصوص السرد العربي القديم، بعد أن عملت خلال قسميها السابقين على تهيئة المجال لمثل هذه التغيرات ابتداءً من التواتر الزمني للمتتالية التامة، ومروراً بالانشغال بالزمان بوصفه نمطاً حركياً تلتقط تغيراته عبر تغير الأفعال أنفسها في نصوص المتتاليات المزدوجة، إلى اعتماد المؤشر الزمني بمختلف أنواعه للإفصاح عن أثر الزمان وصولاً لانفتاح زمنية النصوص بوصفها فاعلية خاصة تسهم إلى حد بعيد بتحقيق مستوى من التنوع في سردية نص المثل.

تجتهد النصوص عنقودية الأحداث في تنظيم وحداتها متقلبة من خبر إلى آخر بمسوغ صيغة المثل التي تعدّ بالأساس مسوغاً لتأليف كتبها، إذ تهيء فاعلية النظام السردية وهي تحقق زمنيته انتظاماً أمثل لنصوص كتاب (أمثال العرب) التي انشغلت انشغالاً كلياً بإعادة إنتاج أخبارها على وفق مقتضيات أسهمت إلى حد بعيد بإنتاج أدبية نص المثل التي تتجاوز (هيكل البنية كانتظام إلى فاعليتها الخاصة)<sup>(٢)</sup>، ومن ثم إلى كشف خصوصية موقعها وتعيين أهمية

(١) ينظر: د. عبد المجيد عابدين، الأمثال العربية القديمة: ١١٠.

(٢) د. يحيى العيد، فن الرواية العربية بين خصوصية الرواية وتميز الخطاب: ٩.

حضورها في أفق سردي غير محدود، فالزمان في القصة عنقودية الأحداث يخضع لمستوى أوضح من الاستجابة والتغيير، فهو يستجيب بما يُرى على وحدثاته من تنوع أو تراتب أو تقديم أو تأخير لإيعاز السرد الذي يعمل على الارتفاع بنسائجه النصية باقتراحه طرائق وصياغات يشهد فيها الزمان تغيرات مختلفة متأثراً بأهداف التأليف وغاياته التي تتحرف في كتاب المفضل الضبّي عن التدوين التاريخي العام أو السيربي إلى تحقيق نوع من خصوصية التجربة التي يكون بمقدورها الارتفاع ركناً أولياً من أركان السردية العربية.

نلاحظ من بين أنساق الأداء الزمني سيادة نسق (التراتب) على ما يمكن أن يتبع من أنساق بناء الزمان في نصوص الأمثال ذوات الأحداث العنقودية، لاعتماد هذه النصوص على نحو شبه كلي على نسق (التتضيد) في تقديم أحداثها والربط بين أخبارها، ولما يقتضيه هذا النسق من تراتبية معينة تنظم الأحداث في أسبقية نصية تختلف فيها مع نسق قريب آخر من أنساق البناء التقليدي هو (التتابع) لما يعنيه من استحضار الوقائع والأحداث بحسب ترتيبها الزمني، فلا تعتمد النصوص في الغالب في تقديم سلاسل أحداثها انتظاماً زمنياً معلوماً تتابع الحلقات فيه بحسب أسبقية وقوعها - وهو ما دفع كتب الأمثال اللاحقة سيما المجامع باجتهادها الموسوعي إلى دسّ حلقات خبرية لم تكن موجودة في كتب مرحلة دراستنا، لانفتاح هذا النسق واستعداده للتحوّل إلى منظومة حكايات عمادها صيغ الأمثال - إننا نكون مع تراتبية الأحداث إزاء أسبقية نصية تنظم فيها الإخبار تحت ظل شخصية معينة كما في نص المثل رقم (٦٢) حيث تنوزع منظومته الخبرية المكوّنة من خمسة أخبار إلى ثلاث حلقات زمنية على النحو الآتي:

- |  |                                 |
|--|---------------------------------|
| <p>١. خبر لقمان مع زوجته براقش: على أهلها تجني براقش.<br/>         ٢. خبره مع أخيه وولادة لقيم: هذا جرّ معروف<br/>         ٣. خبره مع لقيم ← السير بالليل والسير بالنهار<br/>         لقيم يسبق لقمان: ذنب صحر...<br/>         ٤. خبر آخر مع لقيم ← الغزو في البرد<br/>         بعد أن شب لقيم: كأن برحل باتت<br/>         وبرحلها باتت لقمم<br/>         سارا فأغاراً فأصابا إيلاً<br/>         أشبه شرح شرجاً لو أن أسيمرا</p> | <p>حلقه (١)</p> <p>حلقه (٢)</p> |
|--|---------------------------------|

حلقة (٣) ٥. خبره مع ابن بيض التاجر: سدّ ابن بيض الطريق.

تتباين الحلقات تبعاً لمحمول أخبارها فيتسع أفق زمنها أو يضيق من دون أن تحقق صلةً معنويةً ملموسةً بين أخبار كل حلقة من حلقاتها، إن عنقودية الأحداث تتطلب نوعاً من التوالي الزمني لوقائع كل حلقة، كما تتطلب نوعاً من الانفصال، فكل حلقة من الحلقات الثلاث تتعلّق على تفاصيل وقائعها لتتنظّم بعدد في (تراتب) زمني مع الحلقات الأخر فتبدو شخصيات مثل: براقش، لقيم، ابن بيض التاجر، سمات لحقات متعينة مركزها (لقمان بن عاد) الذي يقوم التدرج الزمني للنص على أساس بيان تجاربه، على عكس النصوص التي تفيد من أيام العرب ومجريات وقائعها، فهي تعتمد على رصيد جماعي من التجارب وإن انضوت جميعها تحت مسمى معين (شخصية: كليب، جذيمة، داحس، حليلة، أو موقع: القسطل، عين إياغ، ذي حُسي، الفروق) بما يُهيء مجالاً أنسب لتتابع النصوص باعتماد وحداتها [السبب — النتيجة] نظام حركة وأسلوب تدرّج زمني للأحداث حيث يتماهى الزمني مع الموضوعي فيغدو الثاني دليلاً على حضور الأول، وقد يغزو سببٌ واحدٌ يُقدّم في مفتتح النص مسؤولاً عن عدد كبير من النتائج التي يجتهد النص في التقاط اشتجارها بين شخصيات تتوالد تبعاً لدوران عجلة الأحداث، الأمر الذي منح هذا القسم من النصوص إمكانية التنويع الزمني بما يلمس على بعضها من تقديم وتأخير يحقق السرد فيه واحداً من تغيرات المهمة وهو يعمل على خلخلة نسق بناء الزمان كما في النص المثل رقم (٦٠) الذي يمكن ملاحظة انتظام حلقاته الزمنية على النحو الآتي:

- |  |           |
|--|-----------|
| ١. خبر ابنة الزباء.  | حلقة (١-) |
| ٢. خبر حصارها دومة الجندل: تمرّد مارد وعزّ الأبلق.               |           |
| ٣. خبر جذيمة الأبرش وطلبه الزواج منها: لا يُطاع لقصير رأي.       | حلقة (٢)  |
| ٤. خبر مضي جذيمه إليها: وإنها لا يُشق غبارها                     |           |
| ببقة صُرم الأمر<br>أشوار عروس ترى<br>لا يحزنك دمّ هراقه أهله     |           |
| ٥. خبر تجاه قصير: يا ضلّ ما تجري به العصا.                       | حلقة (٣)  |
| ٦. خبر عمرو بن عدي اللخمي خليفة جذيمة وطلب الثأر من ابنة الزباء. |           |

خير ما جاءت به العصا

أمنع من عقاب الجو

فأعني وخالك ذم

لامر ما جدع قصير أنفه

حلقة (٤)

بيدي لا بيديك يا عمر

٧. خبر إعجاب جذيمة بعدي بن نصر وتوليته كأسه وإعجاب رقاش أخت جذيمة به.

٨. خبر ولادة رقاش غلاماً سمته عمراً.

٩. خبر استطارة الجن لعمر: أُعطي العبد كراعاً فطلب ذراعاً.

١٠. خبر عودة عمرو لأمه: شبَّ عمرو عن الطوق

وإقامته مع خاله إلى أن خرج إلى ابنه الزبَاء.

حلقة (١)

تتنظم زمنية النص المركزية عبر الحلقات (٢، ٣، ٤) وهي تمثل مجموع أخبار جذيمة الأبرش في علاقته بالزبَاء (أو ابنتها) وطلبه الزواج منها حتى مقتله في الخبر رقم (٦) وظهور شخصية عمرو بن عدي اللخمي خليفة له ومطالباً بثأره من ابنه الزبَاء. مما يتطلب الملاحظة هو التأطير الزمني للحلقات السابقة بحلقتي ابتداء واختتام تحملان الرقمين (١-) (١)، إذ إن نص المثل يُفتتح بمنظومة خبرية صغرى تضم بعضاً من أخبار الزبَاء التي يختلط فيها التاريخ بالأسطورة<sup>(١)</sup> في إعداد النص لوقائع الأخبار اللاحقة التي تغيب فيها الملامح التاريخية لشخصية الزبَاء وتستحضر السمات الأسطورية، إن الحلقة (١-) تعمل على التقاط شذرات من زمن خارجي لا يمت إلى حدث النص المركزي بصلة مباشرة وإن عمل على تجسيد شخصية (الزبَاء) وتهيئتها لدخول نص المثل بأحداث عظيمة (شق الفرات، جعل الأنفاق بين مدينتها، الغزو والقتال، حصار مارد حصن دومة الجندل، والأبلى حصن تيماء) لتتسلسل الحلقات بعدئذ تبعاً لإزمان أخبارها مؤثرة خلق المجال الأنسب لانتظام سرديتها فلا تكتفي زمنياً بأن يسبق الأول فيها الثاني، بل تحمل السابق بذرة اللاحق معمقة الوشائج بين الحلقات وصولاً إلى الحلقة رقم (١) – التي تعدّ نصياً الحلقة رقم (٥) – وفيها يتم الرجوع إلى ماضٍ لم يُذكر من قبل، لنكون بذلك

(١) ينظر: د. جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٤٢/١.

إزاء نوعين من الاسترجاع، الأول استرجاع خارج نصي يتضمن استعادة معلومات عن شخصية (الزّباء) لا تتعلق على نحو مباشر بأحداث النص، وهي ترتبط على الرغم من ذلك بصيغة مثلها (تمرّد مارد وعزّ الأبلق)، والثاني استرجاع داخل نصي يُستعاد فيه ما أُسقط سابقاً من أخبار شخصية (عمرو بن عدي اللّخمي) ومنحه من ظلال الأسطورة بعضاً مما مُنحت (الزّباء) فقد استطارته الجن فلم يُحسّن، ربما ليعادل في حضوره حضور (الزّباء) التي ظلّ زمنٌ أخبارها مترجماً بين حقيقة وخيال.

### المكان في نصوص الأمثال:

عالجنا في القسم السابق من الفصل موضوعة (الزمان) في صيغ الأمثال ونصوصها في محاولة للنظر إلى قابلية هذه النصوص على تنظيم عناصرها وهي تستعيد عبر منظومتها الخبريّة تماسّ صيغها مع تجارب معيّنة، مدرّكين أهمية (الزمان) وخصوصية إسهامه في وعي النصوص لعوالم تجاربها من جهة، وفي إسهامه، عنصراً مؤثراً، بتشكيل نسائجها السردية من جهة أخرى. وإذا كانت معالجتنا لموضوعة (الزمان) في نصوص الأمثال قد انطوت على رغبة مفادها إضاءة دوره في تجلية العملية المنتجة للنصوص، فإن هذه المعالجة تظل قاصرة عن الإحاطة بدور عنصر معيّن في حال توجيهها لعزل هذا العنصر عن سائر العناصر التي تنتج بتواشجها نسائج النصوص، لا سيما العناصر التي تحقق عبر تلاحمها بعناصر مجاورة مجالا واضح الأثر في تأمين الخصوصية السردية لنصوص الأمثال، والزمان من بين هذه العناصر بما يُقيمه مع المكان من صلة تبدو بأشد صورها تقارباً في نصوص الأمثال وهما يحققان حضوراً مؤثراً (للفضاء) الذي يمثل فاعلية اتصال بين العنصرين. إن المعاينة المنفصلة لكل منهما إجراء تقترحه الدراسة في سبيل استكناه إمكانية كل عنصر على حدة ومقدار استجابته لفاعلية الترابط والاتصال بينهما بما يدفع الفضاء للانفتاح عبر وعي هذين العنصرين و((تبعاً لعوامل عدة تتصل بالرؤيا الفلسفية وبنوعية الجنس الأدبي وبحساسية الكاتب.. ليشمل أشياء متباينة ومتعددة))<sup>(١)</sup> تكون عماد عالم الأمثال ومظهر تجليه. وإذا كانت دراسة المكان قد اتسعت في ميدان النقد وتحليل النصوص منذ زمن ليس بالبعيد محاولة رصد

<sup>(١)</sup> منيب البورمي، الفضاء الروائي في ((الغربة)) / الإطار والدلالة: ٢١.

شعريته وبيان مدى إسهامه في تشكيل نصوص الأدب، مستفيدةً من مشارب واتجاهات مختلفة، فإن دراستنا للمكان في نصوص الأمثال تتأسس على النقطتين الآتيتين:

الأولى: نظراً لما تمثله مرحلة إنجاز نصوص الأمثال بين مراحل السرد العربي من أولية فنية لم تخضع خلالها لتعقيد نسائها عبر بلورة مختلف عناصر العملية السردية، فإن المكان فيها لا يتطلب، في الغالب، حضوراً خاصاً، قائماً بذاته أو متصلاً بعناصر أخرى، ولا يؤدي مهمات تزيينية أو تفسيرية تقيمها أنشطة وصفية في مقاطع مستقلة إلا في مواقع محددة تعتمد نصوص (أمثال الشخصيات) على نحو خاص، إذ يُكتفى في سبيل تجليته بإشارات وتلميحات تدخل في لُحمة النص وتسهم على نحو مباشر بخلق فضاء أحداثه.

الثانية: تسهم الفاعلية الاستعارية للأمثال عبر خصوصية علاقتها بأوساط أحداثها/ مراجعها الواقعية، بتوجيه إشاراتها المكانية، على الرغم من عدم اختصاصها في غالب الأحيان بمقاطع مستقلة، توجيهها قادراً على كشف ((الطابع الثقافي العام الغالب))<sup>(١)</sup> في عصر وقوع أحداثها، بما تسميه (جوليا كرستيفا) (إديولوجيم) العصر (idéologème) ليقوم التعبير عن المكان، عندئذ، على ممارسة سيميائية ((تستوعبها أو تحيل عليها، في فضاء ممارسة سيميائية خارجية))<sup>(٢)</sup>.

لم يكن المكان، على الرغم من إشارية حضوره، خالياً من التضاريس، لا يُشير لآثار الوقائع وظلال الدهر والإنسان، بل إن للنصوص من القدرة على تنويع فضاءاتها ما يدفعها للانتقال بأحداثها بين أماكن مختلفة: صحراوات وحواضر وأودية وجزائر، وإقامة ما يمكن من الصلة بين المكان وتغيّرات الأحداث وتحولاتها، وهي في سبيل ذلك لا تقف عند حدود المواقع العامة مكثفةً بسماتها الجغرافية بل تسعى لشمول تفاصيلها المكانية بإشاراتها بما يتوافق وفاعلية الحدث نفسه ويسهم بكشف جدل العلاقة بين إنسان المثل ومحيط حياته بمختلف مكوناته: السرحات والثنيات والعيون والأنفاق والأنهار والجبال

(١) د. حميد حميداني، بنية النص السردية: ٢٥.

(٢) د. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: ٤٢.

والحصون، إننا في أحيان كثيرة نكون إزاء (إشارة مكانية) تُلبّي حاجة النصّ وتشير بدرجة أو بأخرى لخصائص عالمه، وهي تعتمد في سبيل ذلك تنوعاً سردياً في التعامل مع المكان مضيئةً على إشارات أكثر ما يمكن من الخصوصية والحياة، فلا تتعامل نصوص الأمثال جميعها مع موضوع المكان بطريقة واحدة وأسلوب متشابه بل تغير بين مجموعة من النصوص وأخرى أساليب احتضانها للمفردة المكانية تبعاً لعلاقتها بالأحداث ومستوى تعبيرها عن محيطها، وهي تخضع لطريقتين أساسيتين تتمايزان تبعاً لدرجة حضور المكان في كل منهما بين التعبير المباشر والتعبير غير المباشر عنه ويلاحظ على الطريقة الأخيرة انقسام نصوصها في تعيين محيط أحداثها بين نصوص محددة مكانياً وأخرى يكون المكان فيها عاماً لا يخضع لتشخيص أو تحديد.

### ١. التعبير المباشر عن المكان:

يُقدّم كتاب المفضل الضبي (أمثال العرب) نماذج في التعبير المباشر عن المكان عبر اهتمامه بلفظة (مكان) على نحو خاص، كأنه يفصل من بين محيط وقائعه موقعاً خاصاً يمثل حيّز الواقعة ومركز أحداثها، وهو على الرغم من معالجته العامة لمكان فسيح تتصل عبر متتاليات أحداثه وحدات مكانية مختلفة يعمل على تخصيص موضع معين يكون مركز الفعل ووسط تجسده كما في الأمثلة الآتية:

\* مرا على سرحه<sup>(١)</sup> بمكان فقال له الحارث: أترى هذا المكان (رقم المثل ١ ص ٤٧)

\* فقال لأصحابه: كونوا بمكان كذا وكذا حتى آتي أهل هذا البيت (رقم المثل ١٣ ص ٦٣)

\* إن مفتاح القيد مدفون في مذود الفرس بمكان كذا وكذا (رقم المثل ١٧ ص ٨٣)

\* فما أظلم لقمان وهو بمكان يقال له شرج — وهو اليوم ماء لبني عبس.. (رقم المثل ٦٢ ص ١٥٤)

\* حتى إذا كنت بثينة بمكان كذا وكذا فاقطعها بأهلك ومالك (رقم المثل

---

(١) السرحة، السريحة: الطريقة الظاهرة الضيقة من الأرض وهي أكثر نباتاً وشجراً مما حولها.



٦٢ ص ١٥٥)

بما يفيد (التعيين) في سعي النصوص لتحديد مكان على وجه التفصيل يُلاحظ تقديمه مختصراً بجملة تكرر في مواضع متعددة (بمكان كذا وكذا) مع تغيير المناسبة واختلاف الحدث، وقد يتوجه النص لذكر مكان باسمه أو بعلامته (شرح، سرحة) ملحقاً بلفظ (مكان)، وقد يُخرق زمان النص تنبيهاً على صفة الموضع الجديدة بما يتقاطع مع ماضي الواقعة المعتمدة في نص المثل (وهو اليوم ماء لبني عبس)، إن لفظة مكان لا تختص بتوجه معين معلوم أو غير معلوم، ولا تعتمد في استخداماتها جميعها إضاءة موضع جغرافي بل تنقسم بحسب الوجهين الآتين موسعة من اللفظة ومساحة استخدامها:

(أ)	[	سرحة
		شرح
		ثنية
(ب)	[	مكان كذا وكذا
		في مذود الفرس بمكان كذا وكذا

إن ما يلاحظ على القسمين (أ) و(ب) هو اتفاقهما في التعيين النصي لمكان الحدث والتنبيه على موقع منه دون سواء، سواء ذكر هذا الموقع على نحو مباشر كما في (أ) أو ذكر على وجه الاختصار كما في (ب)، فإن ما يحدث في القسمين هو اكتمال معرفة الشخصية (داخل النص) بالمكان، فالنصوص تُقدّم عبر القسمين، فضلاً عن إمكانية الاختزال، أنموذجاً في التنويع السردى الذي لا يحتفظ معه قسماً تقديم المكان بأهمية متساوية، فإن نماذج القسم (ب) تظل مبهمّة إذا ما نُظر لها من موقع (خارج النص) وهي لا تساوي من حيث معلوماتية الموقع وسماته الجغرافية القسم (أ)، لتفقدنا مثل هذه الملاحظة في الإشارة لإمكانية التنويع والتغيير التي تنطوي عليها مختلف وحدات نصوص الأمثال وعناصرها، وهو ما لا يقف عند الوحدات الكبرى منها لما تتمتع به من دور كما مرّ بنا في فصل بناء الحدث، بل يؤكد حضوره داخل الوحدات والعناصر بغض النظر عن أهمية دورها وما تشغله من مساحة داخل النص، لتكشف واحدة من السمات الأساسية لنصوص الأمثال في سعيها لتنويع نسائجها السردية التي يمثل التجسيد المكاني بتباين حضوره داخل النصوص صورة من صورها المهمة.

## ٢. التعبير غير المباشر عن المكان:

تختلف هذه الطريقة عن سابقتها في كونها لا تشير لمكانية الموقع أو المحيط بل تسعى إلى استثمار إشارية حضوره مؤثرةً دمجها في نسيج النص وإقامة أوصاف صلة لها مع باقي وحدات النص وعناصره، إن مهمة التبليغ المكاني تبدو مع التعبير غير المباشر أكثر ارتفاعاً وأشد أهمية من الطريقة الأولى لما يتوخى فيها من أساليب تسهم بتعددتها واختلاف صورها بتوسيع حضور المكان في نص المثل، وهي تعتمد قسمين أساسيين يقومان على تحديد المكان أو عدمه هما:

أ – عدم التحديد المكاني.

ب – التحديد المكاني.

يتميز القسم الأول (عدم التحديد المكاني) بشموله وسعة حضوره في نصوص أمثال المفضل الضبي وهي تتوجه في الغالب إلى تأشير أماكن أحداثها عبر ما يلمس فيها من تغيرات الأفعال التي تقوم بالأساس على التحول والانتقال، فلا يخضع المكان في هذا القسم لموجّهات وصفية تستقصي عناصره وتكشف تفاصيله بقدر امتزاجه بحركة السرد ونظام أفعاله، لكن المكان على الرغم من ذلك يحظى بانتباه موضوعية (لا وصفية) يكون بمقدورها الإشارة إلى أبعاده الكلية، وبيان سماته العامة التي تطمح في معظم الأحوال لاستشراق محيط الحدث من حيث السعة والضيق، أو السهولة والصعوبة، أو الجذب والخصوبة بما يرتبط على نحو مباشر بالحدث ونظام تشكّله كما في المتتالية الأولى من المثل رقم (١) على سبيل الملاحظة:

((زعموا أن ضبة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن معد وكان له إبنان يقال لأحدهما سعد والآخر سعيّد، وأن إيل ضبة نفرت تحت الليل وهما معها، فخرجا يطلبانها، ففترقا في طلبها، فوجدها سعد فجاء بها، وأما سعيّد فذهب ولم يرجع، فجعل ضبة يقول بعد ذلك إذ رأى تحت الليل سواداً مقبلاً أسعد أم سعيّد فذهب قوله مثلاً<sup>(١)</sup>))، تتشغل المتتالية، والنص من بعدها، انشغالاً واضحاً بالمكان يكون عماده ما يتحقق من صلة بين المكان وتغيرات الأحداث: الخروج والنفور والرجوع وعدمه، فالعلاقة بين الوحدات الأربع علاقة مكانية

(١) المفضل الضبي، أمثال العرب: ٤٧.

تقوم على سعة المساحة التي نفرت عليها الإبل وتفرّق الأخوان في طلبها حتى غيبتهما تلك السعة في مجهولية حدثها — التي يعمل النص على تأجيل المجاهرة بها حتى متتاليته الثانية — يجدها الأول ويعود بها فيما يوغل الثاني بعيداً في مجهول النص ولا يعود، لتقوم الصيغة بعدئذ على مساءلة القادم من بعيد هذه المرة (أسعد أم سعيّد؟) والمكان في ذلك كله يؤكد ارتباطاً صميماً مع الفعل إذ إنه لا يتجلى من دونه، إن الفعل يمثل بطريقة ما (صفة) المكان وبيان تجسده، فإن تراتبية الأفعال في المتتالية تنظم نوعاً من التلازم في الإشارة لمكان وقوع أحداثها:

نفرت

خرجا

تفرقا

وجدها سعد ← جاء بها

ذهب سعيّد ← لم يرجع

وهي تشير، من ضمن ما تشير إليه، إلى (نوعية) غير مصرح بها للمكان بما يسهم على نحو جلي ببناء الحدث وكشف تحولاته، الأمر الذي تتساوى فيه الأماكن على الرغم مما بينها من تباينات مظهرية أو اختلاف في مستوى ارتباطها بالحدث كما في الأمثلة الآتية:

المثل رقم (٩): انطلق به سعد حتى إذا كان بباب بيته..

المثل رقم (١١): وجاء الصديق كعادته فوجد الزوج مضطجعاً بفناء البيت..

المثل رقم (١٥): فلم يزل ذلك الملك بمجاشع حتى أتاه بنهشل، فأدخله عليه وأجلّه..

المثل رقم (٣٣): زعموا أن قوماً كانوا في جزيرة من جزائر البحر في الدهر الأول ودونها خليج..

المثل رقم (٨٨): زعموا أن أخوين كانا فيما مضى في إبل لهما فأجدبت بلادهما، وكان قريباً منهما واد فيه حية قد حمته من كل أحد..

تلاحظ عمومية موقع الحدث بما يتجاوز حضوره المجسّد في أفق النص، لا فرق في ذلك بين بيت ومجلس ملك وجزيرة وواد إلا ما يكون بين المجردات

من تمايز واختلاف، إنها تُسهم جميعها بتعزيد الحدث بدرجة متساوية بوصفها حيزاً لوقوعه أو مجالاً يجترحه النص لتحقيق تمثّل سردي أنسب لوقائع صيغته، لكننا نجد في أمثال الشخصيات بشكل خاص تحولاً في التعامل مع المكان، وتبايناً في الكيفية التي يُشكّل بها حضوره داخل النصوص، فتبدو هذه النصوص صورةً لتواصل قسيمي الحضور المكاني المحدد منه وغير المحدد، وسمةً لقياس التعامل النصي مع المكان وهو يقترب من معالجة تأريخيته محاولاً الإحاطة بتفاصيله التي تؤدي فضلاً عن دورها التزييني مهمةً تفسيريةً ترتبط إلى حد بعيد بالمكانة الاجتماعية للشخصية ودرجة وعيها لخصوصية محيطها كما في النصوص التي تقوم على أحداث ترتبط بدرجة أو بأخرى بـ (النعمان بن المنذر) ملك الحيرة، وتتجسد في بلاطه:

المثّل رقم (٦): كان عند النعمان..

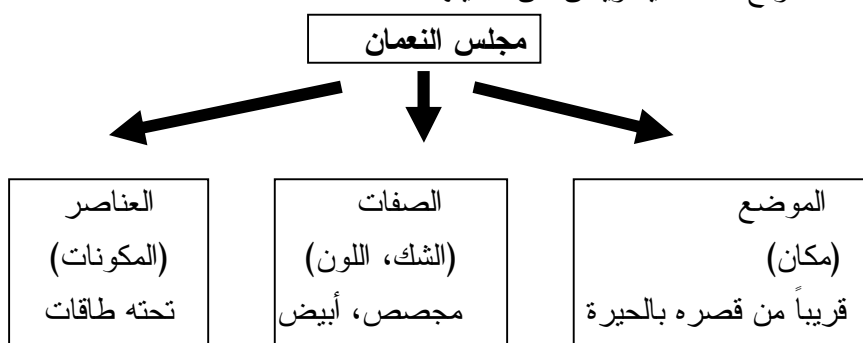
المثّل رقم (١٤): وكان النعمان بادياً..

وكان النعمان يجلس بالهاجرة في ظل سراقه..

المثّل رقم (٦٨): اتخذ مجلساً قريباً من قصره بالحيرة، فجعل تحته طاقات وجصه فكان أبيض، وكان المجلس يسمى ضاحكاً لبياضه.

يُلاحظ، بدءاً، مستوى من التدرّج في التعامل مع المكان يبدأ من المكان العام غير المحدد الذي يُستنبط استنباطاً، فإن شخصية تكون عند (النعمان) تقتضي تصوراً لبلاط يتناسب مع أهمية هذا الملك وسعة سلطته من جانب، ولمظاهر عصره العمرانية من جانب آخر، ليُسهم هذان الجانبان بتنظيم الإشارة المكانية وتوجيه حركتها داخل النص وخارجه، داخل النص عبر تعزيز نظامه السردية، وخارجه عبر إدراك أهمية المرجع التي لا تقوم نصوص الأمثال بغير تأمين صلتها معه، ليشكل النص عبر طرفي الفاعلية ممارسته السيميائية. بيد أننا مع المثّل رقم (١٤) نتقدم خطوة في استبصار علاقة معلومة بالمكان، فللملك عادات (مكانية) منها الخروج إلى البادية، ونصب السراق، أما في المثّل رقم (٦٨) فيحدث تحولٌ كامل نحو القسم الثاني: التحديد المكاني، إذ يُلاحظ اهتمام النص بالموقع والبناء الهندسي واللون فضلاً عن التسمية، إن

المكان يُحاط مع مفتتح نص المثل بعناية يُضاء فيها من (شجرة الوصف)<sup>(١)</sup> الوضع والصفات والعناصر، فيُدعم الحضور المكاني بحضور آخر (معنوي) يكشف موقع الشخصية ويُعلن عن أهميتها:



إن اعتماد المكان كما في مفتتح النص يُسهم بتحديد موصوفاته والإلماع لدوره في حركة الأحداث فهو يجيب عبر (الوضع) على السؤالية (متى وأين)، أما عبر الصفات والهيئات فيعتمد اتصاف الشيء بصفات تميّزه عن غيره، وينتقل عبر ذكر (العناصر) إلى مكوناته الصغرى التي أسمتها د. سيزا قاسم ((الموصوفات الثانوية الداخلية))<sup>(٢)</sup>، والنص عبر مباشرته بإضاءة مكانه وتلمّس تفاصيله يكون قد اختار مدخلاً جمالياً لموضوعه الذي يقوم على بيان سلطة (النعمان بن المنذر) وعزّه وتمايّزه إلى الدرجة التي يستحضر فيها بعضاً من شعر لبّيد بن ربيعة والأعشى في ذكر النعمان وفضله. وإذا كان المثل رقم (٦٨) يقوم على تجلية مكان محدد يمثل موقع الحدث ومركز تجسده فإن من نصوص الأمثال ما يقوم على تعدد الأماكن بتعدد أحداثه وتباين متتاليته كما في نص المثل (٨٧)، فهو على الرغم من اعتماد خبرين أساسيين يكونان سلسلة انتقالات أحداثه بين طرفي عُمر الشخصية (طرفة بن العبد) يعتمد عدداً من الوقفات المكانية بين خبر وآخر، ولعل من المهم ملاحظة تباين حضور المكان في كل من الخبرين، ففي الوقت الذي يكتفي الخبر الأول بمكان واحد يمتد الخبر الثاني بانتقالات أحداثه إلى أكثر من خمسة أماكن يُسهم كل منها ببلورة

<sup>(١)</sup> ينظر: د. سيزا قاسم، بناء الرواية: ٨٨

ومحمد سويرقي، النقد البنيوي والنص الروائي: ٩٦/٢.

<sup>(٢)</sup> د. سيزا قاسم، بناء الرواية: ٨٨.

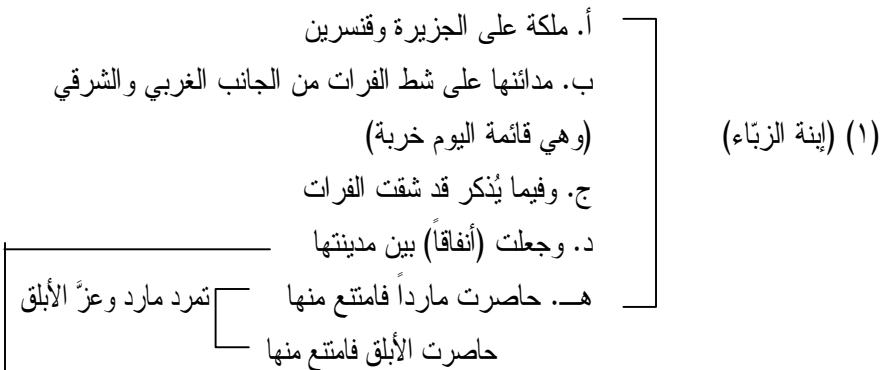
عنصر جديد يتواصل عبره مجرى الحدث وصولاً لاكتمال متتاليته الخبريّة،  
 كأن النص حين يُقدّم موقعاً مكانياً واحداً في خبره الأول يكتفي باسترجاع حدث  
 يقوم مقام النبوءة التي يتوجّه الخبر الثاني بتتابع أحداثه وتعدد أماكنه لرصد  
 تفاصيلها كما في التسلسل الآتي:

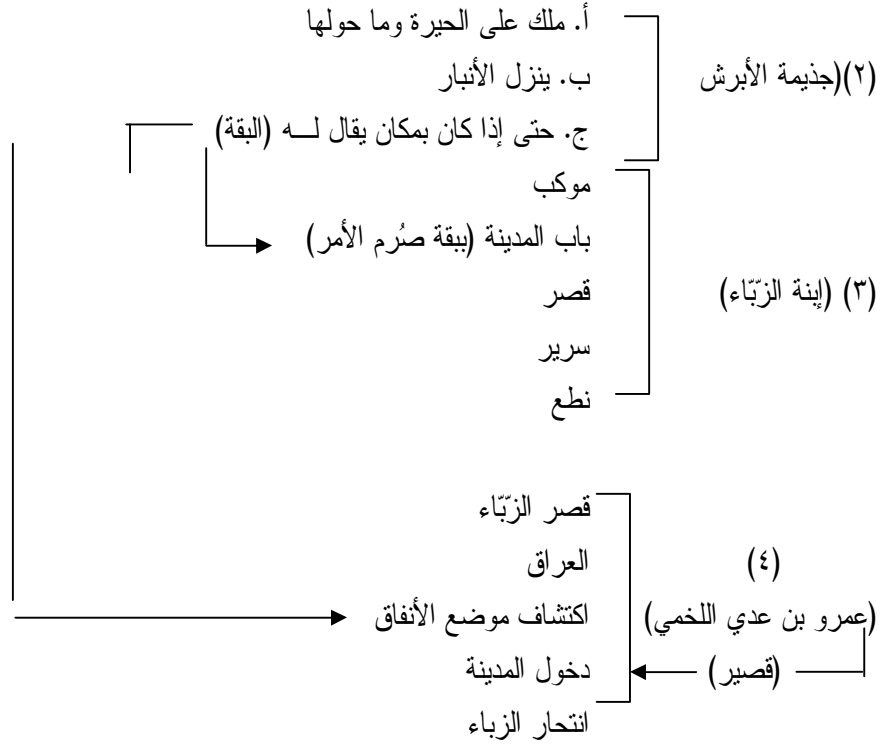
المتلمس يقف ذات يوم على (مجلس لبني قيس بن ثعلبة)	خبر (١)
طرفة يُقبل على (المجلس)	المكان: مجلس بني قيس
— ويل لهذا من هذا.	
المتلمس وطرفة يقدمان على عمرو بن المنذر فيجعلهما	خبر (٢)
في صحابة قابوس	الأماكن
قابوس شاب كثير اللهو والصيد	بلاط عمرو بن المنذر
طرفة يهجو قابوساً	موقع قابوس
عبد عمرو ابن عم طرفة ينشد عمراً هجاء طرفة (في الحمام)	الحمام
عمر يكتب إلى عامله على (هجر) بقتل المتلمس وطرفة	هجر
يمران على (نهر بالحيرة)	نهر بالحيرة
المتلمس يلقي كتابه في الماء ويأبى طرفة حتى أتى به	جفنة
عامل عمر فقتله	
المتلمس يلحق بملوك جفنة بالشام.	

وإذا كنا قد أشرنا لتمييز المكان ووضوحه في نصوص أمثال الشخصيات  
 فإن الذروة في التعامل مع المكان ووضوحه في نصوص أمثال الشخصيات فإن  
 الذروة في التعامل مع المكان في كتاب (أمثال العرب) تبدو جلية في نص (ابنة  
 الزبّاء) الذي يكاد يكون نصاً مكانياً بامتياز، إذ تتجلى فيه أكثر الصلات  
 وضوحاً بين الشخصية والمكان من جهة، وبين الشخصية والحدث من جهة  
 أخرى فيفيد نمط العلاقة الأول (الشخصية ← المكان) بخلق مجال خاص لا  
 يقوم على صلة حاضرة يعتمدها النص في سلسلة متتالياته حسب بل يتوجّه  
 للإحاطة بما يُمكن من ماضي المكان أو يمتد لمستقبله (وهو يمثل حاضر رواية  
 النص)، ليكتمل النمط الثاني من العلاقة: (الشخصية ← الحدث) بما يُنجزه  
 الأول من تجسيد فيبدو الحدث عندئذ عبارة عن مجموعة من النقلات المكانية

التي تؤمّن، بما يقوم بين وحداتها من نبوءة ورصد، أعمق اتصال ممكن.

إن الشخصية في نص المثل رقم (٦٠) تتجسد عبر مجموعة من العلاقات المكانية التي تتضح وتتضح ملامحها عبر تماسها معها فيكشف موقع الشخصية مثلما يلمع لتأريخيتها، فإن شخصيتي (ابنة الزبّاء) و(جنيمة الأبرش) تقدّمان بالاعتماد على هيمنة مكانية لا تكنفي بتحديد موقع جغرافي عام بل تسهم بمعالجة خاصة تميّز كل شخصية منهما (ابنة الزبّاء: مدائنها على الفرات، شقت الفرات، جعلت أنفاقاً بين مدينتها، حاصرت مارداً والأبلق) (جنيمة الأبرش: ملك الحيرة وما حولها، ينزل الأنبار)، إن التقديم المكاني للشخصية يقيم صلة واضحة بين سوابق الحدث ولواحقه فهو يرسم وحدات مكانية تسهم إلى حد بعيد بتمتين الوشائج السردية سواء ما استثمر منها بتطوير حدث معين أو ما اعتمد في إضاءة صيغة مثل، الأمر الذي يمكن ملاحظته في المجموعة الأولى من أخبار نص المثل (من الخبر رقم (١) إلى الخبر رقم (٦) التي تبدأ برصد أهمية ابنة الزبّاء، وذكر بعض أفعالها الجسام وتنتهي بحصار (عمرو بن عدي اللخمي) لها وانتحارها، لنكون داخل نص المثل إزاء حلقات مكانية تتصل مكونة سلسلة مديدة، واسعة المساحة، تستمد كل حلقة منها مركزها من حضور شخصية تتجسد الحلقة بالنقاط نشاطها المكاني الذي يميّزها عن شخصية أخرى ويسمح لها بالانتقال والتركيز من أماكن (خارجية) فسيحة ذوات سمات جغرافية متعددة إلى أماكن داخلية محددة المساحة ذوات سمات تكشف على نحو مباشر عن أهداف الحدث واختلاف محاوره كما في حلقتي (ابنة الزبّاء) الأوليين التي يسعى النص عبرها للإشارة إلى أهمية الشخصية وسعة نفوذها، والثانية التي ينحرف بها متابعاً دخول (جنيمة الأبرش) لقصرها وصولاً إلى مفردات مكانية مثل السرير والنطع تختتم حلقة وتسهم بتغيير مجرى السرد، كما في المخطط الآتي:





يعتني النص بالمكان أسوة بنصوص الشخصيات، متميزاً عنها بعدم اكتفائه بالملاحظة المكانية العامة، وباختلاف موقع كل من شخصيتيه الرئيسيتين مما منحه إمكانية الشمول والاتساع في المكان مثلما في الزمان، فالشخصية البطولية ذات الأثر الأسطوري تطبع الزمان بطابعها بما تتجز من أفعال مميزة مثلما تؤثر على المكان فيغدو صورة لقوة إرادتها، ومظهراً من مظاهرها؛ إن المكان يرتفع في نصوص القسم الأخير، على الرغم من إشاريّة حضوره ليمثل أنموذجاً كنائياً<sup>(١)</sup> يملك أن يُعبّر عن قدرة النصوص على الموازنة بين تطلّعها النصّي ورصدها لعوالم وقائعها، فيلاحظ اهتمامها بعناصرها السردية وعنايتها بمواقعها النصيّة وهي تعنى في الوقت نفسه بمراجع صيغ أمثالها.

(١) ينظر: محمد سويرقي، النقد البنيوي والنص الروائي: ٢/ ١٠٦.



\*\*\*

## الخاتمة ونتائج البحث

- سمات العناصر السردية.
- علاقة نصوص الأمثال بـ (فن الخبر).
- أثر حركة السياق الثقافي في نصوص الأمثال.



توجّهت الدراسة في طموحها بتأمل مسالك مضافة من ثراء أدبنا العربي، للتصدي إلى تراث الأمثال وهي تشكّل سفيراً مهماً من أسفار العربيّة، امتدت معالجته والتأليف فيه أكثر من عشرة قرون، أسهم فيها خيرة علماء الأمة وأدبائها، فكان بحق مرصداً من مراصد الحياة، مثلما قدّم في غنى مراحل تأليفه بانتقالها من التدوين العام إلى التنظيم الموسوعي والمعجمي صورة للعقل العربي وهو يلتقط سمات كل عصر وملامحه المنهجية ليُعيد من خلالها تنظيم رصيد الأمثال، وقراءتها قراءة جديدة، وهو وإن وُصِم بالشكّ ومجانبة الحقيقة يظل أشدّ وجوه الأدب صلة بالإنسان وهو يؤسس عبر تجاربه مع أخيه الإنسان نمطاً من الحياة، يكون بمستطاع الأمثال القبض على جوهره وكشف تفرده، مرتفعة به من العارض واليومي الزائل إلى ما يتوهج في الحس والشعور على امتداد التجارب والأزمان.

وقد سعت الدراسة لاستقراء القابلية السردية في كتب الأمثال، والنظر إلى مختلف تشكيلاتها، من خلال تأمل عناصر نصوصها وهي تلتحم مكونة مجالها الحكائي الخاص تحت لافتة معلومة هي صيغة المثل: مؤداه اللفظي الذي لقي من العناية في تراثنا النقدي والبلاغي ما أسهم بعزل وتغيب كل ما عداه من أركان النصوص، مثلما ساعد على تحجيم النظرة (النوعية) للأمثال، وربما إلغائها، ودفعها على الدوام جهة الدرس اللغوي، أو البحث المقارن؛ وإذا كانت الأمثال قد اعتمدت في دراسات منفردة فإنما لمعالجة ما عداها من جوانب النشاط الإنساني وهي تصادر، بجملة أحد الباحثين، (دور الأيديولوجيا وتدخل في عمق الأنا الأعلى للفرد وللجماعة فيفعل فيهما فعلها البليغ، وتوجههما كما تشاء)<sup>(١)</sup>، فتسعى هذه الدراسات لالتقاط ما تتمّ عنه الأمثال واكتشاف ما تشير إليه، وتظل هي بمكونات نصوصها، ووحداتها خارج مجال البحث والمعانيّة، تنتظر قبل الشروع بالدراسة محاولة تبدو أكثر صعوبة لإدراك حضورها

(١) د، محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي: ٧.

النوعي الذي لا يتشكل إلا عبر النظر في جانبيها الفني والتأريخي، إذ إن دراسة النوع وتحديد مستوى أهميته ترتبط بدرجة مؤثرة بدراسة أشكاله التعبيرية والنظر إلى موقعه بين أنواع السرد العربي التي شهدت دراساتها اتساعاً ملحوظاً، من دون أن تحمّل عبر أهداف الدراسة وطموحات الباحثين ما لا طاقة لها عليه، فإن ذلك مما يزيد غربة الأمثال ويُطيل من أمد هجرانها، فإن أسمى صورة ينشدها البحث تتجلى في المعالجة الفنية التي تُعيد لجانب مؤثر من جوانب الإبداع العربي حياته، وتؤمّن مجالاً لاتّضح سماته، وتسهم بما تحقّقه من إنجاز في فتح الأفق باتجاه معالجة إرث يملك من الأهمية ما يُعدّ مشهد الإبداع العربي قاصراً من دونه، لا يغطي مراحل الحياة ولا يُضيء هواجس إنسانها، إذ إن الأدب، أي أدب، لا يؤدي دوره الفاعل في الحياة من دون أن تتصل حلقاته وتستطلع مجاهله في النثر كما في الشعر، على امتداد عصوره، خصوصاً المبكرة منها، بما تحمله من مشاق وما تنكشف عنه من صعوبات، مثلاً يتجسد ذلك على نحو أشد أهمية في أدبنا العربي وهو يُبنى على رصيد من المرويات النثرية التي عُدّت مظهراً ثقافياً مميزاً لما تتطوي عليه من جماليات خضع بعضها لتبدل السياق الثقافي وعانى وهو يمر، أو ما تبقى منه، من الجاهلية إلى العصر الإسلامية، لكننا نظل، على الرغم من ذلك أسيري ما أورده الجاحظ من أن ((ما تكلمت به العرب من جيّد المنثور، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يُحفظ من المنثور عُشره، ولا ضاع من الموزون عُشره))<sup>(١)</sup>، يحدونا التطلع لدراسة ما بين أيدينا من بقية العشر النثري وهو، لعمري، واسع وثرى يفيض بدفق الحياة وعفويتها.

عملت الدراسة في آن واحد من إجراءاتها المنهجية على نقل منظورها من (المثل) إلى (النص) متحوّلة بذلك من الجزء إلى الكل بما يسحبه من ظلال حكاية تعالين بالدرجة نفسها من الاهتمام الذي تعالين به صيغة المثل ضمن حدودها النصية، لتفتح النصوص بمكونات وحداتها الحكائية والتفسيرية والاستشهادية على رصيد الخبر العربي مستجيبةً لحركة السياق الثقافي وهو يوجّه النصوص وجهاتٍ مختلفة، توزع الدراسة بناءً على ذلك نتائجها على نقاط ثلاث، تنظر النقطة الأولى إلى سمات العناصر السردية المكوّنة للنصوص في مختلف تشكّلاتها، وتهتم الثانية بملاحظة علاقة النصوص — وقد أُضيأت

(١) الجاحظ، البيان والتبيين: ٢٨٧/١.

وحداتها وفاعلية عناصرها — بفن الخبر العربي، فيما تتوجّه النقطة الثالثة لتبيّن أثر حركة السياق الثقافي في نصوص الأمثال.

## ١. سمات العناصر السردية:

حددت الدراسة العناصر السردية المكوّنة لنصوص الأمثال في أربع عناصر هي، بحسب دورها أو بحسب فاعلية إسهامها في التشكيل السردية:

أ. الإطار: (الاستهلال، والفصل والوصل، والخاتمة).

ب. الأحداث.

ج. الشخصية.

د. الفضاء: (الزمان والمكان)

يعتمد (الإطار) في كتب الأمثال، بما ينطوي عليه من وحدات، عدداً من الصيغ، يقترح الاستهلال قسماً منها بوصفها نظاماً خاصاً لا يكتفي بالانفتاح على (ما بعده) من وحدات، بل يتعدّى ذلك للإشعار (بما قبله)، فهو يُشير إلى سلسلة رواة لا تحقق حضوراً كاملاً في صيغة الاستهلال الراهنة، ولا تنسحب انسحاباً كلياً، إنما تؤمّن لصوتها منفذاً مناسباً للامتزاج بصوت الراوي الأخير من دون أن يُسلم هذا الراوي بصدق ما تروي، وهو يُلاحظ بأوضح أشكاله مع صيغة (زعموا أن) في كتاب (المفضّل الضيّبي) التي تكشف فضلاً عن سلسلة الرواة الغائبين، عن (موقع) الصياغة السردية لنص المثل بالنظر لما بين (التجربة) و(إعادة إنتاجها) من مسافة تمنح الراوي الأخير فرصة العناية والتوجيه الأدبيين.

شكل (الفصل والوصل) في كتب الأمثال، وفي كتاب (المفضّل الضيّبي) على نحو خاص انتظاماً سردياً تجلّى بأوضح صورته بانتقال صيغة الاستهلال من مفتتح نص المثل إلى منته، للحفاظ على موقع راوي المثل، وعلى الحكم المتضمن على ما يُروى، فلا ينقض ما تتضمنه صيغة (زعموا أن) من حكم، وهي تعمل صيغة استهلال بصيغة فصل تتضمن التصديق والتسليم، بل إن الانتظام يكشف في معظم صور (الفصل والوصل) عن عناية سردية تمنح نص المثل إمكانية التشكل تحت معيار واحد ينظم النصوص ويوحّد حركة عناصرها مانحاً بذلك انشغاله الموضوعي فرصة جمع عدد من صيغ الأمثال في مجال سردي واحد.

تُسم (الخاتمة) في نصوص الأمثال بإنجاز وظائف تتباين بتباين الكتب واختلاف موجهات تأليفها، وهي تمنح صيغها من العناية ما يشير لخصوصيتها وأهمية دورها في النصوص، فضلاً عن قدرتها على الاستجابة لنظام سردي تراعى فيه مناسبة المثل وتعتمد قصته كما في كتاب (المفضل الضبي).

تتبنى الخاتمة في نصوص (أمثال العرب) انبثاقاً عضوياً بما يتحقق بينها وبين عناصر المثل ووحداته من صلات، تعتمد لتلخيص حدث أو إضاءة جانب من جوانب المثل، وتكون في الغالب نتاج شخصية مشاركة تسهم بحدث القصة، أو شخصية غير مشاركة تبتعد عن الحدث بمقدار، لكنها تحافظ في قسميها على مستوى من الاتصال مع تجربة المثل لتتمكن من وعي ما يُنتج من هذه التجربة من قيم، أو مواعظ، أو أحكام تُشكل بدورها خاتمة مناسبة.

على الرغم من تقليدية أنساق بناء الحدث، والثبات النسبي لحضور (الخبر) داخل نصوص الأمثال، تلاحظ قدرة النصوص على الارتفاع بأساليب صياغة أحداثها مما يؤكد جدارتها بالدرس والمعاني، حيث يكون بمقدور منتاليتها (التامة، وغير التامة، والمزدوجة) أن تنظم مكوناتها البنيوية بما يشير لخصوصية موضوعاتها، ومناسبات صيغها، عبر إشعار بالفقدان، أو إشعار بتوازن جديد، أو المطالبة به، وبما يوحد نسايجها السردية بالتنوع والأرصاد اللذين يشدان الأخبار إلى بعضها داخل النص، ويوطدان الصلة بينها.

في سمة أساسية من سمات التشكيل السردى لنصوص الأمثال تلاحظ حيوية (الشخصية) وهي تنتقل بين وقائع الصيغ المختلفة مجسدة مظهراً إنسانياً لا يتحدد بصورة ثابتة ولا يستجيب لمعيار واحد حيث تقدم في نماذج متباينة تقتضيها نوعية التجربة ومستوى الإخبار فيها، مما يمنح النصوص فرصة لتعميق علاقتها بمراجعها ومن ثم تأمين أكثر من حيز سردي لاحتضان أنواع من الشخصيات يتميز كل منها بسمات تفيد، ضمن الفضاء العام للنصوص، مما تتطوي عليه الصيغة أو تشعر به من خصائص إنسانية.

#### تنقسم الشخصية، بناءً على ما تقدم، إلى أقسام ثلاثة:

— تُعدّ في الأول وعلى نحو شبه كلي، إجراء نصياً تمثّل فيه واقعة صيغة المثل تمثيلاً خيالياً، فيها تفيد نصوص القسمين الأخيرين من مراجع شخصياتها، إذ تمول نصوص القسم الثاني حضور شخصياتها بما عُرف عنها من سمات تاريخية، خارج نصية، إلى الدرجة التي تحقق كل منها (رتبة) تقوم على ما

تتمتع به الشخصية من مستوى داخل النص، وما يُكشف عنها من معلومات. فيما تعد نصوص القسم الثالث إلى تنظيم تجارب نوع من الشخصيات يحمل العديد من التعالقات، الأسطورية في الغالب، التي يصعب معها حصر تاريخيته أو الوقوف على مرجعية معينة له.

يستجيب (الفضاء) في نصوص الأمثال لهيمنة الحدث وفاعلية حضوره مجسداً عبر (الصورة السردية) التي تتشكل بالأساس نتيجة التهام الوصف بالسرد في تقديم عنصريهما (الزمان، المكان)، وتعدّ مسؤوليةً إلى حد بعيد عن الصورة المنجزة للفضاء داخل النصوص، حيث تشغل صيغ الأمثال بالتعبير عن المحتوى الزماني للتجربة الإنسانية وتفيد من خصوصية المكان التي تمنحه تجسداً بسيطاً يشير إلى جانب من وعي (الفضاء) عبر منظومة التجارب والعلاقات التي تتم عنها الصيغ.

## ٢. علاقة نصوص الأمثال بـ (فن الخبر):

يستمد نص المثل أهميته من كونه (فاعلية إخبار) بالدرجة الأساس. تتشكل نصوص الأمثال بما تُنجزه من (إخبار) يُضيء مساحةً حكايةً محددة، وبما تتطوي عليه من تفسير واستشهاد تغدو معها مجتمعةً وحدات ثقافية صغرى ترتبط على نحو مباشر بحركة السياق الثقافي، وتوجّه عناصرها توجيهاً يستجيب لإيعاز التأليف ويعمل على تحقيق أهدافه وهو يُقدّم، في كل مرة، مكوناً بنوياً من مكونات النصوص ويؤخر آخر.

حافظ (الخبر) على آلية تشكّله في كتب الأمثال بوصفه مجالاً سردياً مناسباً لاحتضان (صيغة المثل) وكشف مناسبتها، وهو ينقسم تبعاً لسمات إنتاجه إلى نوعين: عام وخاص يمكن ملاحظتهما كما يأتي:

### أ. خبر عام:

ينجلى بما يقيمه من صلة مع الرصيد الحكائي العربي، وعلى نحو خاص مع أشكاله السردية الأساسية: أيام العرب، قصص الشخصيات، وقصص الحيوان التي تعدّ مرجعاً عاماً لتكون نصوص الأمثال وفضاءً واسعاً لتوليد الصيغ، بما يُغذي تجاربها بوقائع لا تتحدد بمساحة المثل ولا تنغلق على مناسبتها.



## ب. خبر خاص:

يتجلى بما تقترحه الصيغة من تجربة تتغلق داخل مساحتها النصية مؤديةً دوراً (تمثلياً)، تُشخص فيه واقعة المثل باكتسابها مظهراً حكاثياً، تربط معه شخصياتها وأحداثها مباشرة بصيغة المثل، إذ تعدّ الصيغة في هذه الحالة المسوّغ الموضوعي لإنتاج الخبر.

تؤثر نوعية الخبر على التشكيل السردي لنصوص الأمثال، وتتحكم بفاعلية عناصره، وهي تعدّ مسؤولةً عن حركة النصوص من (الإخبار) إلى (التخييل) مروراً بـ (التمثيل) الذي يُعتبر (فاعلية تعريف) تؤديها النصوص في سبيل إضاءة واقعة المثل والوقوف على مناسبتّه، وهي تشغل مع النوع الأول (الخبر العام) مساحة نصيةً أوسع، مستغرقةً كمّاً أكبر من التفاصيل التي تغذي شبكة أحداثها، مما يتطلب تشكيلاً سردياً خاصاً يكون بمقدوره تنمية الروابط بين وحدات النصوص وذلك ما يقترحه نظام تأليف يُعدّ سمةً أدبيةً مميزةً، وملحاً نوعياً كما في نصوص أمثال (المفضل الضبي). فيما يؤثر النوع الثاني (الخبر الخاص) مؤكداً قابلية النصوص على توفير مجال حكاثي مناسب لصيغ الأمثال يمكن تحديده بالسّمات الآتية:

أ - الاختزال: سمة أساسية يكتفي معها نص المثل بخبر محدد ينبثق وينتهي في حدود تجربة صيغة المثل من خلال:

أولاً: اعتماد خبر واحد.

ثانياً: محدودية أفق الخبر مما يتطلب اقتصاداً في وحداته وتجريداً في مساحته الفضائية.

ثالثاً: اعتماد الحد الأدنى من الشخصيات التي تبدو في معظم الأحيان غير معلومة وغير مسمّاة.

ب - التركيز: أو الانشغال التام بتحقيق هدف النص: الإخبار بواقعة المثل والتمثيل لها، مما يُشير إلى جدل العلاقة بين (القصة) و(الصيغة) من جهة الإنتاج:

— أن تكون القصة قد أنتجت الصيغة، وهو مستوى خارجي أو قبل نصي في النظر إلى مهمة إنتاج المثل.

— وأن تكون الصيغةُ قد أنتجت القصّة، أو أعادت، بصورة مناسبة روايتها وهو مستوى داخلي، نصي.

ج — الاستقلالية: وهي السمة التي تمنح نصوص الأمثال وبالتالي كتبها (بما يقيمه نص المثل من صلة مع نصوص الأمثال داخل الكتاب الواحد، وتمنح الكتاب الواحد بما يقيمه من صلة مع الكتب الأخرى خلال مراحل التأليف) صورةً بانوراميةً تعين، إلى حد بعيد، على تقديم تصوّر مناسب عن التشكل النوعي للأمثال العربية.

### ٣. أثر حركة السياق الثقافي في نصوص الأمثال:

خضع نص المثل مع حركة السياق الثقافي لتغيرات طالت جوانبه الشكلي والمفهومي، فلم يعد يعني، في صورته جميعها، قولاً في شيء يشبه قولاً آخر تميّزه دقته واختزاله وبيانه، ويحافظ عبر نظام نصوصه على احتضان (الخبر)، بقدر ما توجه وجهه لغوية تطلبت النظر إلى مصادر العصر الثقافية وأهمها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، في وقت نظر فيه مع كتاب (المفضّل الضبّي) إلى الماضي بوصفه فضاءً لإنتاج المثل وإقامة واقعه، مما أضعف دور الحدث في بناء نصوص كتب الأمثال اللاحقة، فإذا كان الحدث في كتاب المفضّل قد استحضر لإضاءة تجربة المثل وكشف مناسباته كما تقدّم، فقد أصبح مع الكتب اللاحقة عنصراً تكميلياً إنما يُعتمد لتفسير معنى أو للاستشهاد عليه، إذ دفع الانشغال بالدرس اللغوي عدداً من مؤلفي كتب الأمثال لاعتماد طرائق تتوجّه بالأساس للتفسير والاستقصاء أكثر من عنايتها بالجانب القصصي، فلم تخضع وحدات الإطار وحدها لإثر هذا الانشغال وهي تستخدم من الصيغ ما يتضمن صدق السابق وأحقية قوله بالأخذ والمعينة كما تتضمنه صيغ (قال، ذكر، حدّث)، بل تأثرت وحدات المثل جميعها بذلك، مغيرةً من تشكيل عناصرها، بما يُشير إلى فهم مختلف لم يقف مع كتابي (أبي فيد) و(أبي فيد) و(أبي عكرمة) داخل حدود المثل بل تعدّاها إلى (صيغة المثل) نفسها وهي تضم الغريب والشاذ من الألفاظ.

\*\*\*

## المصادر والمراجع

— القرآن الكريم

### المصادر:

- أبو عكرمة الضَّبِّي (ت ٢٥٠هـ)، كتاب الأمثال.
- تحقيق د. رمضان عبد التواب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق/ ١٩٧٤م.
- أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ)، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال.
- حققه وقدم له د. عبد المجيد عابدين ود. إحسان عباس، جامعة الخرطوم، السودان ١٩٥٨م.
- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ)، كتاب الأمثال.
- تحقيق د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية ١٩٨٠م.
- أبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ)، كتاب أفعال.
- تقديم وتحقيق محمد الفاضل بن عاشور، مؤسسات عبد الله، تونس ١٩٧٢م.
- أبو فيد مؤرِّج السدوسي (ت ١٩٥هـ)، كتاب الأمثال.
- تحقيق د. رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.
- حمزة الأصبهاني (ت ٣٥١هـ)، الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة.
- تحقيق عبد المجيد قطامش، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١م.
- الميداني (ت ٥١٨هـ)، مجمع الأمثال.
- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط ٢/ ١٩٥٩م.
- المفضل الضَّبِّي (ت ١٧٠هـ)، أمثال العرب.
- قدم له وعلق عليه د. إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨١م.

- الأصمعي (ت ٢١٦هـ)، كتاب الأمثال.  
 جمع نصوصه وحققها وقدم لها د. محمد جبار المعبيد، دار الشؤون الثقافية، بغداد ٢٠٠٠م.
- العبدري (ت ٨٣٧هـ)، كتاب الأمثال.  
 تحقيق د. أسعد زبيان، دار المسيرة، بيروت ١٩٨٢م.
- العسكري (ت ٣٩٥هـ)، جمهرة الأمثال.  
 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة ١٩٦٤م.

### المراجع:

- أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، كتاب الصنائع، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا — بيروت ١٩٨٦م.
- ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة مطبعة المدني (د. ت)
- ابن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب بيروت (د. ت).
- ابن النديم (ت ٣٨٥هـ)، الفهرست، تحقيق رضا — تجدد، طهران (د. ت).
- ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ)، سر الفصاحة، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، القاهرة ١٩٥٣م.
- ابن رشيقي القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، العمد، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة ط٣/ ١٩٦٣م.
- ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨م.
- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، المعجم الوسيط، محمد علي النجار، إشراف عبد السلام هارون، المكتبة العلمية، طهران (د. ت).
- أدوين موير، بناء الرواية، ترجمة إبراهيم الصيرفي، مراجعة د. عبد القادر القط، الدار المصرية للتأليف والنشر القاهرة ١٩٦٥م.
- أوستن وارين، رينيه ويليك، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة د. حسام الخطيب دمشق ١٩٧٢م.
- أحمد بن محمد بن إمبريك، صورة بخيل الجاحظ الفنية، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦م.
- أحمد جاسم النجدي (دكتور)، منهج البحث الأدبي عند العرب، وزارة الثقافة والفنون، دار

- الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٨ م.
- أحمد مطلوب (دكتور)، معجم المصطلحات البلاغية، المجمع العلمي العراقي ١/١٩٨٣ م، ٢/١٩٨٦ م، ٣/١٩٨٧ م.
- أحمد مطلوب (دكتور) وكامل البصير (دكتور)، البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد ١٩٨٢ م.
- أ. م. فورستر، أركان القصة، ترجمة كمال عياد جاد، مراجعة حسن محمود، دار الكرنك، مصر ١٩٦٠ م.
- أنيس المقدسي، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت ط٥/ ١٩٧٤ م.
- أنيس فريجة، أحيقار، حكيم من الشرق الأدنى القديم، جامعة بيروت الأمريكية، بيروت ١٩٦٢ م.
- أرسطو — كتاب أرسطو طاليس في الشعر، تحقيق د. شكري محمد عياد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٧ م.
- الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٠ م.
- بوريس أوسبنسكي، شعرية التأليف، ترجمة سعيد الغانمي وناصر حلاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٩ م.
- بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم كيلاني، دمشق ١٩٥٦ م.
- الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر: ط٥/ ١٩٨٥ م.
- جواد علي (دكتور)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٦ م.
- جبرار جينيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ط٢/ ١٩٩٧ م.
- والاس مارتن، نظريات السرد الحديثة، ترجمة د. حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر ١٩٩٨ م.
- وديعة طه النجم (دكتورة)، الجاحظ والحاضرة العباسية، مطبعة الرشاد، بغداد ١٩٦٥ م.
- الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٣ م.
- الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٧ م.
- حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة تونس ١٩٦٦ م.
- حاتم الصكر، البئر والعسل، قراءات معاصرة في نصوص تراثية، دار الشؤون العامة،

بغداد، ١٩٩٢.

- حاجي خليفة (ت ١٠٦٨هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مطبعة وكالة المعارف، مصر ١٩٤٣م.
- حميد لحداني (دكتور)، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت ط٢/ ١٩٩٣م.
- حسام الألوسي (دكتور)، الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٠م.
- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٠م.
- الطاهر أحمد مكي (دكتور)، امرؤ القيس، حياته وشعره، دار المعارف، القاهرة ط٤/ ١٩٧٩م.
- طه حسين (دكتور)، في الأدب الجاهلي، دار المعارف، مصر (د. ت).
- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) — معجم الأدياء، دار الفكر، بيروت ط٣/ ١٩٨٠م.
- معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت، بيروت ١٩٥٧م.
- يميني العيد (دكتور)، فن الرواية العربية بين خصوصية الرواية وتمييز الخطاب، دار الآداب، بيروت ١٩٩٨م.
- كلود ليفي شتراوس وفلاديمير بروب، مساجلة بصدد (علم تشكّل الحكاية)، ترجمة محمد معتصم دار عيون المقالات، الدار البيضاء ١٩٩٨م.
- ليفي بريل، العقلية البدائية، ترجمة د. محمد القصاص، منشورات مكتبة مصر (د. ت).
- الميرد (ت ٢٨٥هـ)، الكامل، عارضه بأصوله وعلّق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، السيد شحاتة، دار نهضة مصر للطبع والنشر (د. ت).
- محمد حسين علي الصغير (دكتور)، الصورة الفنية في المثل القرآني، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨١م.
- محمد سويرتي، النقد النبوي والنص الروائي، نماذج تحليلية من النقد العربي، ٢. الزمن، الفضاء السرد، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء ١٩٩١م.
- محمد عابد الجابري (دكتور)، التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩١م.
- محمد توفيق أبو علي (دكتور)، الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دار النفائس، بيروت ١٩٨٨م.
- محمد سليم الحوت، في طريق الميثولوجيا عند العرب، دار النهار للنشر، بيروت ط٢/ ١٩٧٩م.
- منذر الجبوري، أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٤م.

- منذر عياشي، اللسانيات والدلالة (الكلمة)، مركز الإنماء الحضاري، حلب ١٩٩٦م.
- منيب محمد البوريمي، الفضاء الروائي في (الغربة)، الإطار والدلالة، آفاق عربية، بغداد (د. ت).
- مصطفى الغلاييني (الشيخ)، جامع الدروس العربية، بيروت ط٥/ ١٩٣٩م.
- مختلفون، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلايين الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٨٢م.
- مختلفون، السيميائية والنص الأدبي، جامعة عنابة، الجزائر ١٩٩٥م.
- ناصر الدين الأسد (دكتور)، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، القاهرة ط٤/ ١٩٦٩م.
- نيقولا بريثيف، العزلة والمجتمع، ترجمة فؤاد كامل، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢/ ١٩٨٦م.
- سوزان لوهافر، الاعتراف بالقصة القصيرة، ترجمة محمد نجيب لفته، مراجعة د. عزيز جمعة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩١م.
- سيبويه (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣/ ١٩٨٨م.
- سهير القلماوي (دكتورة)، ألف ليلة وليلة، دار المعارف بمصر، ط٤/ ١٩٧٦م.
- السيوطي (ت ٩١١هـ) — بغية الوعاة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٤م.
- المزهر، تحقيق محمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٥٨م.
- سيزا قاسم (دكتورة)، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٨٤م.
- سعيد قطين — الرواية والتراث السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٢م.
- قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٧م.
- الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٧م.
- سعيد علوش (دكتور)، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت — سوشبريس، الدار البيضاء ١٩٨٥م.
- عادل جاسم البياتي (دكتور)، كتاب أيام العرب قبل الإسلام، دار الجاحظ، بغداد ١٩٧٦م.
- عبد الله إبراهيم (دكتور) — المتخيل السرد، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٠م.
- السردية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٢م.
- التلقي والسياقات الثقافية، دار الكتاب الجديد المتحدة، أوبا للنشر والتوزيع (د. ت).
- عبد الله أبو هيف (دكتور)، القصة العربية الحديثة والغرب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٤م.

- عبد الحميد يونس (دكتور)، الحكاية الشعبية، دار الشؤون الثقافية، بغداد (د. ت).
- عبد المجيد عابدين (دكتور)، الأمثال في النثر العربي القديم، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة ١٩٥٦م.
- عبد الملك مرتاض (دكتور) — في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠) الكويت، ١٩٨٨م.
- ألف ليلة وليلة، دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمّال بغداد، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٩م.
- عبد الفتاح كليطو — الأدب والغرابية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٢م.
- الغائب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ١٩٨٧م.
- الحكاية والتأويل، الدار البيضاء ١٩٨٦م.
- عز الدين إسماعيل (دكتور)، المكونات الأولى للثقافة العربية، وزارة الإعلام، بغداد ١٩٧٢م.
- علي عبد المعطي محمد (دكتور)، تيارات فلسفية معاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٤م.
- فدوى مالطي — دوجلاس (دكتورة)، بناء النص التراثي، مشروع النشر المشترك، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (د. ت).
- صلاح فضل (دكتور) — نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد ط٣/ ١٩٨٧م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة (١٦٤) الكويت ١٩٩٢م.
- القفطي (ت ٦٤٦هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية ١٩٥٠م.
- رمان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٦م.
- الراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦١م.
- روبرت شولز — البنيوية في الأدب، ترجمة حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٨٤م.
- السيمياء والتأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٤م.
- رودلف زلهابيم، الأمثال العربية القديمة، ترجمة رمضان عبد التواب، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩١م.
- رولان بارت، التحليل البنيوي للقصة القصيرة، ترجمة د. نزار صبري، مراجعة د. مالك



المطلبي الموسوعة الصغيرة (٢٥٩) بغداد ١٩٨٦م.

— رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، ترجمة د. محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة (١١٠) الكويت ١٩٨٧م.

— شجاع العاني (دكتور)، البناء الفني في الرواية العربية في العراق، ج١ بناء السرد ١٩٩٤م، ج٢ الوصف وبناء المكان ٢٠٠٠م، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

— شوقي ضيف (دكتور)، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر ١٩٦١م.

— ت. ج. دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد الهادي أبو ريذة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥٧م.

— الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت).

— الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، الإيضاح، بإشراف محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة (د. ت).

## الدوريات:

— (الأدب) اللبنانية ع ٧ و ٨س ٣٧ / ١٩٨٩م، د. أحمد كمال زكي، الفن القصصي في التراث العربي.

— (الأستاذ) العراقية مج ٤ ع ١-٢ / ١٩٦٧م، د. صفاء خلوصي، دراسة في الأمثال العربية القديمة.

— (المجلة العربية للعلوم الإنسانية) الكويتية ع ١٠م<sup>٢</sup> ربيع ١٩٨٣م، عفيف عبد الرحمن، الأمثال العربية القديمة.

— (المورد) العراقي مج ٢٤ ع ١ / ١٩٩٦م، د. زكي ذاكر العاني، دراسة تحليلية في أقدم كتاب في الأمثال.

— (المعرفة) السورية س ١٨ ع ٢٠٤ / ١٩٧٩م، جورج صدقني، في سيكولوجية الأمثال العربية / ٢.

— (عالم الفكر) الكويتية مج ١٦ ع ١ / ١٩٨٥م، د. أحمد أبو زيد، الملاحم كتاريخ وثقافة.

— (علامات) السعودية ج ٣٥ مج ٩ مارس ٢٠٠٠م، سعيد يقطين، كتابة تاريخ السرد العربي، المفهوم والصيرورة.

— (فكر ونقد) المغربية س ٤ ع ٣٥ / ٢٠٠١م (عدد خاص بالأمثال) عبد الغني أبو العزم، كتب الأمثال مجامع أم معاجم؟

— (فصول) المصرية مج ٢ ع ٢ / ١٩٨٢م، د. نبيلة إبراهيم، لغة القص في التراث العربي. مج ٢ ع ٤ / ١٩٨٢م، د. شكري محمد عياد، فن الخبر في تراثنا القصصي.

— (التراث الشعبي) العراقية س ٦ ع ٢، ٣ / ١٩٧٥م، د. إبراهيم السامرائي، في الأمثال العربية.

— (الثقافة الأجنبية) العراقية ع ١/ ١٩٩٨م، روبرت كازينو، القصص والخطاب وفلسفة الحدث  
ت. علاء العبادي.

### رسائل علمية:

— مشتاق فالح عبيد، البنى الوظيفية في مقامات الحريري (مقاربة سيميائية)، رسالة دكتوراه  
(مرفونة على الآلة الكاتبة) كلية الآداب/ جامعة البصرة ٢٠٠٠م.

— عبد الحسين معتوق الصكر، الظواهر اللغوية والنحوية في الأمثال العربية مع جمع وتحقيق  
كتاب الأمثال لأبي زيد الأنصاري (مرفونة على الآلة الكاتبة) كلية التربية/ جامعة  
البصرة ١٩٩٧م.

\*\*\*

# الفهرس

المقدمة .....	١١
الدراسة السردية لكتب الأمثال (في الرؤية والمنهج) تمهيد خطأ! الإشارة المرجعية غير معروفة.	
١- أدبية النص السردى القديم: .....	١٥
٢- دراسة الأمثال بوصفها نوعاً ثانوياً: .....	١٨
٣- من (المثل) إلى (النص): .....	٢٤
٤. مؤلفات الأمثال: .....	٢٨
٥- مراحل تأليف كتب الأمثال: .....	٣٣
الفصل الأول الإطار .....	٤١
الإطار السردى: مدخل .....	٤٣
الاستهلال: .....	٤٤
الفصل والوصل: .....	٥٦
الخاتمة: .....	٦٧
الفصل الثانى الأحداث .....	٨٥
التجربة والصيغة في المستوى البلاغى للمثل (مدخل) .....	٨٧
الأنساق: .....	٩٠
- الدورة القصصية (المتتاليات): .....	٩٢
تغيرات النصوص (حركة السياق الثقافى وأثرها فى بناء الأحداث): .....	١١٧
الفصل الثالث الشخصية .....	١٣٠
الشخصية فى نصوص الأمثال (مدخل) .....	١٣٢
١- شخصيات نصوص الأمثال العامة: .....	١٣٨
٢- شخصيات نصوص الأمثال الخاصة: .....	١٤٣
أ- الشخصية الرئيسة: .....	١٤٣
ب- الشخصية الثانوية: .....	١٤٣

ج-الشخصية الهامشية:.....	١٤٣
٣-نصوص أخبار الشخصية وصيغ أمثالها:.....	١٥١
<b>الفصل الرابع الفضاء</b> .....	١٦٠
عن الفضاء في السرد العربي القديم (مدخل).....	١٦٢
الزمان والمكان في صيغة المثل (مقترَب دلالي).....	١٦٥
الزمان في نصوص الأمثال:	
درجة الصفر (من زمن الرواية إلى زمن المروي).....	١٧٦
الحلقة الزمنية الوسطى:.....	١٧٧
الزمانية والسببية:.....	١٨٠
المكان في نصوص الأمثال:.....	١٩١
١- التعبير المباشر عن المكان:.....	١٩٣
٢- التعبير غير المباشر عن المكان:.....	١٩٥
<b>الخاتمة ونتائج البحث</b> .....	٢٠٣
١. سمات العناصر السردية:.....	٢٠٧
٢. علاقة نصوص الأمثال بـ (فن الخبر):.....	٢٠٩
٣. أثر حركة السياق الثقافي في نصوص الأمثال:.....	٢١١
<b>المصادر والمراجع</b> .....	٢١٢
المصادر:.....	٢١٢
المراجع:.....	٢١٣
الدوريات:.....	٢١٨
رسائل علمية:.....	٢١٩
<b>الفهرس</b> .....	٢٢٠

\*\*\*